الباكورة الشهية

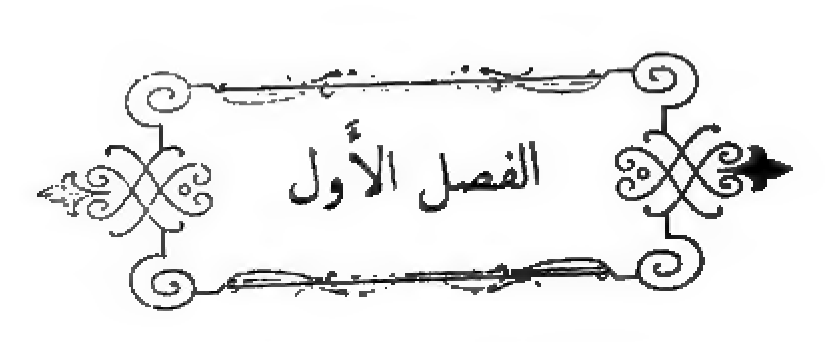
في

الروايات الدينية

فاتحة

حمداً للملك الوهّاب منزل الحق بالكتاب رشداً وهدًى لخلقهِ ونوراً لبيان سامي عزّهِ ومجدهِ . أما بعد فهذه حكاية ألّفتها ورواية نسقتها لابراز مخدّرات الحقائق واجلاء جواهر الدقائق على سبيل المحاورة والمناظرة بيدَ اني لقصر باعي في صناعة التأليف لم أطمع باتيانها على ما يرام من التهذيب والتثقيف غير انه بعونه تعالى جاءت على أسلوبٍ أظنه على نوعٍ مقبول لدى أهل الانصاف والعقول . فارجو من كرم أرباب الفضل اسبال ذيل المعذرة على ما يرون فيها من الوهن والتقصير فان اعذار القاصر بالكرام جدير متسامحين عما يُرى فيها من الخلل متنازلين لاصلاح ما ربما وقع فيها من الزلل . هذا وأتوسل اليه تعالى ان يصونها من طائلة الاعدام ويحفظها من ذوي الجراءة والاقدام وينفع بها المطالع والسامع انه لاكرم مسأول وأجلّ مأمول وهو حسبي ونعم المعين له الحمد في كل حال وحين





الفصل الأول

كان صداقة قديمة ومودة جسيمة بين أحد مشايخ الاسلام في دمشق الشام يدعى الشيخ عبد الهادي و بين رجل مسيحي حلبي يدعى يوحنا الغيور وكانا كلاهما على جانب عظيم من التقوى واخلاص الطوية وقد جرت بينهما مباحث ومناقشات عديدة في أمر الدين الى أن ورد يوماً ما من ذلك المسيحي رسالة مستطيلة على الشيخ الموما اليهِ موسومة « في الحق الالهي » غايتها بيان كون الكتاب المقدس المعروف الآن هو كتاب الله المنزل و بناء عليهِ تكون الديانة المسيحية المعلنة فيهِ هي ديانة الله لا سواها . فعب ان طالعها الشيخ مراراً أتى بها الى أحد المشايخ المشهورين بالعلم والتقوى يدعى الشيخ علي عمر وطلب اليهِ ان يرى فيها ويمده برأيه هل يجاوب عليها أم لا وكيف ينبغي ان يكون أسلوب الجواب — فأخذها من يده وغب ان طالعها وأمعن في كلٍ من قضاياها وعباراتها اجابه « اني أرى الرسالة قوية الحجة فلا أرى ذاتي قادراً على ان أمدَّك برأيٍ صالح من جهتها قبل ان نُطلع عليها بعض الاخوان والاصحاب العلماء ونأخذ رأيهم في ذلك كي لا يفوتنا شيء من البراهين والحجج المقتضي تدوينها في الجواب فنخسر ثمرة اجتهادنا وفي الغالب رأي اثنين أفضل من رأي واحد فكم بالحري رأي جماعة من الادباء ما ذا ترى » . اجابهُ عبد الهادي نعم الرأي سيدي . فأرسل للوقت الشيخ علي واستدعى بعض العلماء من ذوي الرزانة والتعقل . فحضروا بعد العشاء الى منزل الشيخ علي وغب ان استقرَّ بهم الجلوس في قاعة منفردة نهض وخاطبهم قائلاً انهُ قد ورد على الشيخ أحمد عبد الهادي رسالة دينية غايتها اثبات صحة الديانة المسيحية وهي هذه

أيها الشيخ العالم الفاضل الجزيل الوقار والاحترام

غب تقديم الاحترامات اللائقة بشخصكم الكريم . أقول لا يخفى ان من شأن العقل السليم تمييز وادراك وجود واجب الوجود تعالى وقدرتهُ وحكمتهُ وكمال عزه ومطلق سلطانهِ من النظر الى المبدعات الكونية ولكنهُ يقصر دون ادراك مقاصده عزَّ وجلَّ من جهة الانسان وطريقة العبادة المقبولة لديه تعالى وذلك بيّن من اختلاف الناس عليها مع اجماعهم الاَّ ماقلَّ على وجودهِ وكماله الازليين . لذلك قد شاء كرماً واحساناً منهُ تعالى كشف ذلك للانسان بالوحي والاعلان فشرع من ثم سبحانهُ يكلم أباءنا الأولين بالرؤى والاحلام ثم أوعز الى كليمهِ موسى ان يكتب في كتاب اعلان أزليتهِ واعمال قدرتهِ وحكمتهِ بخلقهِ السموات والأرض وما فيهن وكذا وصاياه واحكامهُ وفرائضهُ ليكون دستوراً وقانوناً للايمان والعمل لأوليائهِ كافة في الحال والاستقبال . ولما كان بنو اسرائيل دأبهم التقلب والحيدان عن سبيله تعالى كما هو دأب الانسان في كل زمان أقام سبحانهُ من وقتٍ الى آخر رجالاً افاضل أوحى اليهم بكلامهِ وارسلهم لانذار شعبهِ وردهم الى عبادتهِ تعالى حسب الكتاب . فكان يتنبأ لهم هؤلاء الانبياء واعظينهم ومنذرينهم ومحذرينهم من سوء العاقبة اذا ارتدوا ومنبئينهم بأمور مهمة وجليلة عتيدة ان تحدث في مستقبل الأيام واثباتاً لدعوى ارساليتهم من الله وختماً لصحة أقوالهم كانوا باذن الله يعملون عجائب وآيات متنوّعة وقد كتب هؤلاء الانبياء المتوالون من موسى الى ماقبل المسيح بنحو أربع مئة سنة نبواتهم في اسفار وكتب اعتبرت عند عموم بني اسرائيل اسفار الله الحي وضمت منهم الى مجلد واحد قبل المسيح بنحو ثلاث مئة سنة وبعنايتهِ تعالى قد حُفظت الى يومنا هذا سالمة من التحريف والتصحيف والتغيير والتبديل وما من عاقل يرتاب في ذلك غب وقوفه على البينات الوطيدة والبراهين السديدة التي لهذا الكتاب الجليل دون بقية الكتب . وحبًّا بالاختصار اقتصر على ذكر اثنتين منها وهما

« الأولى » سلامةُ من أثر غايات الناس واميالهم

لا يخفى ان هذا الكتاب الالهي الاقدم من كل ما كتب في العالم موجود بأيدي العبرانيين اليهود باللغة التي أنزل فيها طبق ماهو بيد النصارى بلغات مختلفة الا ما ندر مما لا يؤثر البتة في غاية الكتاب وقصده . ومع كونهِ باعتبار نبوّاتهِ يضاد اليهود في انكارهم المسيح وكفرهم بهِ ويضادّ كثيراً من فرائض وطقوس اكثر المذاهب النصرانية مع ذلك لم يقدم هؤلاء ولا أولئك على تغيير أو تبديل شيء من نصوصهِ بحيث يكون على نوع ما موافقاً لآرائهم واصطلاحات عباداتهم فلا جرم ان ذلك من أقطع الادلة على كونهِ محفوظاً أبداً بيد من انزله تعالى من التلعُّب فيهِ رغماً عن كل مقاوميه ومضاديهِ

« الثانية » حدوث أمور كثيرة انبأ عنهاقبل حدوثها بقرون عديدة وحوادث مختلفة عتيدة ان تحدث في مستقبل الأيام (كما تقدم ذكره) على توالي الازمنة الى نهاية العالم ولا يخفى ان جزءاً كبيراً من هذه النبوات قد تمّ على نوع مدهش جداً بحيث الملحدون انفسهم لم يستطيعوا الا ان يشهدوا أن تلك الحوادث قد حدثت تماماً كما سلف القول عنها في كتاب اليهود (التوراة) فلا جرم ان هذه البينة أيضاً هي لدليل قاطع كل ريب على سلامة كتاب الله من شائبة التحريف والتغييرو باقية على مر الاجيال وتوالي الدهور شاهداً متيناً على صحة وصدق الكتاب المنباء عنها فيهِ

فتأمل سيدي هذين الدليلين الراهنين اللذين لا يحتاج للوقوف على صحتهما الا بحث قليل بتروّ واخلاص — وعليهِ اذا ايقنتم بسلامة التوراة مما ذكر لزمكم لا محالة الاذعان لها والايقان بما فيها

ثم ما ذا ترون حضرتكم هل للهسُبُلُه مختلفةوآراء متباينة. حاشا — انما لله سبيل واحد.. دين واحد . كما هو واحد فما قولكم والحالة هذه في الاديان المختلفة والعقائد المتباينة هل كلها من الله وهي مرضية له . — لا بد تقولون كلا وحاشا — اذاً ما

الطريقة ليت شعري لمعرفة الدين الصحيح والحق القويم وكل ابناء دين ومذهب يفتكرون أن دينهم هو الاحق ما يكون ومذهبهم هو الاصح من غيره ويحاجون مدافعين عنه ما امكن حال كونه من المحال صحة دعوى كل فريق منهم. لعمري ان هذه المسئلة قد توقع عموم أولي الاديان من ذوي العقول السليمة في مشكل عظيم محال تخلصهم منه الا برجوعهم عقلاً وقلباً الى الينبوع الاصلي كتاب الله المقدس ورفضهم كل رأي دون رأي الله فيه. ولنرجع في كلامنا الى التوراة فأقول: ان الايقان بسلامتها بناء على ما تقدم يستلزم لا محالة الايمان والاقرار بالفادي مسيح الله المشهود له فيها حرفاً ومعنى شهادات جلية صريحة لا ردّ عليها وان سألتني ما تلك الشهادات أجبتك هي مما لا يسعني هنا ايرادها على سبيل التمداد والتفصيل لكثرتها واتساعها فأجتزئ ان اقول: لا تخفى ان التوراة تشهد له أولاً برموز واشارات وكنايات متنوعة لا يمكن ان تصدق الا عليه كفادٍ ومخلص

ثانياً باعلانات ونبوات صريحة جلية بهذا المقدار حتى انها تعين السبط والعشيرة اللتين سيأتي منهما وغرابة ولادته وزمانها ومكانها وسموّ طهارة حياته واعماله والمقاومة والاحتقار اللذين سيصادفهما من أمة اليهود شعبه ونوع موته ودفنه وقيامته وصعوده الى السماء مع الظروف المختصة بتلك الامور التي قد تمت فيه بنوع ما كما ترى ذلك مسطراً في الانجيل (لاحظ كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين فصل ١١ وجه ٤٦٢) وقد ختم الله على صحة اخبار تلك الحوادث الانجيلية بالآيات والعجائب التي اجراها على ايدي رسله الكارزين بانجيله الذين قد برهنوا على خلوص نياتهم وحبهم لله بما احتملوا لاجل اسم المسيح من الاضطهادات والشدائد حتى ختموا اخيراً شهادتهم بدمهم

ولا صحة لزعم من يزعم ان الاعتقاد « بتجسد ابن الله الاقنوم الثاني وموته بالجسد فدى للبشر لكونه فائق العقل والتصديق » هو باطل . اقول ان صاحب هذا

الزعم يحكم ان كل ما لا يُدرك بالعقل ليس بصحيح وهو زعم فاسد كما لا يخفى — نعم انه امر يفوق العقل كان الله الواحد بثلاثة اقانيم وتجسد الاقنوم الثاني لفداء الانسان ولكنه لا يضاده وشأن أمور الله ان تفوق عقولنا — ألا ان كل ما خطر على بالك فهو هالك والله بخلاف ذلك — ولنُحدر النظر من التحدق في سمو ماهية الله الخالق الجليل الى المخلوق ولنرى هل من الممكن لعقولنا ادراك كيفيته — أي شيء من مخلوقاته تعالى يا ترى لا تفوق عقولنا كيفيتهُ فاذا اغضى الانسان طرفه عن النظر الى الكائنات العديدة البديعة مقتصراً على التأمل فقط بذاته كيف وُجد — كيف تكوّن هكذا — كيف يحيا ويتحرك وينطق — وكيف بعض اعضائه خاضعة لارادته وبعضها لا بل تقوم باعباء وظائفها اراد أولم يرد — يرى ذلك كله من الامور الفائقة العقل

وكما ان اعمال الوالد مثلاً تفوق جداً عقل ولده الطفل وتدهله ومع ذلك يسلم باقتدار أبيه على عملها وبكل قلبه يصدق كونها عمله حالما يخبره (ابوه) انه هو قد عملها — هكذا نحن الخليقة البشرية ذوو العقول الطفلية والدنيَّة جداً بالنسبة الى حكمة الباري جل شأنهُ تقصر دون ادراك كيفية اعمال حكمته وقدرته الالهيتين فكيف ندرك اذاً ذاتهُ تعالى .

ومن الاوليات المسلم بها ان عدم ادراك العقل امراً ليس هو دليلاً على عدمه او محاليته فالانسان يقدر ان يميز بواسطة الحواس والعقل الاشياء الموجودة لديه او الواقعة تحت نظره ويعلم خاصاتها ومنافعها او اضرارها بواسطة الاختبار والامتحان . وانما لا يمكنه ادراك كيفياتها فكيف اذ ذاك يمكنه ادراك كيفية أمور ذي الجلال — ان ذلك لعمري من المحال . فما على العاقل الرازن الا القبول بكل خضوع وخشوع ما انعم عليه به باريهِ من الوحي عن ذاته تعالى وأمور قدرته وحكمته مؤمناً بحقيقته لكونه من الله القدير الفائق الوصف والتصور ومن المعلوم المقرر ان من شأن العقل الجيد عدم محاولة التخطي الى ما هو خارج عن دائرة امكانه

اما على الاعتراض المتضمن في نظم بعض الشعراء الذي ارسلتموه لي جنابكم مؤخراً الذي معناه « ان كان الاله قد تألم فما هذا الاله ؟ وان كان ابن الله فلما صُلب أين كان ابوه ؟ » فأجيب على كلٍّ ان اعتراضاً كهذا منتظر ممن ليس له الروية الوافية في الكتاب وليس له الحس والشعور الواجب بلزوم القيام بوفاء حق عدل الله والتبرير من الخطية — وحقيقةً ان من لم يبحث عن المبادئ الاساسية للدين المسيحي ويتبعها الى غايتها بل يقتصر على رؤية اعالي بنائه من بُعد بعيد يجد عليه ولا بد اعتراضات كثيرة لجهله أصوله العميقة وأُسُسهُ الوطيدة الراسخة فيعجب من ثم بنفسه ظاناً انه قد حاز الغلبة عليه حال كونه مغلوباً

جنابكم تعرفون جيداً ماهية المعتقد المسيحي في امر التجسد ومع ذلك ارى الضرورة تدعوني لأراجع على اذهانكم في هذا المكتوب بوجيز العبارة خلاصة الايمان المسيحي بهذا الخصوص

انا معشر المسيحيين نؤمن متيقنين حسب كتابه تعالى ان المسيح كلمة الله الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس قد اتخذ لذاته الالهية بقدرته الصمدانية جسداً ونفساً انسانية فصار من ثم ذا طبيعتين متحدتين متمايزتين غير ممزوجتين الهية وانسانية . فالالهية فيه غير قابلة دخول عَرَض عليها كالجوع والتعب والالم والموت والانسانية قابلة كل ذلك . فيقال في الانجيل الكلمة صار جسداً وابن الله صار من نسل داود من جهة الجسد وتألم ومات بالجسد أسيء من جهة الجسد لا من جهة اللاهوت ولا به . فكما ان النار مثلاً تلاشي الثوب دون الذهب المنسوج عليه وتأكل اللحم من على المذبح دون المذبح هكذا نار آلام الموت أثرت في الطبيعة الانسانية ولم يمكنها البتة ايصال تأثيرها الى الطبيعة الالهية وأنى للمخلوق ان يضر بالخالق . ثم ومع ان كيفية اتحاد الطبيعة الالهية بالانسانية بحيث صارتا شخصاً واحداً يسمو جداً ادراك العقل الانساني ليس هو من الامور المحالية كما لا يخفى ولا يؤثر على كمال

الباري سبحانه بل بالحري يزيد بمجده تعالى لدى خلائقه العاقلة بجوده الفائق على خليقته البشرية بابنه المحبوب الذي به أعلن سموّ قداسته وغاية كماله اذ حافظ على حق عدله وأبدى عظيم حنوه وغزارة مراحمه وفضله

واما عن القول « لما صُلب أين كان ابوه » فأقول قد تقدم انه لم يتألم من حيث اللاهوت اصلاً بل من حيث الناسوت فقط اذ من المحال ان يمس اللاهوت ألمٌ فالصلب واقع على الطبيعة الانسانية لا الالهية ولم يكن ذلك بدون ارادة ابيه حتى يكون لاعتراض المعترض محل بل كما يستفاد من نبوات الله في التوراة وخصوصاً الاصحاح الثالث والخمسين من نبوة اشعيا ان ذا هو قصد الله ومشيئتهُ ان يفتدي البشر الخطاة هكذا بدم ابنه لكي تبدو رحمتهُ الفائقة وجوده غير المتناهي نحو جبلته الساقطة واذا شاء سبحانه ان يتنازل بابنه الوحيد الى هذه الدرجة حباً بخلقه فهل من اعتراض عليه تعالى واذا كان الآب هكذا ارسل ابنهُ لاجل هذا الامر الذي عليه دون سواه متعلق خلاص البشر الامر المقرر منذ الازل لديه فكيف يدفع عنه ذلك؟

هذا ونقول ان الابن ذاته لما رأى ان لا سبيل لخلاص الانسان من ورطة الهلاك التي قد تهور فيها حسب مقتضى العدل الالهي الا بتجسده وموتهِ عنهُ بالجسد ارتضى بذلك حباً لنا ليعتقنا بموتهِ من عبودية الخطيئة والموت لذلك لما صُلب بالجسد لم يرَ أبوه الجوّاد ان يدفع عنهُ الألم ويعفيهِ من شرب كأس عليها دون سواها خلاص البشر بل كما قدم ابرهيم ابنهُ امتثالاً لأمر الله هكذا اللاهوت قدم ناسوتهُ المتحد بهِ ذبيحة وقرباناً لله عن العالم لكي يوفي به حق شريعة الله التي تعداها الانسان وفاء تامًّا حسب قصد الله ومقتضى عدله تعالى — نعم ان هذا الخبر بل هذه البشارة الكافلة ان تملأ قلب كل للانسان سروراً وشكراً لله صعبة الفهم وعسرة الهضم على كثيرين غير ان ما يُرى فيها من صعوبة الفهم وتعذُّر الهضم لا ينفي وجوبها وحقيقتها

ثم أرجو سيدي ان تتأملوا جيداً ببصيرتكم النيرة وتزنوا بذكائكم الوافر

ما سأبديهِ لحضرتكم من الكلام عن هذا الموضوع الكلي الجلال والأهمية —
لا يخفى ان الخالق الفائق الحكمة والجزيل الرأفة لعلمه ضعف طبيعة الانسان وقصورها
عن ادراك ما لله سبحانهُ من المقاصد والغايات من جهة الانسان وصعوبة فهم ذلك
الامر السامي الذي قد اعدَّ لهُ (أي لعمل الفدا بابنهِ الوحيد) اعدادات متنوعة
تشغل (كما وقد شغلت) مدة قرون عديدة تعليماً وتدريباً للبشر الى الفادي
الكريم واستعداداً لقبوله اذ كان عتيداً ان يولد منهم بالجسد ويفديهم بدمهِ معاملاً
اياهم بذلك على نسق تعليم الاولاد في المدارس — فكما ان المعلمين والاساتيذ
يبدأون بتعليم تلامذتهم من الاحرف الهجائية ويتقدمون بهم تدريجاً شيئاً فشيئاً
نحو العلوم الرفيعة وبذلك يتمكنون من ابلاغهم الحقائق السامية — هكذا فعل
الباري عزَّ وجلَّ في تربية وتدريب العقل الانساني الى المسيح مدة نحو اربعة
آلاف سنة (أولاً) بالمواعيد التي كان اولها ان نسل المرأة يسحق رأس الحية
(ابليس) ومنها قولهُ تعالى لكلٍ من ابرهيم واسحق ويعقوب وبنسلك تتبارك
جميع أمم الارض وقس على ذلك مما لا يسعنا ايراده هنا — (ثانياً) بالطقوس
والفرائض التي كان أخصها وأشرفها تقديم الذبائح والمحرقات لله التي هي بالحقيقة
رموز واشارات لائقة الى ذبيحة المسيح التي كانت عتيدة ان تُقرَّب لله وفاء عن
خطايا العالم التي لو جُرِّدت من هذ المعنى لكانت بلا داعٍ وغير لائقة بالله . وهل
من العدل ان يقاصَّ الخروف عن الانسان — البهيم عن العاقل — والبريء عن
المذنب . كلاَّ وانما اذا كان ذبح الخروف وتضحيته لله عن الخاطيء رمزاً واشارة
سرية الى حمل الله يسوع المسيح فادي الخطاة كان ذلك لا محالة امراً شريفاً
وتعليماً لائقاً لذلك الخاطيء مقدمهِ انهُ لا يتبرر امام القدوس بذاتهِ ولا يمكنهُ
ارضاؤهُ بصلاحهِ بل يحتاج ولا بد الى فداء شرعي يفي عنهُ ويبرره من مطلوب
العدل لدى خالقهِ تعالى . (ثالثاً) بالنبوات المتوالية حيناً بعد حين عن هذا الفادي

الكريم كما سلف القول عنها التي كانت (أي هذه المواعيد والنبوات) تزداد كثرة ووضوحاً كلما قرب أكثر فاكثر مجيء المسيح كما يرى المطالع المدقق وذلك تسهيلاً لمعرفتهِ وقبوله متى جاء ولكي تكون العقول مستمدة له والقلوب بانتظار قدومهِ وعلى ذلك قالت المرأة السامرية للمسيح نحن نعلم ان مسيًّا يأتي ومتى جاء ذاك يخبرنا كل شيء ولكي لا يبقى محلٌّ لاعتذار الانسان على ابائهِ تصديق الانجيل وقبول المخلص بالايمان بداعي صعوبة فهم الخبر اذ لا ريب ان سياسة الله مع شعبه في القديم وتدريبهم واعدادهم هكذا قروناً عديدة بالوسائط والوسائل المذكورة تكفل بحل هذه الصعوبة الموهومة

هذا ولا يليق بي ان أهمل في خطابي هذا اليكم الاشارة الى الاعتراضات الكثيرة المتصدرة من ذوي الكفر ومن غير المسيحيين على صحة الكتاب المقدس بناء على ما يُرى فيهِ من تناقض الآيات. (فاولاً) أقول ان الكافرين لا يرومون بذلك الا ملاشاة الاعتقاد بوحيٍ ما الهي وغير المسيحيين نظراً لما ورثوه من أسلافهم ونشأوا عليهِ من عقائد الدين الذي رضعوه كاللبن منذ الطفولية يرغبون طبعاً في المحاماة عن دينهم والدفاع عن معتقدات آبائهم بكل حمية وحنق بدون ان يمنحوا العقل الحرية الواجبة له في الفحص والامتحان القانوني في القضايا التي تُعرض عليهم — بل غالباً بدون تروٍّ وعلى الفور يكذّبون ما لا يرونهُ موافقاً لدينهم

(ثانياً) لا ينكر وجود اختلاف في بعض كلمات الكتاب وظهور تناقض في بعض آياته غير انه لا يخفى على الذكي البصير ان وجود اختلاف وظهور تناقض في بعض كلمات وآيات الكتاب ليس هو من الدواعي الموجبة لسرعة ابراز الحكم الجازم بعدم صحته بل هو بالاحرى من الاسباب التي ينبغي ان تقتاد القارئ الى الفحص القانوني والتدقيق الوافي عن الازمنة المتوالية التي فيها أنزلت هذه الاسفار الالهية وظروف احوال كاتبيها وعوائد الناس حينئذ لان تباين الازمنة وتنوع الظروف واختلاف

العوائد مع الدواعي المختلفة لكتابتها تجعل طبعاً ظهور تناقض في بعض الجمل

(ثالثاً) انه لدى مطالعة الكتاب بخلوص وتقوى يُرى جلياً ان الاختلافات غير واقعة في القضايا الكلية الموجبة للوحي حتى ان اهمها ليس هو بالحقيقة اختلافاً وما بقي لا يؤثر البتة على غاية الكتاب وقصده

(رابعاً) ان اهمية الكتاب المقدس لدى الله ظاهرة في كل سفر من اسفاره اذ الغاية فيه كما ترون ان يكشف لنا تعالى عن اصل فطرتنا وعلة شقائنا التي هي تعدينا شريعة بارينا وطريقة الخلاص من طائلة الخطية وارجاعنا اليه تعالى الذي ليس لديه شيء آخر أكثر أهمية من جهتنا . فقل لي سيدي أي سفر من اسفار الكتاب يقاوم هذه الغاية ويضادها — ألا ترون ان كل اسفار الكتاب المقدس تشير كما بيد واحدة الى امر واحد وغاية واحدة وهو الامر الخطير الذي نحن بصدده — نعم لانها اجزاء كتاب واحد

ثم ان ما يستحق جزيل الاعتبار هو ان ليس اليهود والنصارى فقط يعتبرون أهمية كتاب الله هذا للانسان بل القرآن نفسه ايضاً يعتبره هذا الاعتبار كما لا يخفى على حضرتكم . وتعلمون أيها المحترم انه قد نطق بالقرآن في اواخر القرن السادس للتاريخ المسيحي الزمان الذي كانت فيه الدولة العظمى في العالم مسيحية وكان المسيحيون اذ ذاك متمتعين بكمال الحرية والرفاهية التي تمكنهم اكثر فاكثر من اشهار ونشر ديانتهم المحبوبة . الزمان الذي فيه وُجد عدة طوائف وفرق نصرانية مختلفة المذاهب والعقائد أضداد بعضهم لبعض وكان الكتاب المقدس بيد كل فريق منهم في لغته الخاصة . فلاحظوا سيادتكم انه في ذلك العصر قد شهد القرآن للنصارى انهم اهل الكتاب بقوله « يا اهلَ الكتاب لستم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والانجيل وما أُنزل اليكم من ربكم » (سورة المائدة آية ٧٢) وقوله ايضاً « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » وقط لم يدّعِ أنهم حرفوه ولم يقل يا أهل الكتاب

لماذا حرفتموه بل حتى تقيموه . فعليه يتضح اذاً من القرآن ان الكتاب التوراة والانجيل كان عصرئذ موجوداً بأيدي النصارى تماماً بدون فساد فاذا كان ذلك كذلك فهل ممكن فيما بعد افساده لا لعمري أمر لا يقبل الريب ان انتشار الكتاب في اكثر الاقطار المتمدنة ووجوده الطبيعي بيد كل فرقة وشيعة نصرانية بلغتها الخصوصية فضلاً عن وجود التوراة بيد اليهود أعداء النصارى عموماً يجعل افساده وتحريفهُ فيما بعد محالاً كما لا يخفى على نباهتكم . اذاً الكتاب هو اليوم تماماً كما كان في عصر القرآن وقبله كما أنزل من الله بدون أقل تغيير في الجوهر والغاية وعدا ذلك انه مؤكد وجود عدة نسخ بلغات مختلفة منذ ذلك العصر وما قبله بأيدي فرق نصرانية محفوظة بكل اعتناء في مكاتبهم وهي وما ترجم وكُتب بعدها بحال الاتفاق العجيب الدالّ لا محالة على حفظ هذا الكتاب بيد من هو قادر على كل شيء وحفظهُ هذا العجيب في كل القرون السالفة من الملاشاة والافساد بين ألدّ الاعداء سياسياً وادبياً الذين افرغوا سدى كل امكانهم على ملاشاته هو من اعظم وأقوى الادلة على كونه كتاب الله سبحانه فهذه الاهمية والعناية الالهية التي لم يحرزها كتاب آخر في العالم جديرة أن تربط قلوبنا به رباطاً لا تفكهُ أيدي المحاولة

بناء عليه ترون حفظكم الله ان القول بتغيير وتحريف الكتاب هو لا محالة تكذيب لشهادة القرآن له فلا يمكن لمسلم ما القول بتغيير وتحريف الكتاب الا بثلم شهادة القرآن ولا يمكن اعتبار شهادة القرآن هذه الا بالقول بعدم تحريف الكتاب وعدم افساده ولا مناص من ذلك

فيا أيها الصديق الفاضل ان كتاب الله هذا الذي قد بانت سلامته لديكم من شوائب التغيير والتحريف أنزل الينا من ربنا لمعشر البشر كافةً اذ نحن خليقته تعالى وجميعنا خطاة أمامه محتاجون الى الخلاص المعلن لنا فيه فلا يحق اذاً لانسان عاقل من أية أمة كانت ان يستثني نفسه من وجوب اقتنائه ودرسه والتدرب بنصوصه

وتعاليمه متى علم هكذا انه كتاب الله العزيز واذ كان لا كتاب في العالم له ما لهذا من البينات والدلائل الراهنة على كونه كتاب الله فما بال حضرتكم تغضون الطرف عنه وتأبون مطالعتهُ بالرغبة والاعتبار الواجبين له . وما اسقم ادعاء البعض بالاستغناء عنه بزعمهم ان هذا الكتاب للأمة الفلانية لا لأمتنا — ما البرهان على ذلك ؟ أَللّه اديان متنوعة يوزعها على كل أمة من خلقه ؟ — كلا وحاشا — الله واحد — وديانته واحدة أفليس هو خالق الجميع يعتني بكل منهم ؟ أما يشرق علينا جميعاً شمساً واحدة ويمطر علينا جميعنا ويعطينا اثماراً وخيرات في اوقاتها ؟ فلماذا لا تكون اعلانات رحمته للجميع ؟ — بلى — هي للجميع — المسيح — شمس البر والحياة هو للجميع — مخلصاً لكل من يؤمن به ولذلك أمر بحمل انجيل نعمة خلاصه لجميع الامم قائلاً « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » فلا غنى اذاً عن كتاب الله كما انه لا غنى عن القوت والماء . هذا وليتأكد سيدي ان يقيني الدائم بفضل حبكم مع اختباري حسن طويتكم ووفرة تقواكم قد بعثاني على تقديم هذه العريضة اليكم معتبراً اياها أجلّ هدية ودادية متوسلاً اليه تعالى ان يجعلها رائقة في اعينكم مقبولة لديكم ووسيلة لاتخاذكم الكتاب المقدس دليلاً ومرشداً في تيه ظلمات هذا العالم الباطل الى السعادة الابدية ورجائي عدم المؤآخذة على هذه المجاسرة مع تشريفي ان حسن براسيمكم البهية وبكل خدامة تلزم فاني رهين الاشارة والامر وطال بقاؤكم

في غرة أغستوس سنة ١٨٦١ الداعي

يوحنا غيور

ثم جلس الشيخ احمد عبد الهادي بعد انتهائه من القراءة وكان الجميع ساكتين يتأملون فيما سمعوه مقدار نحو ربع ساعة ثم قال الشيخ علي قد سمعتم هذه الرسالة وفهمتم لا بد قضاياها فما رأيكم فيها ؟

اجاب السيد ابرهيم مصطفى أما من جهتي فقد فهمت هذه الرسالة واني أراها

لمظيمة المباني قوية الحجة ان صدق الكاتب في مدعاه وليس من السهل الرد عليها فعندي من الواجب ان نبحث في كلٍ من قضاياها ومدعياتها واحدةً فواحدةً بحثاً مدققاً ومن ثم نرى فيما ينبغي اجراؤه

عند ذلك وقف السيد عبد القادر الفصيح وقال :

ايها السادة ان حضرة السيد ابرهيم قد فاه بكلام في هذه الرُّسيلة يوهم انهُ الحق وان لم تكن غايتهُ هكذا . انني أصغركم سناً ودونكم مقاماً وعلماً ولكن حذارِ حذارِ يا اخوان من الاغواء بملق اللسان والانجذاب بحكمة الكتَّاب فلقد طالما نشأ كتاب ملحدون ذوو حكمة في صناعة التأليف والتصنيف أدهشوا العالم بمهارة أقلامهم وسحروا الالباب بحسن أساليب كتاباتهم فكانت لذي جهل كالعسل المطري حال كونها سماً سقطرياً فعندي من الرأي اعدامها ومجاوبة مرسلها بما يؤول الى حسم المحاورة اذ نحن مسلمون مؤمنون بالله وبما أنزل سبحانه في القرآن فلا حاجة لنا الى شيء آخر والسلام .

وبعد ان جلس وقف الشيخ عبد الحليم متوكياً على عكازه لضعفه وكبر سنه وقال يا اخوتي واحباي ان أخي السيد عبد القادر قد فاه بكلام لا يُزدرى به فنعم ما قال بشأن الملحدين وكتاباتهم الكفرية الردية على ان ليس كل اسود عبداً ولا كل حمراء جمرة فلكم من جواهر بين الرمال فربما دسنا باحتقار تراباً كان فيهِ حجرٌ كريم فليس من العدل سرعة العذل — دعونا يا اخوان نتخذ المسألة بالحلم والاناءة متبصرين جيداً في موضوع هذه الرسالة وتفاصيلها — لانه ربما عثرنا على فائدة نحن نجهلها — اننا لم نرَ فيها ما تأباه المسامع وتنكرهُ العقول ولا شيء من الطعن بديننا بل كلاماً لطيفاً محكماً ممزوجاً بامارات الحب والاخلاص فهل والحالة هذه يليق بنا كعلماء طرحها بدون اجتلاء معانيها وامتحان دعاويها فمهلاً يا اخوان ولنتخذ هذه الرسالة محلاً في ساحة تعقلكم حتى يُرى فسادها فتُنبَذ أو صلاحها فتُقبل (اه)

ثم وقف عمر افندي زاكي وقال عندي من الرأي مراعاة ما قدمه سيدي الشيخ عبد الحليم وهو اتخاذ هذه المسألة بالاناءة والتبصر لاستقصاء معانيها واجتلاء مبانيها ليرى الملأ اننا لسنا دون أفضل علماء الامم بالتعقل والحلم والرزانة نقابل المسائل والرسائل بما يحق لها من الاعتبار والحرمة ومن ثم نرى ما ينبغي من جهتها . وبما انه الآن قد صار وقت مناسب لفضّ الاجتماع فان شئتم فلتكن كلماتي هذه خاتمة الحديث بهذا الموضوع في هذه الجلسة ونتخذ لانفسنا فرصة أسبوع كامل ليتمكن كل منا من وقت كافٍ للتأمل والنظر فيما سمع الآن . ثم ان حسن نجتمع ايضاً ونعيد المذاكرة بشأن هذه الرسالة علّنا نتخلص منها بطريقة عادلة فاستحسن الجميع هذا الرأي وعوّلوا عليه . ثم قدّم لهم الشيخ علي شيئاً من الحلويات فأكلوا وانصرف كلٌّ الى محله

الفصل الثاني

وكان في اثناء الكلام في هذه الجلسة ان الشيخ سليمان فاضل كان ساكتاً يلوح عليه كأنه غائص في بحار من الافكار وحين الانصراف ذهب الى بيته وكأنه لا يدري أماشٍ هو أم جالس حتى لطم رأسهُ عتبة باب داره فانتبه ودخل بيته وأحيا كل ذلك الليل وهو يراجع جمل تلك الرسالة ويردد قضاياها مندهشاً من قوة أدلتها وسداد حججها فضاق به الامر وكان يجلس تارةً ويتمشى أخرى وهو يناجي نفسه قائلاً — نعم — نعم — القرآن يشهد للكتاب التوراة والانجيل — يشهد بصراحة لا مزيد عليها ان اليهود والنصارى هم اهل الكتاب ولم يقل قط انهم حرّفوه او بدّلوه او افسدوه حال كونه كان قد مضى على التاريخ المسيحي مدة ستة قرون . اذاً لا ريب هو الآن صحيح وسالم كما كان في عصر القرآن وان كان ذلك كذلك فيكون عيسى المسيح لامحالة الهاً متجسداً مصلوباً فداء عن الخطاة حسب منطوق

الكتاب — فكيف الامر ياسليمان وأنى لك المخرج من هذه الدائرة — هل دين الاسلام باطل ؟ أليس القرآن من الله — بلى — وانما ما اعظم الخلاف بينه و بين الكتاب المشهود له منه — كيف يشهد له هكذا ويخالفه هذه المخالفة الكلية ؟ انني سأكشف امري هذا للشيخ محمود الرافعي لعله يرشدني الى حلٍّ . وهكذا بقي على هذه الحال منزعج البال حتى مطلع الفجر . وكان اذ ذاك قد أنهكه السهر والتعب مما قاسى من جهاد الافكار وانطرح على متكإٍ ورقد نحو ساعتين من الزمان ثم نهض وحمد الله وصلى طالباً منه تعالى الاعانة والهداية . ثم أتى منزل الشيخ محمود فدخل عليه وسلم و بعد أن جلس التفت اليه الشيخ محمود وقال له ما لي أراك يا اخي متغير اللون ؟ أجابهُ انني لا استطيع ان أخفي عن سيدي شيئاً وأرغب ان أخبركم ما جرى لي الليلة فان حسن لديكم دعنا ندخل الجنينة ونتمشى قليلاً فقال حباً وكرامة و بعد أن دخلا وجلسا تحت احدى الاشجار قال الشيخ هات اخبرني امرك يااخي — أجاب الشيخ سليمان أملي وطيد ان تحتمل مني بحلمك ماسأبديهِ لديك وتعاملني بالحب الذي اعهده لي عندكم خاصة . قال تكلم بحرية يا صديقي فاني ابغي راحتك وخيرك . فأثنى عليه وقال : اعلم يا سيدي اني لم أذق الليلة طعم المنام حتى الصباح بل صرفت لبـلي بمراجعة قضايا تلك الرسالة التي وقفنا عليها امس مذهولاً من قوة أدلتها ومتانة حججها وقد اجهدت نفسي عبثاً في ايجاد مخرج شرعي منها واذ قلقت نفسي من ذلك كل القلق رمتُ التخلص من التأمل والتفكر فيها فلم أفز بذلك بل خُيل لي ان صوتاً غريب القوة يقرع أذني بدون انقطاع يدعوني للاقتناع بتلك القضايا المهمة المدوّنة فيها . وكأني ارى فيها حبالاً متينة جداً رابطة ذهني تجذبه بقوة شديدة نحو غاية تلك الرسالة رغماً عن ارادتي فطار نومي ولم أرقد حتى الفجر و بعد التفكر طويلاً قلت أقصد سيدي وسندي الشيخ محمود علهُ يفرج كربي ويريح فكري . فتوقف الشيخ محمود عن المجاوبة هنيهةً ثم التفت الى الشيخ سليمان وقال

يا اخي ان المسئلة التي جالت هكذا في خاطرك وازعجتك هي لأعظم المسائل وأهمها وتستوجب افراغ التأمل والتبصر . ولا ريب ان ما قد جرى لك بسببها من القلق والانحصار هو من عناية الرحمن فكن براحة واصغَ لمقالي . قال تفضل سيدي قال : أنت تعلم يا اخي انشغافي بكلام الله وانصبابي الزائد على تلاوة القرآن . فحدث اذ كنت اتلو بعض سوره بقلب خاشع متصدع عثرت على آية في سورة الانعام جعلتني صامتاً مدهوشاً ساعةً من الزمان لاني قرأتها مئآت من المرات ولم أنتبه اليها حتى الآن — وهي : « أن تقولوا انما أُنزل الكتابُ على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » آية ١٥٦ . اي أنزل على طائفتي اليهود والنصارى فقلت بنفسي كيف يسوغ لنا اذاً التغافل هكذا عن درس كتاب الله . ثم نبهتني هذه الآية الى آيتين أخريين في سورة المائدة وهما : « ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمةٌ مقتصدة » آية ٧٠ « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » آية ٧٢ — فخفق فؤادي لدى تأملي بهذه الآيات المهمة والتهب قلبي شوقاً لذلك الكتاب الجليل والاطلاع عليه . ومن ثم قصدت يهودياً فاشتريت منه نسخة من التوراة ولم اطلبها من نصراني لفكري ان النصارى ربما حرفوها وفقاً لمعتقدهم بألوهية عيسى وصلبه كما هو شائع بين المسلمين. واشتريت انجيلا من مخزن الكتب واخذت بمطالعتهما بكل رغبة ولذة و بالمقابلة بين التوراة والانجيل مستعيناً في ذلك بمؤلف جيل يسمى « مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين » استعرته من بعض اصدقائي المسيحيين فوجدتهما بالحقيقة ينطبقان بعضهما على بعض انطباقاً يصيرهما كتاباً واحداً . ففهمت حينئذ سبب تسميتهما في القرآن « الكتاب » لا « الكتابين » لان روحهما واحدة وغايتهما واحدة . ثم اخذت بمقابلتهما مع القرآن فرأيت القرآن يوافق الكتاب من وجه ويخالفه من وجه آخر . أما وجهُ

الموافقة فهو من جهة الحبل بالمسيح من دون رجل وحياته الطاهرة ومعجزاته البديعة ونسبته على نوع ما لله انه روح الله وكلمتهُ لان الانجيل ينص هكذا ولا خلاف بذلك بينهما الا فقط بنسبتهِ لله خلافٌ جزئي باعتبار آيات الكتابين لان القرآن يقول عنه روح الله والانجيل ابن الله . وأما وجهُ الخلاف فهو في ألوهيـة المسيح وموتهِ وكفارتهِ الخ

عند ذلك اضطربت نفسي وانزعجت روحي من هذا الخلاف العظيم حتى انتحل جسمي وصرتُ كمن اعتراه مرضٌ مزمن الى ان زارني يوماً استاذي المرحوم الشيخ رشيد الكيلاني وبناء على ما أعهده من رقة أخلاقهِ وكرم طباعهِ رأيت ان اكشف له الامر اذا سنحت لي الفرصة . وبعد ان جلس قلت أرغب ان أستفيد من سيادتكم عن سؤال . قال سَلْ ما بدا لك فشكرتهُ وقلت. أين التوراة والانجيل اللذين يشهد لهما القرآن الشريف.أجاب اعلم يا ولدي ان خلاصة التوراة والانجيل محوية في القرآن . قلت نعم ان القرآن يحوي جملاً برمتها من ذلك الكتاب ولكن ذلك لا يروي غليلاً فاحب الوقوف على الاصل . قال ان الاصل قد أفسده اليهود والنصارى بتحريفهم اياه فان اليهود قد اختلف علماؤهم في الرأي والمعتقد فحرّف كلٌّ منهم شيئاً من التوراة حسب هواه ومذهبهِ والنصارى زعموا ان عيسى ابن مريم الهٌ وان اليهود قد أماتوهُ صلباً وانهُ بموتهِ هكذا قد محى خطايا أمته فحرّفوا الانجيل تحريفاً يوافق زعمهم — قلت وهل يحرّف اليهود توراتهم تحريفاً يوافق زعم النصارى وانجيلهم المحرّف . قال كلا — قلت اذاً ما معنى تلك النبوات العديدة في توراتهم المنبئة عن عيسى المسيح انباآت جلية توافق بالتمام زعم النصارى وانجيلهم وعلى الخصوص الاصحاح الثالث والخمسين من أشعيا حيث قيل فيـه « ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروحٌ لاجل معاصينا مسحوقٌ لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليـهِ وبجبره

شُفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كلٌ واحدٍ الى طريقهِ والربُّ وضع عليهِ أثم جميعنا ضُرب من أجل ذنب شعبي وجُعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موتهِ على انهُ لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمهِ غشٌ » . الى ان يقول . « بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها من أجل انه سكب الموت نفسه وأُحصي مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين » وقس على ذلك كثيراً من النبوات المشخصة عيسى بن مريم كإلهٍ وانسان فادي الخطاة بدمه تشخيصاً يطابق الانجيل ويوافقه من كل وجه فاذا كان اليهود غير محرّفين توراتهم تحريفاً يوافق زعم النصارى وانجيلهم المحرّف كما قلتم سيادتكم فكيف اذاً يوجد فيها مثل هذه النبوات التي تنطبق هكذا على الانجيل انطباقاً يصيرهما كتاباً واحداً نعم كتاب واحد كما يشهد القرآن الشريف بقوله « ان تقولوا انما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا — الآية » . الذي يبين عدم تحريف النصارى انجيلهم وان معتقدهم بالمسيح ابن مريم مبنياً على أسس راسخة ومتينة — فكيف التخلص مولاي من هذا المشكل والخروج من هذه الدائرة . فصمت الشيخ برهة فنظرت اليه واذا هو عابس مقطب الجبين يلوح على وجههِ لوائح الغيظ الشديد ثم قال بصوت جاشٍ « أراك يا محمود تميل جداً الى دين النصارى السقيم بل كأنك صرت نصرانياً فهل نترك دين الله الاسلام . ويحك كن على حذرٍ من ذلك . ولا تخسر نفسك دنيا وآخرة » فلما رأيت منه ذلك بخلاف المعهود من حلمه ورقة اخلاقه أخذتني الحيرة فقلت بقلبٍ قد خامره الخوف حاشا يا مولاي ان أترك الصراط المستقيم انما رغبتي في الافادة من سيادتكم عل مثل هذه الأمور كي أقدر ادفع بعدل هجمات النصارى الدينية — وهل يليق بنا ان نكون أضعف من علماء النصارى وأقصر باعاً في ميدان البحث والمحاورة قال كلا كابطال نثبت في ميدان المحاورة والمناظرة هجوماً ودفاعاً محامين عن شرف ديننا حق المحاماة من وجهين . الوجه الاول هو ان النصارى يشركون بالله اذ يجعلون

له ابناً مساوياً له في الازلية والقدرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد . والوجه الآخر المناقضات الكثيرة في كتابهم فانك ترى آية تناقض آية وقصة تناقض قصة . ألم تطلع على كتاب « اظهار الحق » لرحمة الله الهندي — طالعه وتأمله جيداً فترى ما أفسد الديانة النصرانية وما أحق وابهى الاسلام فانت يا محمود بسيط القلب سريع الانخداع فانتبه واحذر ولا تضل مع الضالين — أما انا فلما لحظت شدة انفعاله من حديثي أمسكت عن الكلام ، ثم بعد برهة قام وخرج من عندي فشيعته الى خارج الباب وقبّلت يديه مرتين متوسلاً اليه الا يؤاخذني بما قد تجاسرت به فاجابني بالايجاب ثم انفردت في مخدع واخذت بالصلاة لله بدموع غزيرة طالباً منه تعالى ان يرشدني ويريحني وانعكفت اكثر فاكثر على درس الكتاب ولكن بقلق وخوف ليسا بقليلين . فكنت بالنظر الى هذه الحال كفُلكٍ صغير تتقاذفهُ الامواج لا أعرف ماذا أعمل حتى جرى ما قد جرى من ورود هذه الرسالة واجتماعنا في منزل الشيخ علي فلاح على قلبي فجر صباح مبارك . أسأل الله وهو اكرم مسؤول ان يعقبه ببزوغ شمس ساطعة النور . ثم سكت وكانت عيناه الحادّتان مغرورقتين بالدموع فأثر ذلك وأي تأثير في الشيخ سليمان الذي كان يسمع الحديث بكل اصغاء ووقار . ثم غب ان لبثا برهة صامتين قال الشيخ سليمان بالحقيقة ان أمرك هذا يا سيدي لأعظم مما أنا فيه واني لاحمد الذي قادني الى كشف أمري الى رجل قد حصل له فوق ما حصل لي وحقاً ان الملاحظات الجيدة التي لاحظتموها سيادتكم في الآيات القرآنية بخصوص المسيح والكتاب من النادر جداً ان يلاحظها مسلم من دون اشتباكه مع علماء النصارى في كذا حديث أو من دون اطلاعه على بعض تآليفهم بهذا الشأن فهلمّ الآن سيدي ان شئت نخوض قليلاً في مثل هذا الحديث الذي لا ارى ألذ ولا أهم منه فقل لي هل ظهور المناقضات في الكتاب يوجب طرحه كلح قد

فسد اذا كانت في الجزئيات دون الكليات قال كلا ولكن يا ترى ما سبب ظهور هذه المناقضات وهل هي دخيلات أم أصيلات. أجاب الشيخ محمود أرى ان بعضها أصيلات وبعضها دخيلات وأرى ان الاصيلات ليست هي بالحقيقة مناقضات ولكنها تظهر هكذا لغير المتعمقين في الكتاب وذلك ناشئ طبعاً من تباين أزمنة كتابة أسفاره واختلاف عوائد تلك الازمنة وتباين عوائد كل من المكتوب اليهم تلك الاسفار وغاية الكاتب بالنظر الى ذلك. والدخيلات هي حسب فكري لا بدَّ تكون قد وقعت سهواً من نسَّاخ الكتاب في القديم وهي ما لا يعتد به كما لا يخفى ولا تؤثر البتة في صحة الكتاب وغايته. وأما القضايا ذات الاهمية فيه فلا يُرى فيها شيء من التناقض بل هي متفقة متحدة معاً كحلقات سلسلة واحدة من معدن واحد. وماذا تفتكر ألا يوجد في القرآن مناقضات — بلى — يوجد شيء من ذلك نعم بل عدد وافر بعضها في القضايا ذات الاهمية كما لا يخفى ومع ذلك لا ينبذه العلماء اذ ينسبون ظهور ذلك الى عدم فهم الانسان كنه الكتاب فكم بالحري لا يسوغ بوجه ما نبذ الكتاب المقدس بناء على ظهور بعض الاختلافات في جزئياته وله من الادلة والبينات الراهنة ما يكفي للاقتناع بانه كتاب الله

صدقت يا سيدي وشهادة القرآن للكتاب في القرن السادس للتاريخ المسيحي جديرة ان تقود الامة المحمدية لاعتبار سلامة التوراة من التحريف والتغيير اذ تحريف الكتاب فيما بعد بعيد الامكان كما يزعم صاحب الرسالة هذا والعقل لا يسلم ان الله القادر لا يحفظ كتابه العزيز من الخلط والافساد بل ما يرتاح اليه العقل هو ان كان الله جلَّ شأنه أنزل كتاباً الى خلقه لا بد ان يبقيه سالماً صحيحاً الى نهاية العالم شاهداً لكمال عظمته تعالى ووجوده غير المتناهي وأما الكتاب المنسوب لرحمة الله الهندي الموسوم « باظهار الحق » الذي يتسلح به كثيرون ضد الكتاب فالاحرى به ان يوسم « باخفاء الحق » لا اظهاره لانه عدا خلوه من روح الاخلاص

والتقوى يرى باقل تبصر ان غايته الهدم لا البناء . وهو قط لا يضرب على أركان الكتاب وأساسه بل على شرفاته كما يشير صاحب الرسالة فيرغب في ان يقنعنا بكونه محرّفاً ومُفسَّداً بناء على تباين شرفاته مثلاً واختلاف الوانها ولكنه لا يوجد فيه البتة بينة على ذلك تقوم بازاء الادلة الراهنة والبينات القاطعة على صحة سلامته . ولا يخفى ان المبدأ الذي اتخذه هذا المؤلف لبيان فساد الكتاب اذا فرضنا صحته لزمنا الاقرار بتحريف القرآن ايضاً فهو بذلك اشبه بمن يقصد هدم بيت انسان لزعمه انه سقط لا يصلح للسكن ولا يبني له آخر بل ان سلم له يفعل و يتركه بدون مأوى فلا ارى غاية هذا الكتاب الا هدم المعابد ومحو آثار الدين عن وجه الارض (وقى الله كتابه ودينه من كل آفة و باغ ظلامة) وقد نوهت فيما تقدم انه قط لم يتعرض لافساد البراهين الراهنة التي بها يحامي ائمة النصارى عن كتابهم التي منها :

(أولاً) نجاح الانجيل في العالم وتغلبه على عناصر قوية جداً بدون مداخلة القوة العالمية والحكمة الانسانية

(ثانياً) وجوده بلغات عديدة بأيدي أمم مختلفة العوائد والمذاهب بدون فرق يُعتبر في قضاياه الجوهرية وغايته

(ثالثاً) وجود نسخ خطية وافرة العدد قديمة العهد جداً طبق النسخ الحالية .

(رابعاً) مطابقة التوراة للانجيل مطابقة تُعتبر كما ذكرتم سيادتكم حال كون كلٍّ منهما بيد طائفة عدوانها للاخرى اشهر من نار على علم . اذاً هذا المؤلف اسم بلا مسمى لا يستحق شيئاً من الاعتبار من اهل الدين على الاطلاق . قال الشيخ محمود : نعم يا اخي كتاب الله هو كما أنزل فهو كجبل صخري شامخ راسخ لا تؤثر فيه الانواء ولا تضرّ بهِ امواج الاعتراضات والقدح بل كلما تراكمت عليه ازداد مجداً وبهاء . ولكن يا للمضادة الجسيمة والخلاف العظيم بينه و بين القرآن في مسئلة المسيح كما تقدم فاذاً لا بد من رفض احد الكتابين بالنظر الى ذلك اذ

لا يمكن قبول الواحد بدون رفض الآخر وهذا الامر يزعجني وأي انزعاج . ان اتخذت رأي الكتاب بخصوص لاهوت المسيح وموتهِ بالجسد فداء عن الخطاة اكون قاومت القرآن وتركت الاسلام . وان اتخذت رأي القرآن وعملت به اكون رفضت كتاب الله المبين المشهود له من القرآن فأقع لا محالة تحت سخطهِ تعالى فأياً منهما أختار ؟ على اني اشعر في داخلي بميل كلي نحو الكتاب كأن يداً غير منظورة تدفعني بعنف نحوه ولقد طالما قاومت هذا الميل حتى عجزت عن المقاومة فأنا الآن اختار الكتاب دليلاً ومرشداً في الايمان والعمل والله حسبي ونعم الوكيل . فماذا ترى يا اخي وما فكرك ؟ فاجاب الشيخ سليمان بما انه قد بدت لنا صحة الكتاب الالهي وسلامته كما تبدو الشمس في رابعة النهار فمن الجهالة ان لا نعتمده قانوناً لحياتنا ونوراً لسبيلنا فرأيي رأيكم من هذا القبيل وأي شيء ألذ للعقل وأسلم للقلب وأريح للضمير من التمسك بسبيل الحق ؟ قال الشيخ محمود : اني لمسرور سروراً لا يُقدَّر بموافقة فكرك فكري ورأيك رأيي وحقاً لا سلام ولا راحة للضمير الا باعتناق الانجيل الذي اعلن لنا موافقة عدل الله ورحمتهِ « بيسوع المسيح » . قال الشيخ سليمان بعد ان اظهر مزيد سروره بهذه الموافقة والاتحاد : ارجوك سيدي ان تسمح لي ان اقول ايضاً شيئاً في امر القرآن بالنظر الى المسيح لاجل تتميم الفائدة واللذة قال تفضل . قال اني ارى بين القرآن والكتاب مقاربة كلية من جهة المسيح في ثلث قضايا : القضية الاولى — ولادته من دون زرع رجل . القضية الثانية — اتيانهُ بمعجزات كلية منذ طفوليتهِ . القضية الثالثة — نسبته لله كما اشرتم بقولكم السالف فالكتاب يدعوه ابن الله وكلمته والقرآن روح الله وكلمته فهذا التقارب كلي حتى يكاد يكون القولان واحداً فلا غرو ان وصف المسيح هكذا في القرآن وصفاً يكاد يكون كوصف الكتاب له يدل على سموّ المسيح على البشر قاطبةً والا فما الداعي لولادتهِ على نوع خارق ناموس الطبيعة . أيفعل الله شيئاً بدون داعٍ ؟ حاشا وكلا — أما يقودذلك الى الفكر

بأن الذي وُلد من البشر بدون أب هو ابن الله حسب منطوق الكتاب وان الذي أتى بمعجزات لم يسبقه اليها نبيٌّ حتى معجزة الابداع حسب القرآن هو سيد الانبياء والمرسلين ورب العالمين حسب الكتاب وان كان المسيح مثله كمثل آدم انساناً فقط مرسلاً من الله لماذا دُعي في القرآن روح الله وكلمته مستثنى بهذا النسب عن الانبياء والمرسلين كافةً . الان هذه الامتيازات العظيمة والنسب الكريم تدل على ان المسيح شخص عجيب فريد في ذاته وكمالاته وسموّ شرفه بين البشر . فالقرآن يدل على غرابته وتفرده وسموّ شرفه على انبياء الله ومرسليه كافةً بمثل القضايا المذكورة بدون ان يكشف لنا الغطاء عن سره الباهر المعلن في التوراة والانجيل اللذين يحتاجهما كل مسلم ليرى سر الشخص العجيب الموصوف في قرآنه

قال الشيخ محمود نعم ان المسيح في الكتابين فرد عجيب والمستغرب كثيراً عدم ملاحظة علماء المسلمين ذلك في القرآن وهم يتلون سوره فاني قرأته اكثر من خمسمائة مرة حتى استظهرت اكثره ولم أنتبه في اثناء ذلك الى هذا الامر الخطير وقط لم أكن مغرماً في عيسى قدر عشر غرامي في محمد حال كونه هو الموضوع الجوهري في الكتابين والمحور الوحيد الذي عليه تدور كل اقوال الله بل هو كالمركز الشمسي تدور حوله الكواكب مستمدةً النور منه . فلنتشجع يا صديقي ولنتكلم بحرية بشأنه في الجلسة القادمة ولكن ليس على سبيل الخبر أولاً بل على سبيل السؤال والمخابرة وليبارك الله اجتماعنا وليشرق نور حقه على اذهان اصحابنا كافة . وأرى الانسب لنا أن ندعو السيد عمر الحارس ونطلعه على افكارنا هذه ونأخذ رأيهُ في ذلك فاني أثق به جداً لانه انسان مستقيم عاقل حسن الطوية وهو صديقي منذ حداثته وقد أطلعته قبلاً على بعض افكاري بخصوص الكتاب فسرّ بذلك كثيراً . وهو يتكلم باعتدال واخلاص على ما يتضح له لا يراعي حرمةً للهواء والغرض ولا يتكلم بخلاف ما في قلبه لعله يكون عضداً لنا في هذه الجلسة والخيط المثلوث لا ينفصم . قال الشيخ سليمان

أحسنت . فأرسل للحال الشيخ محمود فدعاه و بعد السلام وترديد التحيات قصا عليه ما كان بينهما من الحديث وما عزما عليه فبقي ربع ساعة لم يفه بكلمة وكان يظهر على وجهه لوائح الذهول والتحفظ فقال له الشيخ محمود قد دعوناك لتبدي لك امرنا لعلمنا بما عندك من الاخلاص والاستقامة وانك تحامي عما يبدو لك من الحق بكل امانة ونشاط فما تراه صواباً في قصدنا فاحكم به وما تراه خطأ فأرنا اياه وان شئت كن معنا في الحق وعلينا في البطل كما هو دأبك . فاجاب حاشا لك يا سيدي من ارتكاب متن البطل غير ان سكوتي ناشيء عن سببين (الاول) هو تأملي في القضايا التي سمعتها قبل الحكم عليها (والثاني) تبصري في سوء المعاملة التي ينتظر أن تصادف من تمسك منا بهذا الامر الذي قد تقرر في ذهنكما وأما ما ذكرتموه فأرى انه قرين الصواب من وجهين (الوجه الاول) هو الادلة الراهنة على صحة الكتاب التي لا تترك البتة مخرجاً شرعياً لمنكري صحته . (الوجه الثاني) المقاربة الكلية .او بالحري المطابقة المعنوية غير المقصودة بين القرآن والكتاب من جهة ألوهية المسيح . أما أنا فاني رجل ضعيف على احتمال المقاومة فأسأل الله المساعدة . و بعد المحادثة ملياً بهذه الامور وتشجيع بعضهم بعضاً انصرف كل الى مكانه . وكانوا في كل يوم يخرجون نحو الساعة العاشرة الى تل خارج البلد متحدثين في تلك الامور المهمة الى ان انتهى الاسبوع

الفصل الثالث

ولما كان الوقت المعين للاجتماع اجتمع كل العلماء المتقدم ذكرهم في منزل الشيخ علي و بعد أن استقر بهم الجلوس وحيا بعضهم بعضاً وقف الشيخ علي وافتتح الجلسة بما يأتي : سادتي الاحباء اني مسرور جداً باجتماعنا معاً بالمحبة مرة أخرى في محلكم هذا لغاية دينية صالحة فأرى من الواجب نبذ روح الشقاق الادبي وتربية حاسات

المحبة الجنسية في القلب لكل من بني آدم وترك التعصب الديني والبحث باخلاص وأمانة ونشاط عن الحق الالهي باستمداد ارشاد المولى الكريم . فلنبحث في المسئلة التي لاجلها اجتمعنا الآن ولنبدي بكل حرية افكارنا ونبث فيها آراءنا وليبارك الله اجتماعنا ويلهمنا الخير والصواب لمجد اسمهِ الكريم آمين

ثم جلس فطلب بعضهم ان تتلى عليهم ايضاً تلك الرسالة فوقف الشيخ احمد عبد الهادي وقرأها مرة أخرى بكل تأنٍ ووضوح وكان حينئذ كل من الحاضرين يستعمل قلمهُ بكتابة خلاصة قضاياها وبعد الانتهاء من قراءتها كان الجميع سكوتاً يتأملون ويزنون تلك القضايا ثم اخذوا في الحديث أخذاً ورداً سلباً وايجاباً الى ان وقع الاتفاق على التأمل في قضايا الرسالة واحدة فواحدة ان امكن والمداولة فيها بالتي هي احسن . وأول تلك القضايا صحة التوراة واختاروا لذاك عمر افندي زاكي والسيد ابرهيم مصطفى

فوقف الاوَّل وقال—قد أوقع صاحب الرسالة نفسه في حفرة التناقض بادعائهِ أولاً سلامة التوراة من التحريف والتغيير ثم باعترافهِ بذلك على نوعٍ ما بقوله « لا ينكر وجود اختلاف في بعض كلمات الكتاب ... لان تباين الازمنة وتنوّع الاحوال واختلاف العوائد يجعل طبعاً ظهور تناقض في بعض الجمل » فما ذلك الا لانهُ لم يستطع انكار الاختلاف والتناقض الموجودين في التوراة اللذين أتى بهما أهل الغايات وأرباب المفاسد

فوقف حينئذٍ السيد ابرهيم وقال—لا يرى في هذه الجملة نقضاً لمدَّعى صاحب الرسالة المذكورة لان القول بظهور تناقض ليس هو اقراراً بالتناقض والاعتراف بوجود اختلاف في بعض كلمات الكتاب ليس هو اعترافاً بتحريفهِ وتغييره ما دام الكاتب يعلق صيرورة ذلك على تباين الازمنة التي كتبت فيها أسفار الكتاب وأحوال كاتبيها واختلاف العوائد حينئذٍ مع الدواعي المختلفة لكتابتها

(عمر) سيان عندي اعترف بذلك أو لم يعترف لان عدم اعترافه بتحريف الكتاب ليس ببرهان على عدم تحريفه وما دام الاختلاف في الكتاب بادياً لذي عينين فلا حاجة لنا الى بينة خارجية

(ابرهيم) ان حضرة عمر افندي اعتبر بعض ما في كلمات الكتاب من الاختلاف دليلاً على تحريفهِ فلزمني ان أمكن افساد هذا الدليل .لا يخفى ان كلمة تحريف أو تغيير تتضمن وجود غاية في نفس الفاعل ألجأتهُ الى الفعل — أليس الامر كذا يا سادتي — أجاب الحاضرون بلى ولا بد — فقال واذا كان ذلك كذلك فهل من غاية تُرى في ما يوجد من الاختلاف في بعض كلمات الكتاب . فتوقف عند ذلك عمر افندي برهة عن الجواب لما رأى من قوة دفع مناظره ثم قال لا أنكر احكام دفع السيد ابرهيم بيدَ اني اقول ربما في ذلك من غاية نحن نجهلها وما أتى بهِ كاتب الرسالة المشار اليه من بيان علة اختلافات كهذه لا يروي غليلاً

(ابرهيم) هل من محل لكلمة؟ ربما ما دامت هذه الاختلافات تظهر عرية عن غاية ما واذا كان ما تقدم من ذلك الكاتب بهذا الخصوص لا يروي غليلاً لمناظري الكريم فنيابةً عنهُ أزيده ان شاء الله بما من شأنه ان يذهب بكل غليل منه . — فعلى الفرض ان في تلك الاختلافات غاية مجهولة عندنا فهل يا ترى يقدم انسان ما على تحريف كتابة بدون غاية اما لخيره واما لشر غيره

(عمر) كلا ما لم يكن أبله أو معتوهاً

(ابرهيم) حسناً — وأية غاية من كلا النوعين تظهر للاسرائيليين في وجود هذه الاختلافات في توراتهم وألا يرى المخلص انه لو شاء اولئك ايقاع تحريفهم في توراتهم لكانوا بالاولى أزالوا منها مثل هذه الاختلافات بحيث لا يبقى لاجنبي سبيل للتنكيت عليها بوجه ما وذلك سهل لديهم كل السهولة كما لا يخفى

(عمر) نعم لا يرى البتة لبني اسرائيل غاية في ذلك على اني لا أقدر ان

أحيد عن الفكر بكون تلك الاختلافات دليلاً على وقوع تحريف فيه الا باقامة دليل أقطع مما تقدم

(ابرهيم) ان ما تقدم هو كاف لاقناع أهل الذكاء نظير حضرتكم بعدم مس كتاب الله باصابع التحريف والتغيير فلا أرتاب بكون سيادتكم تبغون في طلبكم هذا غاية الايضاح والجلاء وعليه فالدليل الفاصل القاطع كل ريب على سلامة التوراة من شائبة التحريف والتغيير هو عدم موافقتها في أمور خطيرة لمن هي بيدهم كما أشار الى ذلك كاتب الرسالة المذكورة اذ هو لأمر مشهور ان اليهود قد سقطوا مراراً في عبادة الاصنام المنهي عنها في توراتهم باقوى تشديد واعظم تهديد ووعيد وأنكروا ابداً ارسالية عيسى المسيح من الله المنباء عنه أوضح الانباء واعظمها ومع ذلك لم يمدوا يداً الى تغيير تلك الوصايا والنواهي عن اتخاذ الصور والتماثيل ولا الى شيء من تلك النبوات الشاهدة ابداً على سوء غلطهم وشر كفرهم برفضهم مسيحهم ابن مريم فمن لا يرى انهم لو رأوا تحريف توراتهم أو لو سمح الله لهم بمد يدهم لتحريفها لكانوا حرفوها تحريفاً يوافق اهواءهم ويسند ضلالهم هذا — ومع ان تعاليم اكثر النصارى (وعلى الخصوص الكنيسة الرومانية المشحونة بالتعاليم والطقوس) مغايرة للتوراة لا سيما صورهم وتماثيلهم المالئة معابدهم ضد وصايا الله على خط مستقيم لم يقدموا على حذف أو تغيير أو تبديل وصية من وصاياها بل لم تزل ابداً نسختهم اللاتينية كما في العبرانية شاهدةً على قبح هذا الصنيع . ومما يستحق الاعتبار ان الكنيسة الغربية حذفت في تآليفها الدينية كما لا يخفى وصية الله الثانية من وصاياه العشر وشطرت العاشرة شطرين باعتبارها وصيتين تطبيقاً للعدد . ذلك حذراً من فتح عيون عامة ابنائها ضد عبادة الصور والتماثيل ولكنها قط لم تتجرأ على هذا الارتكاب القبيح في التوراة . ولذا حجزتها عن الشعب وحرّمت احرازها ودراستها حذر الانتباه . فلا جرم ان ذا من أقطع الادلة على حفظ الكتاب العزيز

من شائبة التحريف والتغيير مضبوطاً بيد الضابط الكل . وبيان ان الرسول (صلعم) قد أدرك الامر تماماً ولذلك شهد بوحي الله شهادةً مطلقةً مستوفيةً بان اليهود والنصارى هم اهل الكتاب وانها (اي التوراة) تماماً على التي احسن ونورٌ وهدًى . وقط لم يقل كقول المسلمين في ايامنا انهم حرّفوه أو غيّروه والا لبكّتهم على ذلك انما عوضاً عن الدعوى منهُ بتحريفه وتقريعهم عليه حضهم على القيام بما فيه . ولعمري ان ذلك امر لازب لالزام المسلمين بالاعتقاد بعدم تحريف الكتاب ولا مناص من ذلك . ثم التفت الى الحاضرين وقال ألا ان الامر كذا هو يا سادتي ماذا ترون ؟ فاجاب اكثرهم لا نرى خطأً في ما قلتم واذا كان عند عمر افندي دفع لذلك نرغب في ان نسمعه

(عمر) ان ادعاء كاتب الرسالة بمطابقة التوراة العبرانية لجميع النسخ الموجودة بايدي طوائف النصارى بلغات متعددة ساقط لوجود فروقات عديدة واختلافات جمة بين العبرانية وباقي الترجمات وكذا بين ترجمة وأخرى حتى ان التراجم العربية لا تنطبق الواحدة منهن على الاخرى . ومن لا يصدق ذلك فعليه بالمقابلة فيرى من أول وهلة خطأ المذكور في مدعاه . فصفق من ثم السيد عبد القادر وقال « طيب الله أنفاس عمر افندي الحمد لله قد بدا الحق واعتلن وسقطت دعوى النصراني في ما زعم » . فقال له الشيخ محمود مهلاً يا سيد عبد القادر على كلٍّ لقد أجاد في ما قال عمر افندي فدعنا نرى عند السيد ابرهيم من دفع لذلك

(ابرهيم) كان الاجدر بمناظري الكريم الاَّ يتعدى الى مسألة أخرى قبل ان يسلم بالمسألة التي نحن بصددها أو يدحضها ان أمكن حسب حق المناظرة وعليه أرجو من مكارم أخلاقه اما التسليم بسلامة التوراة مما ذُكر أو نقض أدلتي المتقدمة بهذا الشأن ثم ادفع ان شاء الله ما أمكن مقالتهُ هذه

(عمر) بل ارجوك ان امكنك دفع مقالتي هذه وفيما بعد التزم اما الاعتراف

بسلامة التوراة من التحريف أو نقض أدلتكم ان امكن بما هو اعظم منها — قال الشيخ احمد عبد الهادي همساً « هيهات ذلك لعمري من المحال »

(ابرهيم) امركم سيدي . أدفع ذلك بدليلين (الدليل الاول) هو وجود أجلّ التراجمات المعول عليها قبل ظهور الرسول (صلعم) بزمان طويل كما لا يخفى . ومن المعلوم ان الترجمة السبعينية كانت اكثر شيوعاً في مصر والمغرب والسريانية بين اهل سوريا كما واللاتينية في أوروبا فلو كان ما بهن من الاختلاف في بعض القرا آت يعدّ تحريفاً او تغييراً لما اغضى عنه الرسول (صلعم) بل لاشك كان ذكره في القرآن وأقله ما كان جاء فيه تلك الشهادات المعتبرة القاطعة كل ريب بسلامتها (الدليل الثاني) عدم الاختلاف بينهن من جهة القضايا تاريخية كانت او شرعية او نبوية فهات أرني أية قضية من القضايا المشار اليها مختلف عليها اختلافاً جوهرياً في هذه الترجمات ألا ان التاريخ من قصة ابينا آدم الى آخر تاريخ بني اسرائيل هو شيء واحد فيهن كافة وكذا الناموس والانبياء . اما الاختلافات الجزئية والعرضية فيهن التي لم يخلها النبي تحريفاً كما تزعمون فهي مما لا بد منه في الترجمة من لغة الى اخرى بناء على تفاوت المترجمين في معرفة كلتا لغتي المترجم منها والمترجم اليها — ولا جدال في ذلك

(عمر) اخالك ارتكبت الشطط نوعاً يا سيد ابرهيم في ما ذكرت عن النبي صلى الله عليه وسلم انهُ لو رأى بين هذه التراجم من الخلفة في بعض الكلام تحريفاً لما اغضى عنه الى آخر مقالك كانك نسيت انه بين يهود العرب لم توجد التوراة سوى بلغتهم الاصلية فليس اذاً لتلك التراجم حظ بشيء من شهادة القرآن للتوراة ولو وُجدت تلك التراجم لديه لما اغضى عن الاشارة الى تحريفهن

(ابرهيم) لقد اصبحت وأهل التوراه بأشد الامتنان لمناظري الكريم لاعترافه بمصادقة النبي لصحة التوراة الكائنة حينئذ بلغتها الاصلية وهذا جل مايرومهُ

اليهود والنصارى من المسلمين لان المرجع في هذه المسئلة الى الاصل العبراني ولله الحمد ان هذا الاصل لم يزل موجوداً عند قبائل اليهود في كل الاقطار وهو كما يروي المطالعون المدققون واليهود العبرانيون انهما لا تختلف بقضية ما مما سبقت الاشارة اليه عن الترجمات الفرعية فهل تسلمون حضرتكم وسائر المسلمين بصحة سلامة التوراة العبرانية — وألا ترى سيادتكم ان ما ذكرته هو طعنة قوية بنبوة النبي (صلعم) لانه اذا كان نبياً فكيف لا يعلم ما انطوت عليه تلك التراجم قريبة منه او بعيدة عنه

(عمر) أقرّ لك يا سيد ابرهيم بطول الباع في هذه المسائل فارجوك خفض الامر بالنظر الى هذه المسئلة من باب البساطة والاتيان اليها باقرب الطرق — على كل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ويرجح انه لم يكن حينئذ بين اليهود المدنيين او غيرهم توراة عربية يمكن للنبي الوقوف عليها بواسطة بعض الصحابة القارئين حتى يمكنه معرفة ما طرأ عليها من التحريف والخلل . وما بلغ ذهنهُ عنه يرجح انه بلغه بواسطة بعض اليهود واحبارهم فكتب كما علم والله اعلم . حينئذ صاح السيد عبد القادر « وا أسفاه يا عمر افندي لقد خطأت النبي والقرآن . أيحتاج نبي الله من يخبره عن التوراة او يكتب في القرآن شيئاً استناداً على قول من قال وهو مُنزّل من الله سبحانه ؟ أجابه عمر افندي وقد غطى الخجل وجههُ نعم يا اخي بيان ذلك غلط مني ولكن ارجوك أين المهرب من الالتزام بالتسليم بسلامة التوراة من التحريف ونبيُّنا قد شهد بانها كتاب الله على التي هي احسن — اذاً علينا ولا مناص بالاعتراف بسلامة توراة الله من شائبة التحريف والتغيير لان القول بعدم تحريف التوراة حتى عصر النبي يقضي لا محالة بعدم تحريفها فيما بعد كما اشار اليه كاتب تلك الرسالة وكما يرى كل عاقل مخلص

فوقف حينئذ حسن افندي قباواتي وقال « اصحوا يا مسلمين واحذروا من التسليم بما ينافي القرآن العزيز ويثلب سيد المرسلين. أتجهلون في أي مركز يتم نتيجة

التوغل بحديث انتم في غنىً عنه . كفاكم اما يكفيكم ما أنزل لكم من الآيات الرواسخ النواسخ في قرآن لو اجتمع الانس والجن لما أتوا بسورةٍ من مثله .—اجابه الشيخ محمود « عجباً لقولك هذا وأنت تتلو بوقارٍ شهادة القرآن للتوراة والانجيل أمحرّم عليك ان ترى في كتاب ينسبهُ القرآن لله ويدلك اين هو — اننا لم نزل في مركز اعتبار القرآن فارجو من لطفك امعان البصيرة في ماقيل ويقال في خلال هذا الاجتماع ثم احكم لنفسك بما تريد » ثم قال للحاضرين « بما ان الوقت قد مضى نرجو ان حسن لديكم النظر قليلاً في البيّنة الاخرى على عدم تحريف التوراة فمن تختارون للمناظرة في ذلك » فأجاب الاكثرون نرغب في ان يكون حسن افندي رادًّا والشيخ سليمان مدافعاً فأبى حسن افندي وامتنع فألحوا عليه حتى قبل ومن ثم وقف وقال على مَ اتكلم والبينة الاولى قد حلّت أسمى محلٍّ في اذهانكم بحيث لم يبقَ عندكم أدنى ريب بعدم تحريف التوراة فلا حاجة بعد والحالة هذه الى النظر في أمر البينة الاخرى — يكفي — (الجميع) بل نرجوك قبول التماسنا — لا حول ولا — أمركم

(حسن) ان صاحبنا يزعم ان اتمام الحوادث المنبإ عنها في التوراة قبل حدوثها حسب زعمه هي دليل ثانٍ على عدم تحريف التوراة الى آخر مقاله بهذا الشأن فما أدراه ان اليهود حرّفوا توراتهم بعد وقوع تلك الحوادث ثم استلمها النصارى منهم محرّفة وانهم أتوا ذلك ليبينوا للعالم اكثر فاكثر عظمة كتابهم المنزل

(الشيخ سليمان) بعد ما اتضح عدم تحريف التوراة مطلقاً بالنظر الى البينة الاولى لا أرى محلاً بعد لمقال حسن افندي وبغضّ النظر عما تقدم يدفع هذا الزعم الواهن بما يأتي . أولاً ان جزءاً كبيراً من تلك النبوات هو عن سوء مصير حالة اليهود بناء على ارتدادهم عن عبادة الله ونبذ وصاياه ومنه ما هو مضادّ أفكارهم وأعمالهم بالنظر الى الحوادث المنبإ عنها فيه كالنبوات عن عيسى المسيح

الذي رفضوه وانكروه فبعيد عن العقل انهُ يخطر لهم يبال تحريف النبوات الى مثل هذه الامور المضادة لهم والآيلة الى كرههم وبغضهم من الامم والى اخجالهم وتأنيبهم. (ثانياً) ان تلك الحوادث التي حدثت اتماماً لنبوات توراتهم حدث بعضها في ابتداء التاريخ المسيحي وبعد ترجمة التوراة الى اليونانية بنحو قرنين وهو ما اختص بالمسيح . ومنها بعد ذلك بسنين عديدة وبعضها باجيال متعددة كخراب مدينتهم والهيكل وشتاتهم شتاتاً ذريعاً في كل الاقطار وخراب نينوى وبابل وصور ومصر وغير ذلك مما لا يسعنا ذكره وكانت التوراة قبل ذلك بزمان طويل قد تُرجمت الى لغات مختلفة وتوزعت بين النصارى واشتهرت بين الامم فعليهِ ألا يكون ما زعمه حسن افندي كما تقدم من اعظم ضروب المحال — كيف ترون سيدي

(حسن) اني مذ شرعت بالكلام في هذه المسألة رأيت نفسي كمن ينبه الاسد من نومه او ينفخ في نار يود اخمادها فيكفي يا شيخ . قال بعضهم نعم يكفي ان لم يوجد سوى هاتين البينتين للتوراة فهما كافيتان لبيان كونها كتاب الله وانها كما انزلت لم تزل تماماً على ما كانت الا اننا نرجو من حضرة الشيخ سليمان ان يشرح لنا ما أمكن وبالايجاز بعض الحوادث الاكثر أهمية التي حدثت اتماماً لنبوات الله في التوراة فان ذلك لا ريب لاذٌ ومفيد . فوقف وقال « ان ما طلبتم مني الآن ليس في وسعي ايراده على طريقة لاذّة ومفيدة كما ينبغي لحداثتي في معرفة الكتاب والتاريخ فاذا شئتم ذلك فعليكم بكتابي « دليل الصواب الى صدق الكتاب » و « البينة الجلية في صحة الديانة المسيحية » ترون فيهما ما يبهر النواظر ويجلي الخواطر من سمو كتاب الله ونبواته . بيد اني أقول بايجاز الايجاز ان نبوة موسى الكليم عن سبي اليهود وشتاتهم السحيق في كل أقاليم العالم وذلهم والبلايا التي ستحيق بهم والنكبات التي ستدهمهم اذا حادوا عن الله وشريعته حتى يضحوا مثلاً وسخرية وعاراً ولعنة بين أمم الارض لا يحتاج للوقوف على اتمامها الا النظر

الى حالة هذه الامة البائسة في ايامنا وما هي عليه من الذل والهوان بعد ان كانت بين أعظم وأزهى وأمجد الامم على وجه الارض . هذا عدا ما يخبرنا به التاريخ كيف خربت قصبتهم وهيكلهم وما حاق بهم من البلايا والنكبات بنوع يفتت الاكباد وما لقوه من الاضطهاد والجور والمظالم جيلاً فجيل حتى صاروا الى ما صاروا اليه في ايامنا هذه فمن يا ترى يقرأ نبوات الكليم ويقابلها مع هذه الامور التاريخية والعيانية ولا يختم بكل قلبه على صحة التوراة وسلامتها . ونبوات أشعيا وأرميا عن خراب بابل ووصف هيئة خرابها واتمام هذه النبوات بخراب تلك المدينة العظيمة التي كانت أم المدن وزينتها ومركز سياسة العالم التي الآن لا يكاد يُعرف موضعها مما يحير العقول وكذا النبوات عن مصر وصور وأدوم وبني عمون وأرض الفلسطينيين حالها الحاضر وهيئة خراباتها وتاريخ سقوطها يثبت تلك النبوات الاهلية التي انبأت بذلك منذ أجيال عديدة فمن لا يصدق فعليه بالسياحة والمطالعة

ثم جلس وأخذ الحاضرون بالتأمل والمداولة في مسألة سلامة التوراة من التحريف الى ان اقتنع الجميع بذلك ما خلا السيد عبد القادر الذي وقف حينئذ وقال « انّا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوة الاّ بالله العليّ العظيم — ما هذا أيها السادة — ما هذا يا علماء المسلمين وأئمة الدين أراكم عرّجتم عن الصراط المستقيم . ألا تعلمون ان الاعتقاد بسلامة الكتاب من التحريف والافساد حطّة بالقرآن وضرب على اركان الاسلام . أ يمكن اعتبار القرآن ككتاب الله مع اعتبار سلامة التوراة الحالية من التغيير والتحريف والحذف والابدال . كلا — فانظروا الى اين صرتم وفي أي مركز بتم وداركوا الحال قبل الزوال للنجاة من شرّ الوبال

فوقف من ثم الشيخ محمود الرافعي وقال — ما هذا الكلام ياسيد عبدالقادر أيخفى عليك ان القرآن يشهد للتوراة والانجيل فأي خطر يا ترى في البحث عن حقيقتهما وسلامتهما — لم يقل القرآن بتحريف الكتاب أتقول نحن بذلك . فماذا ترى نعطي

لله جواباً في يوم الدين اذا لم نصدق كتابه ونؤمن بما قد أُنزل فيه نحن الذين نبهنا اليه في القرآن ثم جئنا اليه فوجدناه على ما هو أحسن (اه)

ثم جلس وكان الوقت قد امسى فقال الشيخ علي ان طلب الشيخ محمود عادل غير اني أرى انه يكون اكثر مناسبة تأجيل بت الحكم في هذه المسئلة الى جلسة اخرى تكون إن حسن لديكم نهار السبت بعد غدٍ ليتمكن الجميع من فرصة وافية للتأمل فيها (قال ذلك خوفاً من السيد عبد القادر لئلا يعجل باذاعة الامر فلا يعودون يتمكنون من فرصةٍ اخرى مناسبة للنظر في أمر الأنجيل) وبما ان الوقت مضى فأرى مناسبة فضّ الاجتماع. ثم قدم لهم مائدةً حافلة فأكلوا وانصرفوا بسرور ما خلا السيد عبد القادر فانه ذهب مغموماً منكاداً مما جرى

الفصل الرابع

اما ما كان من السيد عبد القادر المذكور فانه ذهب تلك الليلة الى استاذٍ له قديم اسمه الشيخ ناصر الدين عمر وكان هذا الاستاذ على جانب عظيم من التعصب والادعاء وبقلب مفعم من الغيظ بثّ له كل ما جرى من رفاقه العلماء وقال ان لا سمح الله اشتهروا بفسادهم هذا كانوا بلا ريب عثرةً هائلة في البلد وسبباً لافساد عقول كثيرين . فلما سمع الشيخ ناصر الدين هذا الكلام صفق بيديه صفقة خاسر وزأر كالاسد الكاسر وقال « لا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم أحقيق هو ما أخبرتني ياولديّ — نعم يامولاي والسيد الاعظم . ما بكلامي هذا زلل ولا مغالاة بل هو التام وخلاصة الواقع — فاطرق الشيخ برهةً وهو يلعب بلحيته ثم رفع نظره وقال « آه حقًّا ما أخبرتني اياه يا ولدي هو لأمرٌ خطير يدعو للاسف والتكدير ولكن طب نفساً وقرّ عيناً اني لأفحمنّهم ان شاء الله بما قد فات ابصارهم من الحقائق البهية والادلة السنية على بطلان النصرانية وصحة الاسلامية .

وان لم يرعووا لأذيقنهم بعونه تعالى ما يتعذر عليهم حمله ويردهم قسراً عن وخيم ضلالهم وفساد حمقهم وعجبي منك يا ابني كيف لم تطلع شيخك منذ البداءة على هذه الدسيسة الخبيثة لكنت بادرت حالاً لابطالها وقتلها في مهدها. اما هم فلا أؤاخذهم على عدم دعوتهم اياي للمخابرة في مثل ذلك اذ ليس من علاقة ودٍّ بيني وبينهم. وقد اشتهرت عداوتهم لي منذ حداثتنا اذ كنا معاً في مكتب المرحوم الشيخ محمد صالح حسداً من نجاحي وتقدمي عليهم وميل الاستاذ اليَّ اكثر مما اليهم . فمنذ ذلك الحين لم تألف اخلاقي اخلاقهم الفظة ومع ذلك كنت احبهم ولا ازال احبهم واتمنى لهم الخير . فأجاب السيد عبد القادر وقد علا وجهه الخجل لا يؤاخذني سيدي اني لم افعل ذلك تهاوناً بسيادتكم حاشا لي ان انسى افضالكم عليَّ وانما اذ دعوني وأخذوا عليَّ عهد الكتمان قلت في نفسي اني اتجسس اولاً افكارهم واسبر غاياتهم فان وجدتها حسنة كان خيراً والا على كل حال اطلع عليها شيخي واستاذي وهكذا فعلت فان كان ذلك خطأ مني ارجوكم السماح لان من دأب الانسان الشطط وارتكاب الغلط . اجابه حماك الله يا ولدي واني اقبل عذرك واحمد فكرك والآن أرى ان ندعو ابن اخي الحاج قدور ونطلعه على ذلك لمساعدتنا في هذه المسئلة فانهُ ولو كان حاد المزاج وعنده نوع من الاسراع مما يدعوه البعض طيشاً فانهُ ذو جسارة واقدام واحياناً تكون آراؤه افلح من آراء اهل السكينة والرقة وهو لا يخالف لي أمراً ولا يعصي لي قولاً . فاستدعاه وأطلعه على ما كان فهاج وماج وأقسم بالله والرسول انه ليهيج عليهم البلد من الشيخ الى الولد ويذيقهم شرَّ الوبال ومرَّ الاهوال . ثم قال باذنك يا عمي اني لا أستطيع بعد صبراً حتى اعلم بذلك اصحابي وخلاني — وهمَّ بالخروج فأمسكه بيده وقال « اقعد هذا لا يناسب في الحال ياولدي. فبعد افراغ الجد والجهد في نصحهم وانذارهم اذا لم يمتثلوا ويرعووا نستعمل لذلك طرقاً اخرى » فقال حسن امرك وجلس وغب المداولة طويلاً في هذه المسئلة اجمعوا على ارسال

رسالة نصح وانذار لهم بما امكن من الملاطفة والرقة بيد محيي الدين بن الشيخ ناصر الدين تكون اول خطاب لهم وآخره في هذا الشأن حتى اذا لم ينتصحوا بها يشكوهم الى من بيده ان يقتص منهم . فأمر الشيخ ولده المذكوران يأخذ دواة وقرطاساً ويكتب مايمليه عليه. فكتب ودفع الشيخ الكتابة الى السيد عبد القادر لينقدها ويجلي ماغمض منها ففعل. وهذا هو نصها

بسم الله الرحمن الرحيم — أيها السادة العلماء الاعلام والاخوان الادباء الكرام الشيخ علي وصحبه المجتمعون لاجل انتقاد رسالة النصراني الواردة على احدكم الشيخ احمد عبد الهادي السلام عليكم ورحمة وبركاتهُ. أما بعد فاننا قد اطلعنا بواسطة من يوثق بهم على ملخص مفاوضاتكم ومباحثكم بشان تلك الرسيلة فاستبان لنا منها انكم انحرفتم وا أسفاه عن المنهج القويم الى ضلال النصرانية الوخيم فوا عجباً لالبابكم أيها الافاضل كيف تقبل الاعتقاد بان الاله قد صار انساناً (واي انسان) مهاناً محتقراً مقتولاً بايدي اليهود وان هذا القتيل أضحى مخلص العالم ومحيي النفوس بموته فهل من ذي عقل وعلم يقبل مثل ذلك . فيا مسلمون وتربية العلماء الفاضلين اياكم والغرور بكل ما هو مكتوب ومسطور فلكم من اتقياء ادباء ضلوا عن منهج الصواب ببيان حكمة الكتاب . نعم ان التوراة والانجيل هما الكتاب المنزل من الله عز وجل على أمتي اليهود والنصارى ولكن تحريفهما فيا يختص بالمسيح وصلبه المزعوم بهِ هو ظاهر لعيني كل بصير (اولاً) لعدم لياقة ذلك بالله سبحانهُ وتعالى (ثانياً) لانهُ تعالى يقول في كتابهِ العزيز (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ليس الهاً بل رسولاً من الله لقومه كاحد انبيائهِ ورسله المقربين . هذا وألا تعلمون يا اخوان انهُ لا يمكنكم التدين بالنصرانية بدون ان تنكروا القرآن المنزل على قلب سيدنا نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وهل حقاً وصلتم الى هذا الحد من الضلال الجالب عليكم لا ريب خسارة الدارين وقاكم الله من ذلك . ثم وان اكن في أعينكم غير مستحق ان تطلعوني على تلك الرسيلة وتدعوني للاشتراك معكم كاخ

بالمفاوضة والبحث بشأنها أرى من واجباتي كمسلم مؤمن بالله و بالرسول وكأخ محب لكم ان أقدم لحضراتكم رسالة النصح هذه وليكن مؤكداً لديكم والله شاهد ان ما قد بلغني عنكم من هذا القبيل قد أضرم في فؤادي نار أسف وكدر لا يعبر عنهما — كيف لا وجماعة من المسلمين نخبة علماء الدين وقدوة المؤمنين في الفضل والتقى قد كادوا يضلون عن سواء السبيل الى قفر الاضاليل بكلمات طفيفة وجمل سخيفة من بعض المشركين — وهل من مسلم غيور يتقاعد عن مد ساعد الجد لانهاض اخوانه من وهدة الضلال والاغواء — أيقنوا يا اخوان ان اخلاصي لكم وغيرتي على دين الاسلام السليم بعثاني الآن على ترقيم هذه الكلمات اليكم — فهل لكم حفظكم الله ان تقبلوا نصح أخيكم هذا وتنبذوا من روض ألبابكم البهية ما طرأ عليها من الاوهام الباطلة والوساوس الشيطانية من جرّاء تلك الرسيلة الشنعاء مكتفين بما انزل الرحمن عز وجل في قرآنه الشريف — أو تبقون « وقاكم الله » منهورين في وهدة هذا الغي المهلك — بيد اني أقول كما انهُ جدير بمن يشرع بمشروع ما ان يقدّر العواقب ويحسب للخسارة حساباً كذلك ان كنتم حقاً « لا سمح الله » مصممين على هجر ربوع الدين الاسلامي والذهاب الى بلقع الدين النصراني فعليكم بالتأمل بما سيحلّ بكم لا ريب من البلايا وما ستكابدونهُ من المشاق والمتاعب التي يعزّ عليّ ان أراكم تكابدونها . وربما أخوكم ومحبكم هذا اتقلب من ثم كعدوٍ لكم امتثالاً لشرع الله ورسوله فهل لكم هداكم الله على احتمال ما ذكرت . . . . أتوسل اليكم بحق المحبة الاخوية وبحق أولياء الله ورسله ألا تلقوا بانفسكم الى التهلكة وان حسن لديكم فاكرموا بالجواب حالاً عسى انهُ يكون ما يريح فكري ويسرّ قلبي هذا ما اقتضى لحبكم والله يحفظكم

الداعي أخوكم
ناصر الدين عمر

في ١٠ محرم الحرام سنة ٥٧

ثم طوى المكتوب ودفعه الى ولده المذكور آمراً اياه ان يوصله بيده صباحاً

الى الشيخ علي عمر . فقام باكراً وذهب الى بيت المذكور فلما دخل عليه وأخرج الكتاب من جيبه استعاذ الشيخ بالله وقال الله يعطينا خير هذا المغلف . وما ذلك الا لانهُ عرف طباع الشيخ ناصر الدين وما انطوى عليه من روح العجب والادعاء وبعد ان تناوله منه وفضَّه نظر اليه قليلاً ثم التفت الى حامله وقال شكراً لاخي والدك على ما قد تفضَّل به علينا في هذه الرسالة البهية من نصائح الحب الاخوي فأبلغه ذلك عني وقل له اني غب اجتماعي بالاصحاب الموجهة اليهم ايضاً هذه الرسالة والتأمل فيها تقدّم ان شاء الله لحضرته الجواب.فانصرف من ثم محيي الدين راجعاً الى أبيه وأخبره بما كان من الشيخ علي فقال حسناً سنرى ما يكون

وأما الشيخ فبعد ان انصرف محيي الدين انفرد في مخدعه واخذ يتبصر في كتاب الشيخ ناصر الدين فكان تارة يضحك واخرى يعبس ثم قال ما أشدّ غيرة الشيخ وما أحلى كلماته — ما أقوى براهينه على تحريف التوراة . عجباً كيف لاق له تدوين ذلك بقلمه ما أسقم قوله « فلكم من اتقياء ضلوا عن منهج الصواب » أيضل الله الاتقياء . حاشا بل لا ريب ان الله سبحانهُ يهدي بالاولى متقيهِ وخائفيه ألعله يعني بذلك الذين اهتدوا من قبل الى الحق المسيحي اذ كانوا من اولي العلم والتقى — ينذرنا بما سنكابده في هذه الطريق من المشاق والبلايا وانه هو ربما يشترك في اذلالنا — أهذه هي المحبة التي يدّعيها نحونا . نحن نعلمُ ولا نجهل كثرة اعداء من يتبع الحق . والكتاب والتاريخ يخبراننا كم من الاضطهادات وصنوف الالام احتمل شهداء الحق غير اني موقن بالله انه يهب عباده كثرة النعمة مع البلية حتى يستطيعوا احتمالها . ما اشقى العالم وما اقسى قلب الانسان . نجنا يارب من بغي الناس وزدنا اللهمّ نوراً ونعمةً لنتمسك بحقك حتى النهاية.ثم عاد فقال مسكين ناصر الدين ما أغباه . كيف يقول عن تلك الرسالة الغراء ذات الادلة الراهنة والحجج الدامغة انها كلمات طفيفة سخيفة — بالروح التعصب والادعاء المشوم . أبدون

ان يطلع عليها يحكم عليها هكذا . — أهو قادر ان يأتي بمثلها على صحة الاسلامية. لا لعمري لا هو ولا أبرع عالم في المسلمين « ولكن كل فتاة بأبيها معجبة »

هذا وأما ما كان من السيد ابرهيم مصطفى فانهُ غب انفضاض الجلسة الثانية جاء الى بيته وقلبه طافحٌ من السرور مما جرى في تلك الجلسة ثم اخذ التوراة والانجيل والقرآن ونظر في الآيات المتشابكة فيها واستخلص منها جدولاً ظريفاً في ما يختص بالمسيح بن مريم وهو كما ترى

التوراة	الانجيل	القرآن
ولكن يعطيكم السيد نفسهُ آيةً . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (اش ٧ : ١٤). لانه يولد لنا ولد وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام (اش ٩ : ٦)	هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (مت ١ : ٢٣) لا تخافي يامريم لانك قد وجدتِ نعمةً عند الله وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينهُ يسوع. فقالت مريم الملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلاً ؟ فاجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللك فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٠ و٣١ و٣٤ و٣٥)	اذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشّرك بكلمة منه اسمهُ المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين (سورة آل عمران ٤٠ و٤١) قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً. قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً (سورة مريم ٢٠)

القرآن	الانجيل	التوراة
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروحٌ منهُ (سورة النساء ١٦٩) ثم قفَّينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفة ورحمة (سورة الحديد ٢٧)	في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله .والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا (يو ١ : ١ و١٤) هو قبل كل شيء وفيهِ يقوم الكل (كو ١ : ١٧) ونعلم ان ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق (ا يو ٥ : ٢٠) ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً الى الابد (رومية ٩ : ٥)	قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك (مز ١١٠) أما انتِ يا بيت لحم افراتة فمنك يخرج الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجهُ منذ القديم منذ ايام الازل (مي ٥ : ٢)
ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسنَ وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة (سورة الانعام ١٥٥) أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم	انتم ابناء الانبياء والعهد الذي عاهد الله بهِ اباءنا قائلاً لابرهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الارض . اليكم اولاً اذ اقام الله يسوع ارسله يبارككم (اع ٣ : ٢٥ و٢٦)	ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض (تك ٢٦ : ٤ و٢٨ : ١٤) ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن برّ فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الارض .

التوراة	الانجيل	القرآن
وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برّنا (ار ٢٣: ٥ و٦) ويكون في ذلك اليوم ان أصل يسّى القائم راية للشعوب اياه تطلب الامم ويكون محله مجداً (اش ١١ : ١٠)	وايضاً يقول أشعيا سيكون أصل يسّى والقائم ليسود على الامم عليه سيكون رجاء الامم (رو ١٥ : ١٢)	الغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم (سورة الانعام ١٥٨) وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (سورة المائدة ٥١)
ومع العظماء يقسم غنيمة من اجل انه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين (اش ٥٣: ١٢) قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الاشرار اكتنفتني. ثقبوا يديّ ورجليّ. أحصي كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيّ (مز ٢٢ : ١٦ و١٧)	فحينئذٍ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه (يو ١٩ : ١ و٢) صلبوا معه لصّين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره. (فتم الكتاب القائل وأحصي مع أثمة) وكانت الساعة الثالثة فصلبوه (مر ١٥ : ٢٥ و٢٧ و٢٨)	اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة (سورة آل عمران ٢٨)
لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي جسدي ايضاً يسكن مطمئناً لانك لن تترك نفسي	فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح (يو ١٩ : ٣٠)	والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً ذلك عيسى ابن مريم

التوراة	الانجيل	القرآن
في الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً (مز ١٦: ٩ و ١٠)	وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات (يو ١٩: ٣٣) لماذا تطلبن الحيّ بين الاموات . ليس هو هَهنا لكنه قام (لو ٢٤ : ٥ و ٦)	قول الحق الذي فيه يمترون (سورة مريم ٣٤ و ٣٥)! تنبيه — ان في البيت الثالث من هذا الجدول لا ترى ما يناسب قول الكتاب محاذياً له فاستعضنا عن ذلك بشهادة القرآن انهُ تماماً على التي هي أحسن

وغب ان انهى هذا الجدول وتأمّله تنهّد وقال « ياللعجب والدهشة ما هذه المطابقة المدهشة بين التوراة والانجيل والمقارنة المعتبرة بينهما و بين القرآن من جهة كون المسيح ابن مريم آتياً من الله مماتاً في الجسد ومبعوثاً من الموت . آه . كيف ان علماءنا يتلون القرآن كثيراً ولا يبصرون هذه الامور الجلية ولا يفقهون هذه الحقائق الكافية الاعتبار . وعلى الاقل لا يلحظون الدلائل الصريحة في مثل هذه الآيات على سموّ المسيح على الانبياء والمرسلين كافة — ولماذا اكثر اللوم على الآخرين وانا قد درست القرآن مرّات لا تحصى ولم أنتبه الى هذه الجواهر الكريمة — أشكرك اللهمّ يا هادي الضالين ومنير الكفيفين انك هديتني وانرتني فزدني ربي نوراً وهدًى واهدِ جميع خلقك صراطك القويم آمين . ثم قام وجاء الى الشيخ سليمان وأراه ذلك الجدول قائلاً له « انظر سيدي قد رأيت هنا أموراً مدهشة معجبة » فأخذه منه وبدا يتأمله ولوائح السرور تطفح على وجهه البشوش غير ان المومأ اليه كان قد عرف هذه الامور قبلاً كما رأيت فيما مرّ من الكلام في مفاوضته مع الشيخ محمود . فلم يبق عنده أقل ريب بسلامة الكتاب وبكون المسيح بن مريم

هو أيضاً ابن الله فادي الخطاة ولكنه فرح وسرّ كثيراً مما رآه امس من السيد ابرهيم في مناظرته مع عمر افندي ومن اطلاعه على هذا الجدول الدال لا محالة على حسن تعقل المذكور وسرعة ادراكه الحقائق ونباهته غير الاعتيادية . ولأن ذلك قوّى أمله بأن الجميع متى رأوا هذه الحقائق يتمسكون بها . ولما انتهى من التأمل فيه التفت الى السيد ابرهيم وقال له ما كنت أظن ان جنابك بوقت وجيز كهذا تتصل الى هذا الحد من اختبار الكتاب المقدس وادراك كنه هذه المسئلة الخطيرة على هذه الصورة فالحمد لله المرشد الهادي . حقًّا ان قلبي مفعمٌ سروراً وابتهاجاً لادراكك هكذا سريعاً هذه الامور وعلى هذا الجدول اللطيف المفيد فأرجو ان الجميع يرون كما قد رأيت . نعم يا أخي ان هذه المطابقة والمقاربة هي كلية الاعتبار وما الآيات بشأن المسيح في الكتاب والقرآن الا جواهر كريمة ضمن غلُف من القرطاس والجلد . وكم من الجهلاء بالجواهر وقيمتها اذا عثروا على واحدة منها ازدروا بها وأهملوها واذا هم على فرض رأوها جميلة والتقطوها باعوها بأبخس الأثمان حمقاً وغباوةً . وكثيراً ما سقيم الجسم وهو يتمشى في الحقول المزدهية بالاعشاب والزهور البهجة يدوس بقدميه اعشاباً كانت افضل علاج لعلته وهو لا يدري . فهكذا كثيرون يتلون الكتاب تكراراً ولا ينتبهون الى ما يتضمن من الجواهر الكريمة والعقاقير الشافية من أمراض الخطية حال كونهم بفرط الاحتياج اليها . وربما لذذوا انفسهم بترنيم كلامه بأصوات رخيمة مهيجة للاحساسات الروحية بدون التفاتهم الى غايته ومعانيه الاكثر فائدة ونفعاً . فهم بذلك لأشبه بمن يشتمّ رائحة الورد والازهار العطرية ثم يلقيها الى جانب غير ملتفت الى ما فيها من الخواص النافعة والفوائد الثمينة . فحقًّا يا أخي ان هذه المطابقة بين التوراة والانجيل وما كاد يكون كالمطابقة بينهما وبين القرآن من جهة المسيح من حيثية لاهوتهِ وناسوتهِ واتيانهِ بمعجزات خارقة العادة وموته بالجسد وقيامته العجيبة تدل لا محالة المطالع النبيه على غرابة هذا

الشخص الكريم . وما القرآن من جهة هذه الامور الا كشهادة لما قيل وأُنزل في الكتاب عن سموّ شخصية المسيح على كل البشر وكيانهِ روحيًّا قبل تجسده وعن موته وقيامته. فانظر انهُ قد شهد للانجيل ما بيد اليهود والمسلمين شهادتين من كتابين بيد أمتين عظيمتين مضادتين للنصارى الواحدة سابقة والاخرى لاحقة . الاولى تشهد لما سوف يأتي والاخرى تشهد لما قد أتى . على ان الكتاب غير مفتقر البتة الى شهادة القرآن اذ له من البينات الراهنة على كونه كتاب الله لا ريب فيه ما يكفي للبصير المخلص . واذا كان القرآن ينكر ألوهية المسيح فما باله يقول هنا . « كلمة من الله وروح منهُ » ماذا يعني بذلك . اي نبيّ ليت شعري قيل عنه هكذا ولماذا افرد عيسى بهذا النسب الالهي دون جميع الانبياء والمرسلين الا ان ذلك على الاقل هو كوسيلة لفتح العين واقتياد البصير الى اعتبار نص التوراة والانجيل بخصوصه . أيكشف لنا القرآن عن بعض اطراف المسيح وينهانا عن كشف الستار عنه كي لا يرى كماله الالهي او يرينا اياه من وراء حجاب يكشفه كما يرى كمال قرص القمر محتجباً في بدء هلاله ويمنع من ازاحة ذلك الحجاب كي لا يرى كمال بهاء ذلك البدر المنير . ومن يرضى بذلك لانه مع كونهِ يوجد فرقٌ حرفياً بين القول ابن الله والقول كلمة من الله وروح منه اوروح الله يوجد بينهما تقارب كلي في المعنى والجوهر بل لأقول هما شيء واحد . ثم ان كان الله سبحانهُ سرّ هكذا ان يرسل كلمتهُ لتتجسد ويبذل قدوسه للموت بالجسد فداء عن البشر وفاء لحق عدله تعالى واعلن ذلك في كتاب مبين فمن نحن حتى نكذّب الله وكتابهُ بداعي ان ذلك لا يوافق العقل ولا يليق بجلاله تعالى . أيحقُّ لنا نحن البشر الفاسدون الجهلاء ان نقيس على الاطلاق حكمة الباري جلّ شأنهُ بمقياس العقل الانساني . أيعرف بذات الله سواه. أليس أن ما يرتاح اليه العقل ان يقبل المخلوق بخضوع وتواضع ما أعلن له من لدن خالقه متى تأكد له ذلك بالدليل والبرهان . وما هي عقولنا حتى يمكنها ادراك

ماهية اعمال الحكمة الالهية والقدرة الازلية . أيرفض العليل العلاج حتى يفهم ويعرف كيف اصطنعهُ الطبيب ومن اي الانواع ركبه . بل جل احتياجهُ ان يعرف مهارة وامانة ذلك الطبيب ويقبل الدواء من يده ويستعمله حسب اشارته . هكذا علينا كعبيد الله ان نؤمن مصدّقين بما انزله وأعلنهُ لنا سبحانه في كتابه العزيز بدون ان نقول كيف وكيف حال كونه تعالى على كل شيء قدير . فالحق اوضح من ان يبين ان المسيح ابن مريم هو ابن الله اله وانسان مات بالجسد وقام وهو حيّ الى الابد وهو جالس عن يمين الا ب يشفع في المؤمنين وهو الشخص الفريد العجيب الذي ارسله الرحمن رحمةً للعالمين وحياةً للهالكين ثبت الله قلوبنا آمين

اما ما كان من السيد ابراهيم فانهُ كان في اثناء هذا الكلام غايةً في الاصغاء والابتهاج ولما انتهى الشيخ سليمان من كلامهِ قال له شكراً لك يا مولاي على هذه الجمل اللذيذة المفيدة . وفي الصباح اتى الشيخ علي ثم الشيخ محمود ثم الشيخ عبد الحليم والشيخ احمد عبد الهادي والسيد عمر كل على حدته فعرضا عليهم الجدول المذكور وتخابر معهم مليًّا فوجداهم على ما يرام كأنهم بقلب واحد . ثم اتفقوا معاً ان يخطب بهذا الشأن في الجلسة القادمة السيد ابرهيم لظنهم انها تكون آخر اجتماعاتهم بشأن سلامة الكتاب وصحتهِ

الفصل الخامس

ولما كان الاجل المعين للاجتماع اجتمع جميع العلماء المذكورين نحو الساعة السابعة في منزل الشيخ عبد القادر الفصيح و بعد ان استقر بهم الجلوس وقف الشيخ على حسب العادة وافتتح الجلسة بما يأتي :

يا سادتي لا يخفى انهُ قد فشي امرنا اذ بلغ ذلك جناب الشيخ ناصر الدين عمر ولا أرتاب من ان حضرتهُ أبلغ ذلك ايضاً الى بعض اصحابهِ وذويهِ خاصةً

ابن أخيهِ الحاج قدور الطيش لاعتماده عليهِ في اكثر أموره لزيادة تحنّه وكثرة هذره التي يعتبرها منهُ شجاعةً واقداماً لانهُ جاءني منهُ في هذا الصباح كتاب بيد ولده محيي الدين خطاباً لنا كافةً يتضمن نصحاً وتهديداً. ولا ريب ان من قد بلغهُ أمرنا وعجل في كشف سرّنا هو السيد عبد القادر الفصيح الذي لم يسر بما قد رآه منا في الجلستين الماضيتين بل قاوم ذلك بكل تعصب . وليس من المستبعد ان يكون قد طعن فينا طعناً حاداً واعتذاره عن الحضور هذه المرة يؤكد ذلك وأظن ان ذلك هو المانع الذي أشار اليهِ بقوله يوجد الآن مانع قوي عن حضوري معكم. ثم نهض السيد عمر الحارس وقال . التمس منكم ياسادتي ان ترعوني قليلاً مسامعكم واصغوا لما أقول . لقد صدق الشيخ ناصر الدين واجاد بقوله كما انهُ جدير بمن يشرع بمشروع ما ان يقدر العواقب ويحسب للخسارة حساباً كذلك ان كنتم حقاً (لاسمح الله) مصممين على هجر ربوع الدين الاسلامي الى آخر القول . ... نعم وهذا لعمري جدير بالعاقل اللبيب بناء عليه اقول انهُ على الانسان مراعاة ثلثة أمور والقيام بها مهما كلفهُ ذلك من الخسران والتعب (الاول) عدم اكتفائهِ بما قد رُبي ونشأ عليهِ من الدين والمذهب وبذل جهده في البحث والتنقيب برغبة واخلاص فيما يفتحه الله عليه من المسائل الدينية بالاستناد التام على المولى سبحانهُ وطلب الهداية والارشاد من لدنه جل وعلا . (الثاني) ابتغاء مرضاة الله وتفضيل طاعة الخالق على طاعة المخلوق . (الثالث) تجنب الهوى والغرض والتزام حدود الحق والانصاف . فاخوكم هذا العاجز الحقير قد صممت مذ عرفت العالم ان لا اتبع الهوى ولا أجاري الغرض مهما جرى اسألك اللهم ان تثبت قلوبنا بمحبة حقك لنتمسك ابداً بعروتك الوثقى عاملين بسرور مرضاتك وارادتك (اه)

ثم وقف السيد مصطفى الحقاني وقال ان ما قد فاه بهِ أخونا السيد عمر هو لقرين الصواب فان كنا رجالاً نعرف الافضل ونتمسك به . ودع التقادير تجري

في أعنتها . على اني موقن بالله انه لا يهمل المتوكلين عليه وما يسمح به احياناً من حلول البلايا على عبيده فهو اما تأديب لهم او امتحانٌ لايمانهم ويؤول ذلك لخيرهم ونيل بركة منه تعالى فلتتقوَّ يا اخواني بالرب ولنتشجع وهو يفعل ما يشاء فان حسن لديكم دعونا نرجع الآن الى الحديث الذي تركناه في الجلسة السالفة و بعده ترون في أمر مجاوبة كتاب الشيخ ناصر الدين — فقال الشيخ محمود فكري ياسيد مصطفى اننا نستغني عن مراجعة الماضي من الحديث او النظر فيه على نسق ماسلف لان ذلك يستغرق وقتنا على ما لا اضطرار اليه ايضاً . ولست اظن ان مآله برح من ذهن احدٍ منا . انما الواجب الآن النظر في الحكم من جهة تلك الامور التي وقع عليها البحث ثم النظر الى الانجيل من حيثيَّة الدعوى بتحريفه فماذا ترون يا اخوان — عند ذلك وقف السيد ابرهيم باشارة بعض الحاضرين وقال — ان للحق دلائل لا تخفى على النبيه فبناء على ما تقدم من الادلة الراهنة والبيّنات السديدة على سلامة وصحة التوراة من شوائب التحريف والتغيير اقول قد تقرّر ورسخ في ذهني كما لا ريب في أذهانكم النقية ان التوراة الموجودة الآن هي كتاب الله لا ريب فيه المُنزَل على انبياء الله ورسله رشداً وهدًى لبني اسرائيل لم يشبها تغيير ولا تحريف . وبناء عليه كل ما قيل فيها وذكر من الانباء عن سيدنا المسيح هو حق لا سبيل الى انكاره بوجه ما وما يخال فيها من صعوبة الفهم لا يستلزم رفضها بل يستلزم البحث عنه في الكتاب بجدّ واخلاص بالاستناد على عون الباري وارشاده فلا يخفى عليكم ان المعادن الثمينة والجواهر الكريمة لا تُستخرج من معادنها الا بافراغ الجد والجهد والا يكون أحمقاً وجاهلاً من يحكم ان لا ذهب في تلك المناجم بناء على صعوبة حفرها . ألا ترون كيف يقاسي البعض أحياناً العناء والتعب باذلين ما عزّ وهان في سبيل ثقب جبل (او لغم ارض نهر) طمعاً باجتناء فوائد وأرباح تنسيهم ذلك التعب ويعوضهم منهُ اضعاف تلك الخسائر . مع ان عملهم هذا يكون

محفوفاً بالمخاطر وتحت امكانية عدم النجاح : فكم اذاً علينا نحن بالحري في مثل هذه الامور الافضل بما لا يقاس من تلك ان نشمّر عن ساعد الهمة بجرّد بن الفكرة للبحث في القضايا الدينية والحفر بآلة العقل وأداة البصيرة في هذا المنجم الذهبي لنستخرج منه بعون الله ما يغنينا ويزين انفسنا الى الابد. ثم طرح الجدول الذي اعمله امام الجماعة وقال انظروا سادتي الى هذا الجدول استخرجته من التوراة والانجيل والقرآن تأمّلوه جيداً واعجبوا من المطابقة الكلية بين التوراة والانجيل بخصوص لاهوت سيدنا المسيح وناسوتهِ وصلبه وموته بالجسد فداء عن البشر وقيامته وكذا بين الكتاب والقرآن بخصوص كيان عيسى المسيح روحياً قبل ولادته من البشر وولادته من عذراء وسموّ طبيعته واقتداره على الانبياء والمرسلين كافة . والحق ان الكتاب لا يحتاج البتة الى شهادة كتاب آخر لان له من الشهادات والبينات ما يكفي لبيان كونه كتاب الله لا ريب فيه وانما شهادة القرآن هذه هي مفيدة لمثلنا ولذلك قد أتيتكم بهذا الجدول كي تروا فيه على وجهٍ أقرب المطابقة الكائنة بين الكتاب والقرآن في أمر ولادة المسيح وموته وكونه كلمة الله والمقاربة المعتبرة بينهما من حيثية نسبة المسيح لله اذ الكتاب يقول عنه انه كلمة الله وابنهُ وانه إله أزليٌّ والقرآن يقول انه كلمة من الله وروح منه فترون حضراتكم انه ليس من اختلاف بينهما الا من حيثية الصراحة بلاهوته ونوع موته وغايته والفائدة الحاصلة من ذلك. فالكتاب المقدس ينبئ بذلك على طرق شتى وأنواع عديدة تارة بالتصريح والافصاح كما قد رأينا فيما مرّ وأخرى بالاشارات والكنايات والرموز التي لا تصدق الا عليه وقلما يوجد سفر في التوراة لا يحوي نبوة أو اشارة الى المسيح كفادي البشر وبعض أسفاره مشحونة من هذه الامور . والانجيل ما هو الا خبر أو اشارة عن مجيء هذا الفادي الكريم وعمله كما أنبأ أنبياء الله الصالحون . والقرآن مع كونهِ يرفع المسيح فوق البشر والانبياء قاطبةً بولادته من عذراء ونسبتهُ الغريبة لله وكمال صلاحهِ واتيانهِ بمعجزات كلية ينكر صريحاً لاهوته وموته بالجسد.

حال كون ذلك لا سبيل الى انكاره وليس هو الا كمن ينكر الشمس في رابعة نهارها. فيا سادتي ان التسليم بسلامة الكتاب من التحريف والتغيير يستلزم لا محالة الايمان بما أنزل الله فيهِ بدون التفات الى ما قيل في غيره وما انكار لاهوت المسيح وصلبهِ عن العالم وموته وقيامته الا انكار الكتاب الذي غايته المسيح فادي البشر وما هي يا ترى غاية القرآن بقوله عن عيسى انه كلمة الله وروح منه القاها الى مريم أي نبي وصف هكذا وأي انسان قيل عنه انهُ ولد من عذراء. ليت شعري لماذا تفرد عيسى بهذا النسب الالهي والاوصاف الغريبة ألا ان ذلك من الادلة الراهنة على سموّ هذا الشخص الفريد . واذا كان القارئ قد حصل على هكذا انتباه عظيم من مثل هذه الآيات القرآنية الدالة على سمو طبيعة عيسى وغرابتهِ وضاق ذرعاً عن المعرفة الشافية بهِ اذ لم يروَ له غليل لعدم وقوفه على الاسباب والدواعي لذلك فليهِ بالتوراة والانجيل المدلول عليهما من القرآن والمشهود لهما فيه فيكشفان له الغطاء عن هذا السرّ الباهر . هناك يجد المبادي الاوَّلية التي تأتي بعقل العاقل الى معرفة المسيح شيئاً فشيئاً كما يُرى من نسق التوراة في أسفارها التاريخية والنبوية والشعرية — هناك يرى الاساسات الراسخة البيّنة التي وضعها الرحمن لبناء عمل الفداء بشخص ابنه الوحيد — هناك يرى بوضوح وجلاء ما هو ومن ذاك الذي وُلد من عذراء ودُعي كلمة الله ويتحقق انه ابن الله واله قدير أزلي أبدي — هناك يرى المقول عنهُ انهُ روح الله جوهر الهي جوهر من جوهر الله ذاته . هناك يرى المقول عنهُ « يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » انه هو المسيح ابن الله المبذول من أبيه لاجل خلاص العالم ومُقامٌ من الاموات ومرفوع الى السماء مطهراً من ضعفهِ بالجسد . وجاعل الذين اتبعوه أي الذين آمنوا به واتبعوه كمخلصهم وراعيهم وقائدهم الى السماء فوق الذين كفروا به الى يوم القيامة بل الى الابد. فما قد

وضح لديكم ايها الاخوان ويا ذوي الالباب من مفاوضتنا ومباحثنا الوافية ومن هذا الجدول المختصر المطروح لديكم سلامة التوراة والانجيل من شوائب التغيير والتحريف. هما كتاب الله قبلاً والآن و بعد . وعليه فالمسيح ابن مريم هو ابن الله مخلص البشر كما هو معلن فيه فلنقبل يا اخوان الى مسيح الكتاب ولنتمسك به بكل القلب والعزم . والرحمن الذي قد بذل وحيده لاجلنا هو يساعدنا ولا يهملنا (اه)

و بعد ان جلس أثنى عليه الجميع لاجل هذا الخطاب الوافي الكافي وقال بعضهم لبعض بناء على البحث والمفاوضة في الجلستين السالفتين وعلى ما قد فاه بهِ الآن السيد ابرهيم والجدول الذي قدمه نرى ان لا حاجة بعد الى البحث بشأن صحة الانجيل اذ قد اتضح لنا جلياً انهُ هو والتوراة كتاب الله الحي لم يشبهُ تغيير ولا تحريف و بعد مفاوضة نحو نصف ساعة اعترف الجميع بايمانهم بالمسيح فادي البشر

ثم وقف الشيخ علي وقال يا سادتي الاحباء بما انه لا يسعنا الوقت للتمتع ملياً بلذة المفاوضة في هذا الاجتماع فيلزمنا حسب ماتقرر ان نرسل اليوم جواباً الى الشيخ ناصر الدين ولخوفي من عدم تمكننا بعد من اجتماع آخر كهذا رأيت ان اخاطبكم لربما الخطاب الاخير في اجتماع مبارك كهذا . اني احمد المولى سبحانهُ الذي مكننا من ثلاثة اجتماعات اعدها من افضل والذ أوقات حياتي السالفة بها قد تفاوضنا وتباحثنا ملياً باخلاص واتفاق تام فيما يختص بالله لخير النفس الثمينة فيا احبائي اننا بعد المفاوضة والمناظرات الوافية في اثناء هذه الاجتماعات رأينا ولله الحمد سلامة كتابه العزيز من شوائب التغيير والتحريف سوى ما وقع سهواً في بعض النسخ والترجمات من قبيل الضعف الانساني وتباين المترجمين وهو كما لا يخفى مما لا يمس قط القضايا الجوهرية فلا يُعتد به اذ لا يجعل ادنى نقص أو خلل في غاية الكتاب وقصده . وما يستحق كل اعتبار هو المطابقة المدهشة بين التوراة والانجيل مطابقة تجعلهما كتاباً واحداً وشهادة القرآن لهما وموافقته للانجيل فيما يختص بالمسيح على

نوع لا يبعد كثيراً عن مفاد نص الانجيل الصريح . فما القرآن بالنظر الى ذلك الا كمن يسقي العطشان قطرة من ماء عذب جداً فلا يرويهِ بل تهيج فيهِ حاسة العطش اكثر فاكثر ويعظم اشتياقه الى ورود الينبوع الذي منهُ اشتُق هذا الماء وله الفضل لدلالة هذا الظامئ على ذلك الينبوع كتاب الله بقوله « انما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا...ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على التي هي أحسن ... وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل » فترون حضراتكم ان الانجيل بينهما المشهود له من كليهما يعلن لنا جلياً مجيء هذا الشخص العجيب والفادي الكريم طبقاً لما انبأ عنه انبياء الله الصالحون فبهذه الطريقة يجد الانسان سلاماً حقيقياً مع الله ويرى اتفاق صفتي العدل والرحمة في الله جلَّ جلاله كما يصرّح احد الانجيليين بقوله ان الناموس بموسى أُعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا فان كنتم يا اخوان قد اعتنقتم حقاً كتاب الله وآمنتم بمسيح الله مخلّص نفوسكم فتعالوا بكل قلوبكم ونفوسكم واضعين عليهِ كل رجائكم وهمومكم وحسبكم برٌّ من الله ربكم انهُ انارنا بنور حقهِ وعرّفنا بمخلصنا وحياة نفوسنا ولنتمسك يا أحباء بالحق الذي أعلنتهُ لنا العناية الالهية لخيرنا وحياتنا واحمدوه تعالى كل الحمد الذي حرّك غيرة محبة ذلك المسيحي التقي حتى أتحفنا بتلك الرسالة المباركة التي أضحت بنعمة الله علة انارتنا ووسيلة اهتدائنا . ليجازه الرب عنا خير الجزاء . وأختم كلامي لكم بهذه الكلمة جاهدوا يا اخوتي كابطال أمناء جهاد الايمان الحسن في سبيل حق الله ضد كل تعليم باطل وغرور دنيوي . سيروا باسم الله في هذه الطريق الصالحة التي فتحتها لكم يمين الله العلي غير مبالين بشيء وان سمح الله وفرّق الناس بيننا وأعدمونا لذة الحرية والاجتماع معاً في الحياة الدنيا فلا يقدرون ان يفرّقوا بيننا في عالم السماء ومن يزرع بالدموع يحصد بالفرح وربنا الكريم الذي دعانا الى ملكوت ابنهِ وارشدنا الى سبيله وهو يحفظنا ويثبتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل (اه)

وفي أثناء هذا الخطاب كثيراً ما كانت دموع الشيخ علي تصحب اكثر كلماته فأثر ذلك وأي تأثير في قلوب الحاضرين حتى بكى اكثرهم و بعد ان فرغ من من الكلام وجلس اثنى عليه الجميع وعاهدوه على التمسك بالانجيل والمحافظة على حق المسيح حتى الموت ثم اخذوا يتداولون في أمر مجاوبة الشيخ ناصرالدين وأخيراً التمسوا من الشيخ علي ان يجاوبه بلسان جميهم بما يستحسنه فكتب الجواب وقرأه عليهم وهو

أيها الاخ المكرم الشيخ ناصرالدين عمر جزيل الوقار والاحترام

غب السلام عليكم ورحمة الله و بركاته نبدي لحضرتكم لقد تشرفنا برسالتكم رقم ١٠ محرم فكلما أشرتم به صار قرين الافهام . فأولاً نشكر من كل قلوبنا حبكم لنا وغيرتكم على اخوانكم هؤلاء . وثانياً نقول ان قول حضرتكم انه قد بان لكم مما فهمتموه وعلمتموه ... اننا انحرفنا عن المنهج القويم الى ضلال النصارى الوخيم وتعجبكم من اننا كيف نقبل الاعتقاد بأن الاله صار انساناً الى آخر القول بهذا الشأن ثم نصحكم لنا ان ننبذ عنا هذه الاوهام وتنبيهكم ايانا على ما سيحل بنا من البلايا وما سنكابده من المتاعب والمشاق اذا تدينّا بالنصرانية ... فنجيب على ذلك حاشا لنا أيها المحترم ان ننحرف عن المنهج القويم انما آثرنا الجد بالبحث فيما يختص بالتوراة والانجيل لنرى هل حقًّا تغيرا وتحرفا أم لا . فبعد فراغ الجهد في ذلك بكل تبصر وتأمل رأينا أيها الاخ ان هذا الكتاب المشهود له من القرآن لم يشبهُ شيء من ذلك كما كنا نتوهم بل لم يزل كما كان منذ انزاله بروحه وغايته وقضاياه . فبناء عليه قد عزمنا بنعمة الله أن نتخذه لنا دستوراً وقانوناً في الايمان والعمل مؤمنين بما أنزل الله فيه ولسنا بذلك مبتدعين او متبعين بدعة ما انما نحن متبعين ما أنزل البديع سبحانه في كتابه نوراً وهدًى لنا من ربنا . اما كون الكتاب ما تحرّف قط فلذلك أدلة و براهين لا ترد ان شئتم تشريفنا فنبسطها لديكم و بما انه حفظكم الله ينبغي

اطاعة الله اكثر من الناس ومحبته فوق كل شي‌ء لذلك لا نستطيع ابداً مقاومة الضمير بترك جانبه تعالى واهمال كلامه حبًّا بالدنيا والاصحاب . اما على تنبيهكم ايانا الى ما يرجح انه سيصيبنا من الاضطهاد والخسران الزمني لسبب تمسكنا بتعليم الكتاب فنقول ان هذا منتظر وله عندنا حساب كبير نعم اننا بشر وليست اجسادنا حجراً لا تحس ولا تتأثر ولكننا نؤثر رضى الله على رضى الناس وشرف التمسك بحقه تعالى وراحة الضمير بعبادته حسب الكتاب على شرف الدنيا ونعيمها . ويهون علينا الموت بحب الرحمن اكثر من الحياة بغيظه . وبكل أسف قد قرأنا قولكم انه ربما حضرتكم ايضاً تنقلبون من ثم عدواً لنا فلماذا يا صاح أما نحن بشر خليقة الله فهب اننا ضللنا هل ينبغي ان تمادينا وتسعى في أذيتنا أم بالحري تسعى ما أمكن في هدايتنا بالتي هي أحسن . اننا من كل القلب نرغب ان ترينا ضلالنا بطريقة الدليل والبرهان فنضحى من ثم بغاية الامتنان اذ ليس من الهين مبارحة الاصحاب والاحباب واحتمال ما يعسر على الطبيعة احتماله فليتكم تتنازلون الى ذلك والا فانا لله وانا اليه راجعون عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل   الداعين اخوانكم

في ١٢ محرم سنة ٥٧   علي عمر وأصحابه

فاستحسن الجمع هذا الجواب وغلّفوه وأرسلوه الى المومأ اليه بيد خادم الشيخ علي ثم صلوا الى الله طالبين عونه على احتمال مالربما يصيبهم من الاهانات والضيقات بسبب انجيله وان يزيدهم نعمةً وفهماً ليستطيعوا ان يشهدوا لحقّه على ما ينبغي بدون خوف ولا استحياء ثم انصرفوا الى بيوتهم

الفصل السادس

واما ما كان من أمر الشيخ ناصر الدين والسيد عبد القادر فانهما كانا قد أطلعا على هذا الامر كثيرين من اصحابهما المشايخ والمدرّسين فاجتمعوا تلك الليلة في

بيت الشيخ المذكور منتظرين بفروغ الصبر جواب الشيخ علي ورفاقه واذا قُبَيل العشاء قد دخل عليهم حامل الجواب فدفعه الى الشيخ ناصر الدين ورجع الى حال سبيله واخبر سيده بذلك المجتمع فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم جعل الله النهاية خيراً . أما الشيخ فلما قرأ الجواب على مسامع الحاضرين وتيقنوا من تنصّر أولئك العلماء هاجوا وماجوا وأرعدوا وأزبدوا ثم قال بعضهم لبعض يا للعجب كيف تهوّر هؤلاء العلماء في وهدة الضلال واُصطيدوا هكذا سريعاً بشرك شُرك النصارى منكرين نبوّة وارسالية السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم والقرآن الشريف المنزّل من الله سبحانه ثم كبّروا وحمدوا وأقاموا الصلاة وبعد ان صلوا وجلسوا اخذوا في المداولة بامر أولئك العلماء أخيراً نهض احدهم واسمه الشيخ عبد الكريم الصائب وقال يا سادتي أستميح الاذن من حضراتكم بما أرغب في ابدائهِ لديكم بخصوص هذه المسألة . قالوا تكلم . قال : نعلم جميعنا ان الشيخ علي واصحابهُ المعلومين الذين يبان انهم صمموا على اعتناق الديانة النصرانية هم ذوو فضل وعلم وحذاقة ونباهة لا يزدرى بها . وبعضهم من الطبقة الاولى في العلم والفضل فما نعلمه من الادلة والبينات على صحة دين الاسلام وعلى تحريف الكتاب هم يعلمونهُ وربما اكثر ولا ريب بكونهم مستعدين لسد هذه الابواب ودفع كل اعتراض يُعترض به عليهم . ويساعدهم على ذلك فصاحة بعضهم النادرة المثال وما بيدهم من أكثر أنواع الكتب دينية وتاريخية فلسنا بمنازلتهم مجادلين نصارى بل علماء مسلمين متنصرين أشد مراساً وأقوى عزيمة . ومن يعلم ماذا تكون تأثيرات هذا الجدال وما أدرانا ان ينتج ضلال مئات من المسلمين فنكون بعملنا هذا الخالي من الحكمة أضرمنا ناراً كنا نود اخمادها وآثرنا شراً كنا نتعوّذ منه فتضحي الضلالة الاخيرة شراً من الاولى فنندم حيث لا ينفع الندم . لكنني أرى الاصوب ان حسن لديكم ان نختار منا الآن رجلين أوفر اناة وصبراً ونرسلهم اليهم الساعة كي يقدما لهم باسم

هذه الجماعة النصيحة النهائية فاذا لا سمح الله ذهب مسمانا هذا معهم سدًى وقابلوا وفدنا ونصحنا بالمكابرة والعناد نضطر من ثم غيرةً على شرف الاسلام وحسماً لهكذا فساد مؤذٍ وداء معدٍ ان نشكوهم الى الحكومة . فاستحسن الجميع هذا الرأي وعوّلوا عليه ثم أخذوا يتداولون بامر مَن ومَن ينبغي ارسالها فاجمع رأيهم أخيراً على ارسال الشيخ عبد الكريم المذكور والشيخ عبد اللطيف جمال الدين وقالوا لهما اذهبا باسم الله وها نحن لا نبرح من هنا حتى ترجعا الينا فذهبا — هذا ولنرجع في كلامنا الى اولئك العلماء فانه بعد انفضاض الجلسة الاخيرة وانصرافهم فكر الشيخ سليمان فاضل في انهُ لا بد ان جوابهم الذي ارسلوه الى الشيخ ناصر الدين يولد حادثاً لا يستخف بهِ فرجع من ثم على أعقابه وعرض هذا الفكر على الشيخ علي والتمس منهُ ان يستدعي حالاً الاخوان للسهرة عنده الليلة لاجل المداولة والمخابرة بشأن ذلك فاستحسن الشيخ علي هذا الفكر والرأي غير انهُ قال أرى الانسب ان يكون الاجتماع هذه المرة في بيت الشيخ محمود وقُبَيل العشاء اكون هناك ان شاء الله . فذهب الشيخ سليمان وأخبر الشيخ محمود فدعى المذكور احد غلمانه وامره ان يذهب حالاً ويدعو العلماء المذكورين ولم تكن الساعة الاولى من الليل الاّ وكانوا حاضرين ما خلا عمر افندي زاكي وحسن افندي قباواتي فانهما امتنعا من الحضور بداعي موانع و بعد ان تنحوا في غرفة منفردة أخذوا في المداولة بعضهم مع بعض والتفكر في ماذا يا ترى ينتج من جوابهم الى الشيخ ناصر الدين . فقال بعضهم لا بد ان يكون الشيخ المذكور والسيد عبد القادر اعلما كثيرين بامرنا وهاجا قلوب ذوات البلد علينا وقال آخرون ربما يكونان شكيانا الى الحكومة فترسل الليلة للقبض علينا . فقال السيد ابرهيم لا يبعد ان يكون قد درى كثيرون بامرنا كما قال الشيخ عبد الحليم وهم آخذون في التآمر ضدنا فلا بد على كل حال من وقوع الضيق علينا اذ ليس للحرية مقام في هذه الديار ولا للحق محل في القلوب كما لا يخفى .

فقال الشيخ احمد عبد الهادي لنفرض ان الحكومة قبضت علينا الليلة أو في الغد وفي الحال تعرّينا من الاصحاب والخلان وافتري علينا بما يوجب اعدامنا وابعادنا وسلب أموالنا فهل نحن مستعدون لمثل ذلك أم في قلوبنا نية الارتداد أو الاستتار متى مسنا شيء من ذلك — اعلموا أيها الاخوان ان ديانة المسيح لم تُقَم وتُشاد بمداخلة القوى العالمية بل بقوّة الله . ومعظم مجدها وبهائها كان تحت ثقل حمل الاضطهاد والاذلال وحينما علاها غبار المقاومات وخوف الاهانات كانت تزداد بهاء وعزّاً وامتداداً ألم يقل المسيح له المجد « من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطي أستحي بهِ أنا ايضاً قدام ملائكة أبي الذي في السماوات ومن لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني لا يستحقني » وما هو حمل الصليب وراء المسيح الا احتمال العار والاضطهاد حتى الموت لاجله ولاجل انجيله كما حمل معظم ذلك لاجلنا. فان كان بعضنا يا اخوان لا يحب اتباع الرب الا حال الراحة فذلك منهُ غلط لان هذه النية مرذولة من الله . ولكن اذا كانت نياتنا مخلصة مع الله بان نعيش له لا لانفسنا مسلمين الارادة له معتصمين بهِ متكلين عليهِ فبدون شك هو يعضدنا ويقوينا بنعمة لنستطيع الاحتمال والثبات في الحق بازاء أنواع التجارب والمحن . ماذا ترون. أجاب الجميع اننا لا نستطيع انكار الحق الذي اعلن لنا والرجوع عن طريق الحياة التي وضعنا باسم الله فيها أقدامنا . على اننا ضعفاء فلينعم علينا ربنا بالقوة والنعمة — فقال الشيخ محمود اني حقاً أعجز عن ايضاح مقدار السرور والابتهاج الذي خامر قلبي من جراء ما سمعتهُ الآن من أفواهكم الدال على انسكاب محبة الله في قلوبكم ومن يستحق يا أحبائي ان تُبذل له المهج في سبيل حقهِ كيسوع الذي أحبنا حتى الموت ليهبنا خلاصاً وحياةً ومجداً ليس في وسع العقل الانساني تصور سموها وعظمتها — أهو امر عظيم والحالة هذه ان نحتمل العار والضيق لاجله ؟ على ان احتمالنا مثل ذلك في سبيل الله يؤول الى زيادة مجد من ربنا كما يقول احد رسله

بهذا الشأن « ان خفة ضيقتنا الوقتية تنشي اكثر فاكثر ثقل مجد أبدي » فلتوكل أحبائي على الله وهو يكون لنا عوناً. ولم يستتم كلامه الا وشخص يقرع الباب فبادر اليهِ الشيخ محمود ولما عرفهُ قال سيدي ان رجلاً يزعم انهُ الشيخ عبد الكريم الصائب يريد مواجهة الشيخ علي عمر وحضرتك. قال الجميع لقد أصاب فكر السيد ابرهيم فقال له افتح له وأتِ بهِ الى هنا ففتح له فدخل هو ورفيقهُ الشيخ عبد اللطيف جمال الدين وسلما كالعادة فوقف لهما الجميع مترحبين بهما ثم أجلسوهما أحسن مجلس و بعد مبادلة التحيات وشرب القهوة قال الشيخ عبد الكريم

يا أسيادي واخواني قد جئناكم الآن مرسلين من قبل اخوانكم رفاقنا الشيخ ناصرالدين عمر والشيخ عبد الرحيم الاموي والشيخ حسين النابلسي والسيد عبد القادر الفصيح — لا يخفى اننا لدى وقوفنا على جوابكم الى الشيخ ناصرالدين تكدرنا وتأسفنا جداً كيف ان كراماً نظيركم من افاضل العلماء عمد الدين في البلاد قدوة الخاص والعام يغترون بواسطة كلمات ملتوية من نصراني مشرك بالله منحرفين ذهناً وقلباً عن صراط الدين الصحيح والقرآن الالهي الفصيح الى دين النصارى الوخيم وضلالهم الجسيم. فبعد المداولة طويلاً في هذا الامر أجمع الرأي على ارسالنا وفداً اليكم حاملين شعائر حبهم لحضراتكم ومقدمين باسمهم النصيحة الاخوية النهائية بوجيز العبارة لان ما قلَّ من الكلام خيرٌ من كثرتهِ مع أفاضل الباء نظيركم. اننا لا نقصد الدخول معكم بالمحاورة والمناظرة كون ذلك ليس من متعلقات ارساليتنا اليكم واكدوا حضراتكم اننا نحبكم كأنفسنا ولذلك لا نحتمل ان نراكم متخلفين عنا في الدين ونُحرم حلاوة معاشرتكم الشهية فبكلّ توسل نطلب اليكم اكراماً لله ان تضمدوا بوفرة حكمتكم هذا الجرح الاليم الذي بضعتموه في قلوب اخوانكم هؤلاء. بل في جسم الامة الاسلامية كلها. وبحذاقة عقولكم الثاقبة اطردوا من ألبابكم الاوهام والوساوس التي ألقاها ابليس عدوّنا في صدوركم ودعونا نرجع معاً الى ما كنا عليه

فنقضي ايامنا بسرور وانشراح في رضى الله ورسوله وندخل أخيراً جنات تجري من تحتها الانهار ونحظى معاً بذلك النعيم وتلك النفائس التي لا يشوبها فناء ولا زوال — ثم قال الشيخ عبد اللطيف جمال الدين لو كنتم سادتي من رعاع الناس لكان أمركم هذا محتملاً نوعاً ولكنكم من نخبة أشراف الامة وأرباب العلم والفضل ومثال التقى والصلاح فهجركم الدين الاسلامي واعتناقكم النصرانية لا يحتمل ولا يهضم اذ بذلك تضحون لا ريب عثرة كبيرة وداهية عظيمة وكما كنتم ملحاً لاصلاح الناس تصيرون واحسرتاه وسيلة لافسادهم ومن يقدر على احتمال هذا الامر . وأي مسلم في قلبه ذرة من الايمان لا ينظر الى ذلك بعين الكره والسخط ؟ فحذار يا اخوان من شؤم هذا الضلال المجلب عليكم خسارة الدارين ولا تهدموا بأيديكم ما بنيتموه بأتعاب أيام كثيرة . فباسم الجماعة التي أنا رسولها اليكم أناشدكم الله ان ترعووا وترجعوا بسلام عن هذه الطريق الخطرة التي وضعتم ارجلكم فيها من جديد وكرجال حكماء انهضوا من حفرة الهلاك التي تهورتم فيها الى بحبوحة الحياة وروضة السلام يعف الله عنكم انهُ الرحيم فنرجو ان تتكرموا بالجواب الشافي لنرد على مرسلينا الذين هم بانتظارنا . اجاب الشيخ علي قد فهمنا مقالكما أيها الحبيبين فنقبل بجزيل الشكر غيرة حبكما وحب اخواننا المشايخ مرسليكم وكنا باكثر امتنان لو تصرفتم معنا على خلاف هذه الطريقة وهي ان تدخلوا معنا بالحديث وتروننا بالدليل والبرهان ضلالنا الذي تزعمونه لكنتم فعلتم ما هو حريّ باهل العلم وأئمة الدين . فهل في شرعكم يُحكم على المدعى عليه قبل ان يُسمع دفاعه . وهل يلام المدعي بدون ان يُبرهن له شرعاً بطلان دعواه ؟ هل هو حق ان تقولوا على الفور لمدعٍ باطلة وفاسدة دعواك قبل ان تبرهنوا له ذلك بوجه شرعي ؟ لا لعمري . اذاً بأي مسوغ شرعي أو أدبي تطلبون منا بديهاً الرجوع الى عقيدتنا الاولى وذلك تحت التهديد بالشكاية الى الحكومة اذا لم نجب طلبكم بدون ان تدخلوا معنا في الحديث وتبرهنوا لنا بطلان

دعوانا . وهب يا أخوينا انابداعي الجوف من مقاومة الامة والحكومة التي توهمون بها علينا ارتددنا الى اعتقادنا الاول منكرين غاية التوراة والانجيل . فهل تظنون ان رجوعنا بدون ان يتأ كد عندنا بطلان ما قد تقرر في أذهاننا يكون رجوعاً قلبياً . كلا . بل خارجياً فقط كبعض الكفرة الذين حباً بالنجاح العالمي يتظاهرون بالدين الرائج في البلاد التي يقيمون فيها و بذلك نكون عائشين بالرياء ملومين من الضمير وخازنين لانفسنانيران غضب الله يوم لا ينفع فيه والد ولا مولود ولا صاحب ودود فقال الجميع ان ايمان الشيخ علي ايماننا واقراره اقرارنا على الله توكلنا وهو لنانعم الوكيل

ثم قال الشيخ محمود اننا نلتمس منكما يا أخوينا الحبيبين ان تتأملا بامعان فيما قاله الشيخ علي ولا تعملا على اهلاكنا وخراب بيوتنا اذ لسنا مذنبين اليكم ولا الى الحكومة والامة . ودعونا نقضي وجيز العمر بالحرية التي خوّلها الله للانسان وان تنازلتم لمحاجّتنا واقناعنا بالدليل والبرهان نضحي بغاية الامتنان والشكر لافضالكم والا فليس في امكاننا مقاومة صوت الضمير بالانقياد عفواً الى طلبكم . ارثوا لنا يرثي لكم الله — وهكذا تكلم معهما الجميع متوسلين ان يقنعا المشايخ بالعدول عما عزموا عليه من الشكاية للحكومة الى البحث والمناظرة لساناً أو قلماً فاجاب الشيخ عبد الكريم سنعرض طلبكم هذا على اصحابنا ولكنني لا أراه مقبولاً . انّا جئناكم ناصحين فصرتم لنا واعظين ترغبون ان تهوّرونا حيث تهوّرتم وتضلونا حيث ضللتم فهذا لا تطمعوا فيه وعليكم اذاً ان تستعدوا لملاقاة الاهوال وشرّ الوبال . قالوا انا لله وانا اليهِ راجعون لا يصيبنا شيء الا باذن الله تعالى فان سمح بوقوع البلاء علينا بسبب تمسكنا بكلمة حقهِ لنا وطيد الرجاء انهُ يمدنا بعونهِ لنحتمل ذلك بشكر وصبر

ثم انصرف الشيخان المذكوران ولوائح الغضب تلوح على وجهيها العابسين وبعد انصرافهما كان سكوت من الجميع نحو ربع ساعة ثم تكلموا قليلاً فقال بعضهم كفانا ينبغي ان نصلي كثيراً وباكثر حرارة ليقينا الله من خطر الارتداد وليقوّينا

على الاحتمال . وحينئذ أخذ الشيخ احمد الانجيل وقرأ بكل وقارٍ وخشوع من الاصحاح الثالث عشر الى نهاية الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا فتأثر جميعهم من كلام الرب هذا حتى سالت مدامعهم ثم جثوا على ركبهم وقدم الشيخ محمود هذه الصلاة

« اللهم يا باري الكائنات وصانع المعجزات والآيات العالم بما كان وما هو كائن سبحانك يا محيي الانام من ميتة الخطية بموت ابنك الوحيد بالطبيعة الانسانية العليّ الذي لا تفحص افكاره ولا يُدرك كنهُ أسراره مَن حارت لديه البصائر وشهدت لعظمتهِ الضمائر الله بارينا وراعينا نحمدك ما استطعنا ونشكرك ما أمكننا لاخراجك ايانا من الظلمة الى نورك العجيب . واحيائك ايانا بابنك الحبيب فباسمهِ الكريم نحن متقدمون الى عرش جلالك ومقام رحمتك وكالك متضرعون اليك يا أبا الرحمة وإله النعمة ان تجزل لعبيدك نعمتك كي تثبت قلوبنا بايمان انجيلك ونزداد في معرفتك ونمتلي من حبك ومخافتك فنشهد بجراءة لحقك . ساعد اللهم عبيدك الضعفاء على حمل ما تسمح ان ناقي في سبيل حقك من المقاومات والآلام . قدسنا ربنا كي تكون سيرتنا حسب كلامك لتمجيد اسمك المبارك باظهار ثمار دياناتك الطاهرة في سلوكنا الحسن . شدد اللهم قلوبنا وقها واملأها من فرح رجاء خلاصك وخشيتك ومهابتك وبارك اصحابنا الذين بجهل ارسلوا ينذروننا ان نرجع عن طريقك ونرتد عن سبيلك . أنر اللهم قلوبهم وأذهانهم كما أنرتنا واهدهم كما أهديتنا ومتعهم بطيب سلام الايمان القويم والبر الثمين وبارك اللهم سلطاننا ومولانا المعظم الذي أوليتهُ عبادك مع وزرائه وولاته وقضاته كافة . ألقِ خشيتك في قلوبهم يا رب العباد لكي يسوسوا خلقك بالامانة والاستقامة وهب عبادك هؤلاء الذين دعوتنا بانجيلك الى ملكوت ابن محبتك ان نكون آلات مفيدة بيدك القديرة اذا شئت ان نعيش لارشاد واقتياد مئات وألوف الى حظيرة الخلاص والحياة لتكن اللهم أذناك الكريمتان

مصغيتين لاستماع تضرعات وتوسلات عبيدك هذه ولتحرز صلاتنا هذه قبولاً لديك باسم وسيط خلاصنا الوحيد وشفيعنا الفريد ولك اللهم الهنا القدير العزيز الاب والابن والروح القدس الواحد السرمد تقدم السجود والعبادة والمجد والحمد الآن وعلى الدوام آمين »

الفصل السابع

أما ما كان من الشيخين المار ذكرهما عبد الكريم وعبد اللطيف فانهما دخلا على اصحابهما واخبراهم بما جرى بينهما و بين العلماء المذكورين ثم قالا انا لا نرى فائدة البتة من السعي بارجاعهم بالتي هي احسن . فذهل الجماعة من ذلك وقال بعضهم آه لقد سقطوا سقوطاً ليس منه نهوض . وا أسفاه . وقال آخرون تباً لهم كيف هكذا استخفوا بنصحنا وانذارنا ألم يصدقوا ما انذرناهم به ؟ وقال غيرهم متى مسّتهم البلاء وحاقت بهم الاهوال ينكصون على اعقابهم راجعين . فقال الشيخ عبد الكريم لا غرو أن يرجع بعضهم متى ذاقوا مرارة الاضطهاد الا ان اكثرهم كما ارى لا ينثنون عن اوهامهم ولو قطعوا ارباً ارباً . و بينما هم في الحديث واذا بالحاج قدور المار ذكره داخل عليهم وكان غائباً منذ يومين عن البلد لشغل ما فبعد أن علم وفهم ما قد جرى وكان من أولئك الاعيان هاج وماج وقال واعجباه من تقاعدكم أيها السادة ! كيف اصطبرتم عليهم للآن ولم تسموا بقصاصهم ببعض ما يستحقون ؟ أيفسدون بالدين ويكفرون بالنبي والقرآن الكريم و يزرعون الفساد في اذهان العباد وأنتم عنهم متهاملون ؟ تتملقونهم بالكلام وتكسبونهم الزمان ريثما يتمكنون من نشر أضاليلهم وتمويهاتهم . ألا تعلمون ان هذا الضلال الغيهب متى حل ساحة الالباب لا يتيسر اخراجهُ الا بالسيف الاحدب . فقال الشيخ درويش العمري وقد أزاح عمامتهُ عن جبهتهِ وقبض على لحيتهِ : لا بالله كلام الحاج قدور عين الصواب . والله لقد قصرنا بحق هؤلاء

الحق . دعوني سادتي أذهب الآن وأهيج البلد عليهم وأقبض عليهم على حين غفلة وآتي بهم الحكومة صباحاً لئلا يهربوا الليلة او يختبئوا فيفلتوا من يدنا . فاجابه الشيخ عبد الرحيم الاموي مهلاً يا حاج نعم ان غيرتك تستحق الثناء لكن ما فهت به اخيراً غير مناسب والجري عليه من باب الطياشة لانه ليس في مقدرتنا القبض على اعيان أجلاء نظير هؤلاء. ولا يسوغ لنا ذلك وهب ان ذلك في حيز الامكان لا يناسب الآن لانه ما ادراك ان يضحي ذلك علة انقسام البلد وداعياً لفتنة دموية تصبح مسؤوليتها على عاتقنا اذ الموما اليهم كما لا يخفى هم من اشراف البلد وأوفر حرمة واعتباراً وذوي عصبات قوية لا يستخف بها . فمن أعسر الامور واخطرها محاولة القبض عليهم . فعندي أن نعرض صباحاً هذا الامر على قاضي افندي ومفتي افندي وقبل الظهر نعرض الواقع على الحكومة وهي أولى بهكذا أمر. وأحرى بنا وأنسب من ان نبدي تشويشاً واضطراباً لا نعلم ما تكون عواقبهُ . فاستصوب الجميع هذا الرأي وفوضوا بابلاغ القاضي والمفتي ذلك الشيخ ناصر الدين والسيد عبد القادر وانهم نحو الساعة الرابعة من النهار يحضرون جميعاً الى دار الولاية ويعرضون الحال لدولة الوالي ثم انصرفوا الى منازلهم وفي الصباح نهض الشيخ ناصر الدين والسيد عبدالقادر وأتيا منزل القاضي وطلبا مواجهتهُ وبعد وقت قليل دعيا الى محل الاستقبال فسألهما القاضي ما شأنكما يا اخوان ؟ فقصا عليه ما كان من الشيخ علي ورفاقهِ وما جرى بينهم وبين المذكورين واجتهدا كثيراً في تهييج خاطر القاضي عليهم بكل ما يمكن من الطعن والافتراء وحضرتهُ صامت عابس الى أن انتهيا من الكلام . ثم قال بكل رزانة وهدوء ان كان الامر كما تذكران فهو لخطب عظيم يدعو الى غاية الاسف والكدر فلا تؤآخذاني اذا قلت انه بناء على وفرة علم أولئك الرجال وتقواهم يصعب عليَّ تصديق كل ما قصصتما عنهم ولا يخلو الامر من المبالغة . أجابا لا وحياة رأس المصطفى اننا لم نعرض عليكم الا الواقع وسوف يتحقق ذلك لفضيلتكم. فتنهد حينئذٍ

وقال آه وا أسفاه واحيرتاه لا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال لهما وما فكركما تفعلان .قالا فكرنا ان نعلم بذلك مفتي افندي ثم نعرض الواقع لدولة الوالي . قال أما مفتي افندي فلا لزوم لذهابكما اليه انا أبلغه ذلك وأما عرض ذلك الى دولة أفندينا فهو اليكما متى شئتما . ثم استأذنا وانصرفا وكان القاضي من أعقل الناس فبعد انصرافهما اجتمع بالمفتي وقصّ عليه الخبر . ثم قال لا يخفى ان هذا الفساد هو لداء معدٍ سيما بواسطة علماء مشهورين كهؤلاء . انما لكون بعضهم من أنسبائنا وخلاًّنا نتحير جداً كيف نتصرف معهم اذا اصروا على رأيهم . حضرتك تعلم ان للمذكورين مناظرين وحساداً كثيرين لؤماء فمتى رأوهم تحت هكذا مسؤولية خطيرة لا يتأخرون عن الافتراء عليهم واتهامهم زوراً بما يعجل اعدامهم . فعلى كلا الوجهين الامر عسر النظر فيه . فنظر اليه المفتي واذا عيناه مغرورقتان بالدموع فاستغرب ذلك وقال اني شاعرٌ بصعوبة الامر وانما لله الامر اما نحن فمن كوننا مسلمين ووظائفنا ذات اهمية كبرى ديناً وسياسةً فلا يمكننا العدول عن منهج الشريعة لا سيما بمثل هكذا مسئلة — قال القاضي نعم ولكنني أفضل الاستعفاء على الحكم بالاعدام على الشيخ علي او الشيخ محمود . انما رجائي بالله بواسطة نصائحك ووسائل حبك انهم ينزعون عن اوهامهم ويرجعون عن ضلالهم . ولكن لنفرض أن كل الوسائل لارجاعهم ذهبت سدًى فما يكون ليت شعري — أجاب المفتي اذا بقوا مصرّين على التمسك بأوهام ضلالهم وجب ابعادهم الى بلد خالٍ من المسلمين — قال القاضي ذلك أنسب ولكن هل نتمكن من الاقتصار عليه . ثم افترقا ونحو الساعة الثالثة من النهار التقيا في دار الحكومة وبعد ان جلس الوالي على كرسي الولاية هنيهة اذا جماعة من العلماء والمدرّسين كالشيخ ناصر الدين عمر وأصحابه المذكورين داخلون فأنكر الوالي وأرباب المجلس ذلك ولم يعرفوا سبب دخولهم ثم سلموا فأمرهم الوالي بالجلوس فقالوا لا نجلس حتى نعرض لافندينا أمراً خطيراً فخفق قلب الوالي وقال ما هو فقال

القاضي ان حسن لدى أفندينا فليأمر باخلاء الديوان من النصارى وافراغه من كل مدع ومشتك ولا يسمح بدخول أحد الى الديوان ما عدا أرباب المأموريات والوظائف حتى نهاية المسئلة التي سيعرضها حضرات المشايخ . فأمر الوالي وافرغ الديوان وقال وما الأمر الخطير الذي أتيتم بشأنهِ فقال السيد عبد القادر الفصيح اذ كان دولة افندينا أيده الله هو أفضل الولاة وأشدهم غيرة على تأييد وتشييد شرف الاسلام رأينا ان نعرض لديهِ ما وجب علينا عرضه فبعظم الأسف نقول لايخفى على دولة أفندينا ان جملة من المشايخ (وذكر أسماءهم) تنصروا وانكروا النبي والقرآن وعلة ذلك هو وجود صداقة قديمة بين الشيخ احمد عبد الهادي ورجل حلبي نصراني يدعى يوحنا الفيوز متوطن في مرسيليا فمن مدة جاء من المذكور رسالة الى الشيخ المومى اليهِ موسومة « في الحق المبي » غايتها اثبات النصرانية وابطال كل دين خلافها فاطلع عليها العلماء المذكورون ومن جملتهم عبدكم هذا فمال الى مآلها وغايتها من حضر سوى عبدكم فاني تكلمت ضدها محامياً بكل قوتي عن حق النبي والقرآن الشريف ناصحاً لهم ان يلقوا تلك الرسالة في خبر كان مبيناً لهم ما تبطنتهُ من سموم الهلاك كباقي تآليف الملحدين والمشركين فلم يكن لرأيي هذا محلاً في عقولهم ثم لما جرت المفاوضة والمحاورة بشأن مضمون تلك الرسالة رأيتهم قد دانوا الى غايتها واذعنوا الى مقالها فعارضتهم سدى في ذلك . ومن ثم نفرت منهم وأتيت أستاذي الشيخ ناصر الدين عمر واطلعته على أمرهم فرقة منهُ وجباً استحسن ان يرسل اليهم كتاباً ودياً يتضمن نصحاً أخوياً لهم بالرجوع عن هذه الاراء والعدول عن سبيل التمسك بهذه الاوهام ففعل بما أمكن من الرقة والملاطفة جاوبوه بخشونة واباءة مصرحين بتنصرهم . وهذا هو جوابهم بقلم الشيخ علي ان حسن لدى افندينا النظر اليهِ ثم دفع المكتوب الى الترجمان فقدمه الى الوالي واذ كان دولة الوالي أو شك ان يأمر بقراءتهِ قال التمس من حلم افندينا ان حسن لديهِ يسمح لعبده بانهاء التقرير . قال الوالي حسناً

تكلم . قال ان الشيخ ناصر الدين لما رأى منهم ذلك لم يرَ المجلة بعرض أمرهم لدولة افندينا بل استدعى عبيدكم هؤلاء الأئمَّة واعلمهم الواقع وشاورهم في ما ينبغي استعماله لردّ هؤلاء عن ضلالهم . وبعد اعمال الفكرة مليًّا اجمع رأيهم على ارسال وفدٍ منهم الى المذكورين فارسلوا الشيخ عبد الكريم الصائب والشيخ عبداللطيف جمال الدين المتمثلين الآن لديكم ليقدّما لهم النصيحة النهائية و يبلغاهم شدّة تأثرنا لتخلفهم عنا باعتناقهم النصرانية . فذهبا و بذلا امكانهما بالنصح والانذار بكل رقة وحب فجاوبوهما ببيان وصراحة انهم مسيحيون مؤمنون بعيسى المسيح . و بذلوا اقصى جهدهم بمحاولة اقناعهما ليسلكا معهم سبيل ضلالهم هذا فلما رجعا واخبرانا ما كان آيسنا من ارجاعهم ورأينا من واجباتنا عرض الحال لدولة افندينا ليرى بسموّ حكمتهِ وسداد رأيهِ في حسم هذا الداء الخبيث

فلما أنهى كلامهُ سأل الوالي المشايخ رفاقهُ هل هذا الامر اكيد ؟ أجابوا نعم . فاخذ الوالي جواب الشيخ علي ودفعه الى الترجمان فقرأه على مسامع الحاضرين . وكان يلوح على وجه الوالي لوائح الغضب . وبعد هنيهة التفت الى ارباب المجلس وقال هل هذا خط الشيخ علي ؟ فاجاب البعض نعم وقال آخرون انه يشبههُ . فاستدعى الوالي حينئذ الطابوراغاسي وقال له خذ قائمة هذه الاسماء واحضرهم حالاً فذهب وأحضرهم جميعاً ولما مثلوا أمام الوالي والمجلس نظر اليهم الجميع نظرة التعجب ونظر اليهم الوالي بعبوسة وأمرهم بالجلوس فاستعفوا ثم امرهم ثانياً وثالثاً فجلسوا ثم اخذ الوالي جوابهم الذي سلفت قراءتهُ وأمر الترجمان بقراءتهِ مرّة أخرى فقرأه بصوت مسموع. ولما انتهى من قراءته قال الوالي مَن كتب هذا الكتاب . اجاب الشيخ علي : عبدكم — قال اذاً صرت نصرانياً . قال نعم . فزجره الوالي قائلاً . بعدت عنك النعمة والرحمة . ثم قال لاصحابهِ وانتم يامشايخ هل ضللتم أيضاً بضلاله ؟ قالوا حاشا عبيدك من الضلال وانما اتبعنا الحق الذي أنزله الله في كتابهِ العزيز التوراة والانجيل

المشهود له من القرآن نفسهُ — قال أ تكتفون بالقرآن الشريف . اجابوا وكيف وهو يدلنا على التوراة والانجيل انهما كتاب الله . قال ويحكم ان الانجيل قد تحرّف تحريفاً شنيعاً اذ يسمي عيسى ابن مريم الهاً وانساناً وان هذا الاله المزعوم صلب من اليهود وقبر وقام في اليوم الثالث وانهُ بهذه الميتة يطهر تابعيه من خطاياهم . أتوجد خرافة أجسم من هذه ؟ عار عليكم انكم بكلمات سخيفة تضلون بها هكذا سريعاً . فالآن آمركم ان ترجعوا عن هذا الغي القبيح الى الدين الصحيح والحق الصريح واعترفوا بذنبكم امام هذا المجلس واصلحوا خطاكم أصلحكم الله . أجاب الشيخ علي نلتمس من حلم أفندينا ان يسمح لنا ايضاً بالتكلم قليلاً — قال تكلم — قال لا يخفى على افندينا اننا بعد البحث بدقة وامعان في أمر الكتاب لم نرَ فيه تغييراً او تحريفاً ما ومن بحث عرف هذا . وانّا في كل شيء خلا الدين تحت أمركم لان الدين أمر بين الله والانسان وعلى كل ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس . فلما سمع الوالي هذا الكلام ازداد حنقاً وغضباً وقال بصوت الحدة والزجر اسكت يا خبيث . وللحال أمر مأمور الضابطة ان يأخذهم الى السجن ويضع الحديد بارجلهم فاخرجهم وذهب بهم واذ كان نازلاً بهم توسل القاضي الى الوالي بارجاعهم الى المجلس ليتكلم معهم ان شاء دولته فاجابهُ الى ذلك وأُرجعوا . ولما دخلوا أومأ الوالي الى القاضي ان يكلمهم فقال — بامر افندينا أقول لكم تفضلوا يا اخوان واجلسوا حسب مقامكم وعادتكم — البلد بلدكم والحكومة حكومتكم وهي لخيركم وخير وطنكم وهذا المجلس يقبلكم الآن بترخيص دولتهِ بكل عزّة وترحاب فاجلسوا حسناً واشكروا دولتهُ على صالح غيرته نحوكم . فجلسوا ثم نظر اليهم الوالي مبتسماً وأمر لهم بالقهوة فشربوا ثم التفت اليهم وقال يا آبائي العلماء واخواني في الدين واولادي في السياسة كيف يمكن ان أراكم تهجرون ربوع دين الله الاسلام وتذهبون الى قفر الاشراك بالله ولا يكمد قلبي وينسحق كبدي . فلو كنتم من الرعاع لكان أمركم أيسر احتمالاً وأقل مبالاة

فاناشدكم الله ان ترجعوا الى دينكم ودين آبائكم.وحوّلوا كمد قلبي الى سرور وابتهاج.
أما هم فلبثوا مطرقين متأثرين من فرط لطف خطاب الوالي . فلما لحظ ذلك عليهم
استبشر الحاضرون بقرب رضوخهم لامر الوالي.ثم قال القاضي استرخص من دولة
افندينا ان حسن لديهِ ان يسمح لعبـده بالتكلم مع الاخوان قليلاً — قال للوالي
تكلم ومن شاء غيرك من الحاضرين فليتكلم لاننا اخوان في الايمان فاثنى الجميع على
دولتهِ ودعوا له بطول البقاء . ثم التفت القاضي الى المذكورين وقال — يا اخواني
الاحباء ان صدري وصدوركم ايضاً تختلج كثيراً بحاسات الشكر الجزيل لحضرة دولة
افندينا الافخم لما ابداه نحوكم من الملاطفة والمؤانسة فاذكروا يا اخوان اجتماعنا معاً
في محالّ العبادة والدرس ومفاوضاتنا الروحية الطيبة ومخابراتنا ومباحثنا في ما يتعلق
بخير الامة والوطن . فهل تقبلون ان تتركوا مثل هذه المبرات وتقوضوا هذه
الاساسات الجيدة التي وضعتموها بفرط الجد والعناء ؟ لا — لا يا أحبائي لا تأتوا
هذا الامر المنكر . أناشـدكم الله أن ترجعوا من حيث شردتم ولا تخالفوا نصح
أفندينا الذي تنازل به اليكم ولا تخذلوا أخاكم هذا مستخفين بتوسلاتهِ اليكم رضي الله
عنا وعنكم . ثم قال المفتي : يا اخواني وأحبائي ان لساني يقصر دون القيام بحق
التعبير والبيان في هذا المقام عن مقدار الغم والكمد الذي احاق بقلب اخيكم هذا من
جرّاء الامر المستغرب ! والحق أقول ان أول كلمة طرقت أذني من هذا الخبر
المشؤوم شعرت بها كصاعقة انقضت على رأسي وكسهام ناري خرق صميم فؤادي.
عهدي بكم ان قلوبكم لينة فهل تحولت الى حجر ؟ كلا وحاشا . فيا أحبائي الاعزاء
أتوسل اليكم بحق المحبة والصحبة واكراماً لله أن تنزعوا عن هذه الاوهام وارجعوا
بسلام الى دين آبائكم الشريف واذا رغبتم في المحادثة والمحاورة الدينية نستعملها فيما
بعد على خلاء وأما الآن أمام هذا المحفل السلطاني فننتظر ونتأمل من حبكم ووفرة
حكمتكم الاجابة والاذعان لامر أفندينا والتماس اخوانكم هؤلاء . (اه)

فبعد انتهاء الخطاب وجلوس الخطيب لوحظ على أولئك الرجال انكسار القلب وضيق الصدر فأشار الوالي أن يُعطوا فرصةً للتأمل ثم بعد ذلك فرّقوهم بعضهم عن بعض واضعين كل واحد منهم بين اثنين وأخذوا في التكلم معهم همساً كلٌّ على حدته ثم تفرقوا الى غرف أُخر باذئين المجهود بارجاعهم بفنون الاساليب وصنوف المواعيد فانصاع لهم ثلاثة وهم حسن افندي قباواتي والسيد حسين ابي النصر والسيد مصطفى الحقاني . ولما رجعوا أمام الوالي وانعقد المجلس وقف المذكورون في الوسط وأقروا معترفين بأنهم قد أخطأوا الى الله ورسوله بما كانوا قد عوّلوا عليه من ترك الاسلام والتدين بالنصرانيـة ثم أدوا الشهادة لله وللرسول فقُبل منهم ذلك بكل فرح وأثنوا عليهم و بالغ الوالي باكرامهم مستبشرين برجوع البقية . ثم تقوّى القاضي وقال لهـم ان دولة افندينا مسرور جداً برجوع بعضكم الى الدين الحق والصراط القويم وهذا قد قوّى أملنا برجوع جميعكم لاتمام سرورنا . فنكرر رجانا اليكم أن تتموا سرور اخوانكم وترجعوا الراحة والسكينة والفرح الى بيوتكم و بلدكم . قفوا باسم الله يا احباب كما وقف اصحابكم وأدوا الشهادة لله ولرسوله اعلاناً لاذعانكم ورجوعكم الى الايمان القويم . فلما انتهى القاضي من مقاله وقف الشيخ محمود الرافعي وقال :

اني أسترخص من مكارم دولة افندينـا لأتكلم عما في قلبي عن نفسي وعن رفاقي هؤلاء . قال له الوالي تكلم فقال : يا دولة افندينا الافخم ويا اعضاء المجلس الكرام حقاً لقد كسرتم قلوبنا وآذيتموها بالمؤانسـة التي تنازلتم بها علينا بدون استحقاق فقلوبنا تختلج بالامتنان والشكر لحضرة دولتـهِ ولكم . فيا ليت في وسعنا الرضوخ القلبي لامره الكريم من جهة ما نحن بصدده . فلا يخفى على افندينا ان المعتقد واليقين محلهما القلب ولا يخرجان منه الا بالدليل والبرهان . أما توسلات الاخوان والاحباب والمواعيد والوعيد والقصاص فحدِّث فعلها في البعض ارضاخهم وارجاعهم عما تقرر في اذهانهم رجوعاً وقتياً خارجياً فقط لاقلبياً . وبما انه ليس في مقدرتنا ولا

في مقدرة غيرنا اخراج ما قد تقرر ورسخ في اذهاننا وقلوبنا من الايقان بسلامة وصحة نص الانجيل الموجود الآن الا بالدليل القاطع لذلك لا نستطيع مقاومة الضمير بالرضوخ عفواً لامر دولتهِ . ولكن اذا حسن لدى دولتهِ ولديكم أن تتنازلوا لمحاورتنا والعمل لاقناعنا بالبينات الراهنة والادلة الكافية تفعلون حسناً . ومتى تبين لنا غلطنا المزعوم لا نتردد عن الرجوع الحقيقي الى ديانة آبائنا . وها نحن بين يدي أفندينا فليفعل بنا ما هو حق . والامر لمن له الامر

فلما انتهى المذكور من كلامه حصل سكوت في المجلس بضع دقائق ثم أمر دولته باخراجهم وبعد خروجهم أخذ في المشورة بشأنهم فقال ما رأيكم في هؤلاء الجماعة وأي قصاص يستوجبونهُ بعد افراغنا الجهد بالتي هي أحسن . فقال بعضهم بوجوب اعدام اثنين أو ثلاثة منهم رهبة للآخرين وقال غيرهم بوجوب سجنهم مدة مديدة وتغريمهم مالاً جزيلاً الى غير ذلك من الآراء . وكان القاضي اذ ذاك ساكتاً لم يفه ببنت شفة . فقال له الوالي يا قاضي افندي اعطِ رأيك فقال يا دولة افندينا ليس هين تقديم الرأي في مسألة كهذه خطيرة وما سكوتي الا لزيادة تبصري وتأملي في ما ينبغي اتخاذه من جهة هؤلاء الرجال . فالحكم عليهم بقصاص بناء على ترك ديانة آبائهم واعتناقهم ديانة أخرى ينافي نظام الدولة وشرائعها واطلاق سبيلهم لا يناسب في الحال . على ان حكمة افندينا كفاية لكل أمر . فلما سمع الوالي هذا الكلام انتبه بتعجب الى ما كان قد غفل عنهُ فقال ان ما قالهُ جنابك هو الصحيح وانت يا مفتي افندي ما ترى . فقال أرى ان يُحجز المشكو عليهم موقتاً في الديوان وان حسن لدى افندينا يقدّم تقرير حالهم الى الباب العالي ويستعلم من طرفه عما يجب اجراؤه من جهتهم فيتخلص افندينا ونحن من اعباء المسؤولية بشأنهم . فوقع هذا الرأي موقعاً حسناً عند الوالي والمجلس وحينئذٍ أمر بحبسهم في غرفة مناسبة في الديوان ريثما يرد الامر بشأنهم وسمح للقاضي والمفتي وغيرهم ان يبذلوا الجهد باقناعهم

للعدول عن أوهامهم والرجوع الى الاسلام . ثم أرسل اشارة برقية الى المابين تتضمن خلاصة أمرهم مع التماس الافادة عما يجب اجراؤه من نحوهم

الفصل الثامن

أما ما كان من المذكورين فانهم دخلوا سجنهم فرحين ولما شاع في البلد خبر سجنهم اضطرب الناس لذلك وأي اضطراب سيما الذين لم يعرفوا السبب. فما كنت تسمع الا الغوغاء والضوضاء في الاسواق والشوارع فانقسم الناس بعضهم على بعض وكثر بينهم القيل والقال . وكان الشاعرون بما لاولئك الادباء من الفضل وجميل الأثر يقولون لمَ سجنت الحكومة يا ترى هؤلاء وما ذنبهم وما جريمتهم . وصاروا يتذمرون على الوالي والمجلس ناسبين ذلك الى غايات نفسانية . لكن بواسطة اهل التعقل والحكمة هدأ الحال شيئاً فشيئاً . أما ما كان من الشيخ ناصر الدين وذويه المذكورين مع بعض حساد المومأ اليهم فانهم بعد أن أشاعوا في كل انحاء البلد ان السبب الموجب لحبسهم هو انقلابهم لدين النصارى عمدوا الى تدبير دسيسة فعالة ضد اولئك المساكين لارواء غليل قلبهم الظامي الى الانتقام منهم . فاجتمع جماعة في بيت الشيخ احمد الكيلاني للمؤامرة و بعد الاخذ والرد قال الشيخ عبد الكريم الصائب عندي الاصوب اعمال الفكرة باتخاذ الوسيلة الفعالة لاعدام أحدهم بوجه شرعي وان تم لنا ذلك لا يلبث ان يرجع اكثرهم وربما آل ذلك الى ارجاع جميعهم لانهُ كما لا يخفى ليس من الممكن في هذا العصر اقناع الحكومة باعدامهم أو اعدام اكثرهم بالنظر الى كمال الحرية الدينية في اكثر الممالك وأعظمها فعليهِ لا يناسب قط الشروع في تدبير دسيسة على جميعهم أو اكثرهم لاننا لا نفلح في ذلك بل على واحد منهم لا غير . فوقع عندهم هذا الرأي موقع الاستحسان . ثم أخذوا يتشاورون في مَن منهم يكون أنسب لجعله غرضاً لسهام مكيدتهم فقال هذا فلان

وقال ذاك فلان الى ان قال الشيخ علي العطار أرى انهُ يكون اكثر مناسبة لذلك عمر الحارس فان هذا الرجل لا عصبة له تذكر وهو مكروه من الاكثرين لخشونة طبعهِ . وعلى ظني انهُ هو بالاكثر الذي عظّم هذا الفساد فاذا قوصص بالاعدام لا يلبث الآخرون ان يرتدوا الى دينهم فاذعن جميعهم الى هذا الرأي وعوّلوا عليهِ ما خلا الشيخ ابرهيم تقي الدين فانهُ قال عجباً يا شيخ علي من انزالك الصفات الشريفة منزلة الامور الذميمة . فلا تؤاخذوني اذا قلت انكم غير محقين بتوجيه سهام الهلاك ضد شخص هكذا وما يضرنا ان يكون الانسان حراً في ما يفتكر و يعتقد . أجابهُ الشيخ احمد الكيلاني لا تؤاخذنا يا شيخي انا دعوناك للاشتراك معنا في أمر هو لمصلحة الدين والامة والظاهر ان ذلك لا يهمك فاذا شئت حضرتك الانصراف فلا بأس . على انا نرجوك الكتمان عما سمعت . أجاب نعم وقام للحال وذهب لسبيله وهو يدعو و يقول لا نجّح الله مسعاكم ولا وفقكم الى ايذاء هذا الرجل الكريم و بعد انصرافه قال الشيخ عمر الكيلاني لا تستغربوا ما قال شيخنا الفابرفان بيت تقي الدين موصوف بالمعارضة ان قلت لاحدهم « الخل حامض قال بل حلو » واذا قلت لهم « العسل حلو قالوا بل حامض » فقال الشيخ ناصر الدين قلما تخلو الجماعة من الحمق والمجانين فما لنا وله دعونا نرجع الى ما كنا عليه من الحديث.فقال الشيخ احمد الاصوب ان نسترخص الدخول عليهم مظهرين لهم كل حب واخلاص حتى نجلبهم نحونا ومن ثم نأخذ معهم بالحديث بما أمكن من الرقة والدعة ونجتهد لنجعل حديثنا بالاخص مع المذكور . ومتى تمكنا من ذلك نسأله هذين السؤالين . هل القرآن من الله أم لا . ثانياً . هل النبي محمد صادق في ادعائهِ النبوّة والرسالة أم لا . وبما ان المذكور من طبعه البليد لا يعرف ان يتكلم الا ما في قلبه بكل سذاجة لا بد انهُ يجاوب حالاً على ذلك فان أجاب بالايجاب يكون قد رجع مسلماً وان بالسلب نكون قد تمكنا من بلوغ المرام فنسكب جوابهُ في قالب

يوجب اعدامهُ شرعاً . فاستحسن الجماعة هذا الرأي غير ان بعضهم قال : لا يخفى عليكم ان من طبع ابن الحارس قلة الكلام وغالباً اذا جرى الحديث على ألسن جماعة كان بينها يكون آخر من تكلم لاسيما اذا كان في الحضرة مَن هو أرفع مقاماً وأغزر علماً فلست أرى من السهل جذبهُ الى الحديث . قال الشيخ احمد نعم ولكنني أرجو انَّا باطالة الحديث معهم بالحكمة والملاطفة نقتاد المذكور للاشتراك في الحديث ومن ثم نبذل الجهد بحصر الحديث معه والله الموفق . فقرّ قرارهم على ذلك ثم قال بعضهم أرى انه لا يوافق دخولنا جميعاً اليهم لئلا ينتبهوا الى المكيدة فنخسر ثمرة اجتهادنا . فعندي ان حسن لديكم ان يدخل عليهم ثلاثة منا لا غير ممن هم أوفر اناءةً ودهاء . ومن ثم اختاروا لذلك الشيخ احمد الكيلاني والشيخ علي العطار والحاج ياسين قباقبي — هذا وان الوالي وذويهِ مع بعض اعضاء المجلس كانوا يتوقعون علة موجبة لاعدام بعض أولئك المتنصرين رهبةً للبقية وعبرةً للناس فلم يجدوا لان القاضي والمفتي كانا يقاومان بكل جهدهما هذا الميل متخذين ما امكن من الاحتياط لدفع هذا البلاء الى ان كان اليوم الرابع من حبسهم واذ جاء الديوان الثلاثة المشايخ المذكورون فاسترخصوا من دولتهِ الدخول الى المذكورين بعلة قصد انذارهم ونصحهم فرخص لهم بذلك ولما دخلوا اليهم سلموا عليهم سلام الحب والوداد بغاية الاعتبار والوقار مظهرين ما امكن اظهاره من احساسات الحنوّ والشفقة ثم جلسوا بكل احتشام ممسكين عن الكلام مقدار نصف ساعة عابسين مكتئبين . ثم فتح الشيخ احمد الكيلاني فاهُ وقال بنغمة التودد والتحبب : يا سادتي واخواني الاحباء اني من فؤاد مضطرم بنار الحزن والاسف أقول : ان امركم هذا وما قد جرى لكم قد شوّش البلد وأي تشويش وصارت مسئلتكم هذه حديثاً عمومياً للصغار والكبار فمن الناس من استخف عملكم هذا ناسبينهُ الى فساد في المخيلة طرأ على عقولكم السليمة ومنهم من تحير منه وظنهُ صالحاً استناداً على غزارة علمكم وكرم

طباعكم وقد نشأ عن ذلك كما لا يخفى انقسامات كثيرة وتحزبات ومجادلات عنيفة في الاسواق والمخازن والمنازل فلما بلغنا هذا الامر المهم عندنا اعترتنا الحيرة والدهشة من جراء ذلك . فبعد التفكر بذلك مليًّا قلنا لا بد لنا من زيارتهم ان شاء الله والتحدث معهم بهذا الامر علّنا نحصل من ذلك على فوائد نحن نجهلها فنناشدكم الله يا اخوان أن لا تكتموا عنا امراً مفيداً ولا تخفوا عنا ما نسألكم عنه . (فانتبه حينئذ عمر افندي زاكي الى ماطوي من رداءة الغاية وسوء القصد تحت رداء طلاوة هذا الكلام وهمس في أذن الشيخ علي اني لا ارى هؤلاء الا افاعي آتين بدسيسة ومكيدة مدبَّرة كما يظهر لك من ملق كلامهم وسرعة تغيير هيئآت وجوههم وزيادة تحديدهم علينا في الكلام فلنكن على حذر) وقبل أن نسأل حضراتكم شيئاً نقول نعم اننا نتوق جداً ان نراكم يا احباب عدلتم عما عوّلتم عليه من هجر الدين الاسلامي ولكن اذا كان ما انتم متمسكون به حقاً وصلاحاً فلا نرضى لكم بالرجوع لانه على كل حال ينبغي ان يفضل صالح النفس على صالح الجسد والآخرة على الدنيا ولذا أتيناكم بكل اخلاص طوية لنتحدث معكم عن هذه الامور فأملنا بحبكم اجابتنا عما نسألكم عنه بجلاء وبيان . أجاب الشيخ احمد عبد الهادي تفضلوا سلوا ما بدا لكم . قال الكيلاني قد علمنا مما شاع عنكم انكم بعد الفحص الوافي رأيتم ان الكتاب التوراة والانجيل لم يشبْهُ تغيير ما بل هو باق كما أنزل من الله .فاخذتنا الدهشة والحيرة لان الكتاب الموجود الآن بايدي اليهود والنصارى ينافي القرآن الشريف كل المنافاة من حيثية عيسى بن مريم عليه السلام لما فيه من التصريح بألوهيتهِ وصلبهِ وموتهِ فداء عن العالم الامور المنكرة في القرآن . أ كاذبٌ القرآنُ في انكاره ذلك؟ أليس هو منزل من الله؟ نرجوكم الاجابة

فتوقف المذكورون عن الجواب لما لحظوا ما تحت هذا السؤال من رديء الغاية . وبعد برهة قال عمر افندي زاكي لا يلزمنا يا أصحاب ان نجيبكم على هذا

السؤال الذي لا نرى له محلاً ويكفي ان نقول لكم ان الكتاب ما تحرّف قط ولا تغير في غايته وقضاياه ولذلك أدلة و براهين قاطعة محالٌ نقضها بوجه من الوجوه ولا تؤاخذوني اذا قلت لكم اني لا أراكم مخلصين النية من جهتنا بل أخالكم كجواسيس جئتم تتجسسون حريتنا لتصطادوا من أفواهنا شيئاً تشتكون به علينا — فقالوا بلسان الشيخ العطار معاذ الله ان نكون هكذا لا تظنوا فينا السوء يا اخوان قسماً بالله العليّ العظيم انا نحبكم كانفسنا وما جئناكم الا بكل اخلاص قصد الاستفادة لانه اذا كان حقيقة التوراة والانجيل لم يتحرفا ولا تغيرا من خصوص هذه المسألة فيكون القرآن ليس من الله وان كان منزلاً من الله فبلا شك يكون اعترى الكتاب تغيير عظيم فهذه الافكار أزعجتنا وأقلقتنا جدًّا حتى لم نعد نجد راحة لانفسنا وطار عنا نومنا فقلنا من ثم الاوفق لنا اذاً ان نزور أولئك الاخوان في سجنهم ونتحدث معهم . وعليهِ جئناكم بعلة انا قاصدون نصحكم وانذاركم ولكن في باطن الامر لنستفيد ونتنور من جهة هذا الامر وانتم تكسرون خواطرنا باتهامكم ايانا بسوء الغاية سامحك الله يا عمر افندي فها نحن ننصرف عنكم — وتظاهروا كأنهم يريدون الانصراف فقال الشيخ علي كلا يا اخوان لا تذهبوا بل قد آنستمونا أهلاً وسهلاً بكم فنرجو ان لا تؤاخذوا أخاكم عمر افندي على ما قال ونحديدكم في السؤال هل القرآن اذاً كاذب مما يدعونا كما لا يخفى عليكم الى هذا الظن على ان بعض الظن اثم . فان كان عندكم يا اخوان شك في صحة التوراة والانجيل فعليكم بدرس التوراة التي بيد اليهود ومقابلتها على الانجيل الكائن بيد النصارى عسى انكم بنعمة الله ترون فيهما كما قد رأينا من المطابقة المدهشة . ثم قابلوا الانجيل على القرآن فقاطعهُ الشيخ احمد الكيلاني قائلاً قد فهمنا يا سيدي مقالك الا ان الاعتقاد بعدم تحريف الكتاب هو نفس انكار القرآن فاجفل الشيخ علي من تكرار هذا السؤال وامتنع من الجواب ريبةً باخلاص هؤلاء الرجال فكان

المتنصرون في هذه المفاوضة أو بالحري المخاتلة والمصارعة على غاية ما يكون من الاحتراز لئلا يفوهوا بكلمة تكون علة لازدياد الوبال عليهم. فقال الحاج ياسين قباقبي اني لا أعجب من تجفلكم منا يا اخوان أذناب نحن (قال عمر افندي سراً لا شك في ذلك) أما نحن اخوانكم هل رأيتم أو سمعتم عنا شيئاً ردياً يجفلكم فلماذا تحاولون عدم افادتنا أجابهُ السيد عمر الحارس ان الحاكم علينا بهذا السؤال الذي لا لزوم له يريبنا بخلوص نياتكم من جهتنا ويدعونا للتوقي والحذر. ألا تعلمون ان خروجنا من الاسلام هو الجواب لسؤالكم فاي محل اذاً للالحاح بهِ علينا؟ قال الكيلاني وقد تعدل في الجلوس ومسح شاربيهِ ولحيتهِ أحسنت في ما قلت ياسيد عمر ولكن أليس هو منزل بالوحي على محمد. (لم يقل سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم كعادة المسلمين عند ذكره لتتميم المكيدة) قال عمر بصوت منخفض لو كنت اعتقد ذلك ما صرت نصرانياً فلما سمع المذكورون منه ذلك طرحوا عنهم حينئذٍ أثواب المداهنة والمخاتلة ورفعوا عن وجوههم برقع التنكر مظهرين حقيقة حالهم وذلك ان الكيلاني غير نغمة اللطف من كلامه قائلاً بصوت جاش و بلفظ الخصام اذاً بموجب كلامك هذا ان القرآن ليس من الله وان محمد المصطفى نبي كاذب ورسول غشاش غشّ النـاس باكاذيبهِ — حاشاه حاشاه من ذلك قد جدفت يا عمر على القرآن والرسول تجديفاً لا يحتمل ولا يطاق . الله اكبر . الى هذا الحد . أبهذا المقدار يكون الافتراء والتجديف على الله ورسوله أهكذا تهينون القرآن والنبي والاسلام — واذ كان هذا الكلام بغاية الحدة والارتفاع وكان اذ ذاك السيد عبد القادر الفصيح والشيخ عبد الكريم الصائب والحاج قدور الطيش ومحيي الدين ابن الشيخ ناصر الدين مع آخرين من ذوي الجهالة والطيش يجولون حول السجن مراقبين الحال ومنتظرين مثل هذا الكلام كملامة دعوة لهم للهجوم واثارة الهيجان على المذكورين حسبما كان الاتفاق بينهم فلما سمعوا ذلك صاحوا بفم واحد يا للدين

محمد . الله اكبر على الكفار وهجموا على باب السجن قائلين باعلى الصوت أأنت يا ابن الحارس تجدّف على القرآن العزيز وعلى نبي الله ورسوله الاعظم أتقول ان القرآن ملفق من الناس ومحمداً كاذب بادعائهِ النبوة والرسالة ؟ فتكاثرت الناس وهجموا ليدخلوا ويختطفوه فانمتهم الضابطة وصدوهم عن ذلك فاوقعوا الضرب بهم فقويت الضجة وعلت الصيحة فتهافت الناس من كل جانب الى ذلك المكان . ولو لم يتدارك ذلك الاميرالاي بالعسكر الشاهاني والطابور اغاسي بالضابطة والجندرمة الذين بادروا سريعاً لاخماد الفتنة لكان تعاظم الخطب واتسع الخرق على الراقع ولما هدأ الشغب جلس الوالي على كرسي الولاية وأمر باحضارهم ولما مثلوا بين يديه نظر اليهم بعبوسة وقال لهم لماذا أثرتم هذا الشغب القبيح في دار الحكومة هل تظنون انكم بعملكم هذا الخالي من الحكمة والادب تنتصرون للنبي والقرآن. أجابوا اننا نتوسل الى حضرة افندينا ان يسمعنا بحلمهِ وبعد ذلك يفعل بنا ما يحسن في عينيه فقال تكلموا — لا يخفى على دولة افندينا انه اذا كان عبيدكم في الديوان بسبب اشغال خاصة مررنا على المحل المسجون اولئك الرجال المتنصرين فرأيناعندهم الشيخ احمد الكيلاني والشيخ علي العطار والحاج ياسين قباقبي وسمعناهم يتحدثون ويندرونهم فذهبنا كل الى شغله وقلنا دعوا هؤلاء العلماء تخلون بهم عسى ان يقنعوهم بالرجوع الى الاسلام . ثم بعد نحو ساعة من ذلك اتفق ان بعضنا مرّوا في رجوعهم على ذلك المكان فسمعوا عمر ابن حسن الحارس يقول بحدة وصوت مرتفع ان القرآن ليس من الله وان محمداً القريشي كاذب بادعائهِ النبوة والرسالة رجل غشاش محتال احتال على العرب وغشهم فهرولنا الى ذلك المكان لنعلم ما الحادث فلما طرق آذان عبيدكم هذا الكلام التجديفي من مرتد لئيم لم نسمعه من نصراني ولا يهودي صار الضياء في أعيننا كالظلام وثارت في قلوبنا الحمية الدينية والنخوة الاسلامية حتى لم نتمالك عنهُ فحصل ما حصل من الشغب والاضطراب فنسترحم

ان حسن في عيني افندينا الاغضاء عما قادتنا اليه الطبيعة لدى سماعنا ما لا يطاق ولا يحتمل والامر لولي الامر افندم . فلما سمع الوالي هذا الكلام راق خاطره وأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم أمر باحضار الكيلاني ورفيقه ولما مثلوا امامه امرهم بتقديم دعواهم رسمياً على عمر الحارس المذكور ففعلوا وهاك صورة العرض

دولتلو افندم حضرتلري : — يعرض هؤلاء العبيد اننا افرط تأثرنا من ضلال هؤلاء الرجال بارتدادهم عن الاسلام رغبنا ان يكون لنا شركة في انذارهم ونصحهم ما امكن فدخلنا اليهم بالرخصة من دولتكم و بذلنا الجهد في مكالمتهم بما امكن من الملاطفة والمودة فلم يكن منهم الا الصد والعناد . واذ قلنا لهم اخيراً ان القرآن ينكر كون عيسى بن مريم الهاً وانهُ صلب ومات . أجاب احدهم وهو عمر الحارس القرآن ليس منزلاً من الله . قلنا له ان نبي الله ورسوله محمد قد نطق به . قال هَهْ هَهْ ضاحكاً ضحكة الاستخفاف والازدراء : ومن أين لمحمد النبوّة . رجل قريشي كذاب غشاش محتال قد غش العرب بأكاذيبهِ وتحبلاته . فلما سمعنا ذلك من المذكور نفرنا منه بشديد الكره والغضب ووبخناه بعنف على تجاديفهِ هذه فسمع ذلك من كان خارجاً وجرى ما قد جرى من التشويش والاضطراب الا اننا نشهد لله ان رفاقهُ اغتاظوا جداً مما فاه به وانتهروه على ذلك فهذا ما اقتضى عرضهُ لدولتكم ملتمسين ان حسن لديكم اجراء ما يحسن قصاصاً لهذا المفتري المجدّف على الله ورسوله حسماً لمثل هكذا افتراآت مؤثرة مهيجة و بكل الاحوال الامر لمن له الامر افندم

بنده	بنده	بنده
محمد كيلاني	علي المطار	ياسين قباقبي

فلما اطلع دولتهُ على الاعراض أحاله على المجلس ثم أمر بارجاع أولئك المشاغبين الى السجن ليحبسوا مدةً وفقاً للنظام وغب اطلاع المجلس على العرض أمر دولتهُ فدعا عمر الحارس وأقيمت الدعوى فقال له الرئيس ان هؤلاء الرجال قد اشتكوا

عليك لدولة افندينا بانك قد جدّفت على القرآن الشريف والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم فما تقول ؟ أجاب كلا يا اسياد اني قط لم أقل هكذا ولا فهت بشيء من هذا الكلام وكل ما قلت في أثناء الحديث هو ان في القرآن كثيراً من الكلام الصالح الجيد ومن كلام الكتاب . فقال لي الشيخ احمد الكيلاني ولكن أليس هو منزلاً بالوحي على سيدنا محمد قلت لو كنت أعتقد ذلك ما صرت نصرانياً . حينئذ رفع صوتهُ بكل حدة وسخط و بدا يتهمني باطلاً بالافتراء الشنيع المرقوم في هـذا العرض ويصيح ويعيط هو ورفيقاه حتى احدث بلا سبب هذا الهيجان المنكر الامر غير اللائق بشيخ فاضل نظيرهِ . فتبسم القاضي وقال على كل حال ما كان واجب منكما الخوض في هذا الحديث . ثم قال الرئيس ان معنى كلامك هذا هو كما شكي عليك فضلاً عن كونك كما تقرر فهت بالتجديف على القرآن والنبي الاعظم امام شهود كثيرين — اجاب اما قول حضرتكم ان معنى كلامي هو هكذا فاقول ان كل الامم غير المسلمة لا يعتقدون بانزال القرآن ولا بنبوّة محمد واذا سئلوا كما سئلت لا بد يجاوبون كما اجبت فهل لذلك يستوجبون القصاص . واما اني فهت بما قد شكي عليّ فهو كما يعلم الله محض افتراء من المشتكين ومعاذ الله ان أفوه بهكذا سفاهة وما الشهود الا اخصام يرغبون في اهلاكي . ولا يخفى على اذهان حضرتكم ان كثيرين يستجيزون الكذب وشهادة الزور اذا كان ذلك لغاية صالحة فاذا كان يحكم عليّ بناء على شهادة شهود فقصاصي صار محتوماً اذ قد شهد جم غفير حين الشغب والهجوم على سجننا اني افتريت وجدفت كذا وكذا وان ذلك كان علة هيجانهم وهجومهم وهل للشرع ان يقبل شهادة مسلم على متنصر حديثاً من الامة الاسلامية في الوقت الذي هو فيه واقع تحت سخط الامة والحكومة ومسجون بسبب ذلك فأنا ألتمس محاكمتي على محور الشريعة والنظام — فقال الوالي اسكت لا نحاكمك الا بالحق ثم امر بارجاعهِ الى السجن الى اليوم التـالي وفي الغد غب أن

التأم المجلس بحضرة الوالي وأخذ في المشورة حكم الاكثرون بوجوب اعدامه . أما القاضي والمفتي فقاوما ذلك وقال القاضي لا شرعاً ولا نظاماً يستوجب الموت في ظروف كهذه . فقاومه الرئيس قائلاً : يلوح عليك الغرض مع هؤلاء المفسدين . فضحك القاضي وقال حاشا لي من ذلك ولكن اذا شئنا ان نحكم في مجلس السلطان ينبغي أن لا نحكم الا بما يوافق شريعة المملكة ونظامها . فعضده المفتي في ذلك قائلاً من الواجب حين النظر في الدعاوي في محاكم الحكومة أن نلقي جانباً كل غرض وهوى ومراعاة الميل الديني والجنسي . وبما ان مملكتنا مؤلفة من أمم واجناس مختلفي الدين والمذهب لذلك يكون الحكم في الدعاوي بمعزل عن الشرع والقانون السلطاني . فعندي ان وجد من باب الشرع والنظام مسوّغ لاعدام هذا المدعى عليه كان به والا فلا

فعقب ملء التأمل في هذه المسألة قال الوالي لنرى أولاً الشهود ونسمع شهاداتهم ثم أمر دولتهُ المشتكين أن يقدموا شهودهم ثم أومأ الى القاضي أن يدنو منه ولما دنا اليه قال له همساً : حسناً قلت ولكن دعنا نرى الشهود هل — هم من الرعاع أم من ذوي التعقل وحسن الذمة ؟ فقال أمركم افندينا . فقدم المذكورون شهوداً كثيرين لم يرَ الوالي والمجلس شهاداتهم أساساً كافياً لبناء الحكم على المشهود عليه . أخيراً قدموا ثلاثة شهود مسنّين مشهوداً لهم بحسن السيرة والسريرة وهم السيد حسين ابرهيم والحاج محمد افندي نور الدين والحاج يحيى الحلاّق فأوقفوا جانباً وأمر باحضار المشكو عليه . وعقب حضوره قال القاضي للمشتكين أين شهودكم يا اخوان على هذا الرجل ؟ أجابوا ها هم حاضرون فوقف السيد حسين المذكور وقال بعد أن أقسم القسم الشرعي على أن لا يقول الا الحق كما رأى وسمع : « أشهد لله . اني اذ كنت نهار امس في هذا المجلس نحو الساعة السابعة مررت بالمحل المسجون فيه المتنصرون فرأيت عندهم هؤلاء الاخوان الثلاثة وهم آخذون معهم في الحديث فوقفت قليلاً

لأفهم موضوع حديثهم فسمعت هذا الرجل عمر يقول التوراة والانجيل ما تغيرا قط ولا تحرّفا وما فيهما من الكلام عن ألوهية عيسى المسيح وصلبهِ فداء عن العالم هو حق لا مراء فيه — قال له الشيخ احمد الكيلاني ان ذلك ينافي القرآن فهل تحسب القرآن كاذباً ؟ قال عمر نعم ان القرآن ليس من الله . قال الشيخ ألا تعلم يا سيد عمر انك بقولك هذا تنسب النبي محمداً الى الكذب والبهتان . ؟ قال لا ريب بكونهِ كذاباً محتالاً ادعى النبوة والرسالة من الله كذباً وبهتاناً فهذا ما سمعتهُ وشهدت به » . وشهد الثاني قائلاً : « اذ كنت نهار أمس بعد الظهر بنحو ساعة آتياً الى مأمور قلم الاملاك فلدى وصولي الى محل سجن هذا الرجل ورفاقهِ سمعتهُ يقول بعجب وحدة : ان القرآن غير منزل من الله وان محمداً المدعو نبي الله ورسوله ليس هو نبي الله ولا رسول منه . هذا ما سمعتهُ منه بهِ أشهد أمام رب العالمين » . وشهد الثالث قائلاً : « أشهد والشهادة لله بينما كنت نهار أمس مدعواً من قبل جناب الدفتردار للحلاقة قبل الظهر ففي رجوعي بعد الظهر وأنا مارٌّ على غير انتباه أمام حبس هذا الرجل ورفاقهِ سمعت قائلاً يقول بصوت الحدة والغيظ : نعم ليس القرآن من الله فوقفت من ثم في مكاني وتطلعت في ذلك المكان فرأيت السيد حسين ابرهيم واقفاً على الشباك وهؤلاء الاخوان داخلاً فقال له الشيخ احمد كيلاني مهلاً يا سيد عمر انك بهذا القول تنسب النبي محمداً الى الكذب . أجاب نعم نعم على كل حال محمد كاذب بادعائهِ النبوة والرسالة . فهذا ما سمعته وشهدت به » . فلما سمع الوالي والمجلس هذه الشهادة المتينة الصريحة من شيوخ أتقياء كهؤلاء امتلأوا حنقاً وغضباً ثم قال رئيس المجلس ما تقول يا رجل بهذه الشهادة من هولاء المعتبرين ؟ أجاب : بارك الله فيهم وزادهم اعتباراً ! احكموا على عبدكم بما تريدون . — قال بل ان كان عندك دفع فادفع واحتج عن نفسك . قال : أتجاسر أن اقول حقاً اني لمتعجب ومنذهل كيف يمكن لرجال كهولاء عقلاء في سن الشيخوخة يشهدون هكذا

زوراً وبهتاناً ! أأنتم يا سادتي سمعتم مني هذا المقال ؟ سامحكم الله ! كيف تعطون جواباً لله عن ذلك في يوم الحشر والموقف العظيم ؟ لا بأس ! الموت خير من البقاء في عالم شرير كهذا . قال له الوالي : اخرس أيها الخبيث الجدف ولا تطعن هكذا بمن هم خير منك وأصدق . فقال بعض الحاضرين في سره : بل هو الافضل والاصدق ثم أمر بهِ فردّ الى سجنهِ

وبعد اخراج المشتكين والشهود أعيدت المشورة أيضاً بخصوص المذكور فانجلت عن قرارهم كافة باعدامهِ وكتبوا بذلك مضبطة أمهرها الجميع . وبعد ان قدموها لدولة الوالي قدم اشارة برقية الى الباب العالي تتضمن صورة المسئلة ومن ثم فض المجلس — وبينما كان القاضي والمفتي ذاهبين في طريقهما التفت القاضي الى المفتي وقال كيف رأيت يا أخي هذه الشهادة من هؤلاء الشيوخ ؟ قال ما أراها الا زوراً والعجب كيف ان صائمين مصلّين متورّعين مثل هؤلاء يشهدون هكذا زوراً لا سيما في مسئلة خطيرة كهذه ويقسمون بالله العلي انهم لا يقولون الا الصحيح ويستشهدونه تعالى على افترائهم هذا . قال القاضي انا رغماً عن قلوبنا قد ختمنا على وجوب اعدام هذا البريء ومن يعلم اذا كانت الاحوال لاتدعونا أيضاً للحكم بمثل ذلك على غيره من رفاقه وما دام المشهود لهم بالورع والتقوى كالمذكورين يشهدون زوراً لاهلاك البريء لسبب تخلفهِ عنهم في الدين صار اعدامهم بوجه شرعي سهلاً جداً . لذلك أرى الاستعفاء من وظيفتي والرحيل من هذه البلد . قال المفتي لا تخشَ ذلك يا مولاي واحملك على الطانينة انهُ بحول الله تعالى لا تسقط شعرة من رؤوس الباقين لانه كما لا يخفى عليك انهُ قد بلغني من عدة رجال ممن يوثق بمقالهم انهُ استحسن اعدام أحد العلماء المتنصرين رهبة للآخرين وعبرة للناس . وانهُ قصد بذلك عمر الحارس كونهُ من عائلة ليست ذات اصالة ولا عصبة له يخشى معارضتها أو بأسها . فقال له القاضي أشكر الله وفضلك قد أرحت بالي . ثم افترقا كلٌّ الى مكانهِ

اما ما كان من أولئك الأسرى المساكين فانهم خافوا واضطربوا جداً من جراء ذلك ماخلا الشيخ علي فانهُ كان حينئذ هادئاً ساكتاً ينظر برزانة واستخفاف الى أولئك الأوباش وهم يضجون ويهيجون ويزمجرون . ولما تحققوا تصميم دولة الوالي والمجلس على اعدام المومأ اليه انكسرت قلوبهم وأي انكسار وبكوا بكاء مراً لانهُ كان فتى في عنفوان الشباب ذا ولدين بسن الطفولية حسن الطلعة جميل المنظر عذب اللفظ معتدل الرأي وبالاجمال كان رجلاً عزيز المثال بين اترابهِ . ولما دخل المذكور اليهم هذه المرة بعد ماتعرّف بالشهود كما مرّ وعلم بالمضبطة التي خرجت عليهِ جلس بينهم على ركبتهِ مقدار نصف ساعة ساكتاً مطرقاً فلم يستطع أحد منهم ان يكلمهُ بشيء ثم رفع نظره اليهم وعيناه محمرتان بالدموع وقال قد قرب الوقت الذي فيهِ أفارقكم يا اسيادي واخواني الاحباء — الموت لابد منهُ فما أحلاه اذا كان في سبيل الله ! اني ضعيف حزين ومعظم حزني هو من جراء احتسابي من ان اخواني حينما يرون أخاهم هذا أتضرّج بدمي لاجل تمسكي بانجيل الله يخورون ويفشلون أسأل الله ان تكون النتيجة عكس ما أحتسبهُ واخشاه — لله تارك زوجتي المسكينة وطفليَّ العزيزين — سمعت انها الآن معها في بيت أبيها — أرجو ان أراهم قبل موتي كما ورجائي بحبكم أيها الكرام ان لا تغضوا النظر عن يتيميَّ أخيكم هذا وبحسب الحق الوالدي أقيم عليها من الآن وصيين كريمين سيدي الشيخ علي والشيخ محمود ليعتنيا بهم ويدبراهم في الرب اذا شاء الله اخلاء سبيلكم والفرار في بلدكم — الارجح عندي يا اخوتي اني سأقتل في الغد فلا يسوءكم ذلك جداً ولا تجزعوا لاني أموت لا لاجل جريمة ارتكبتها أو جناية جنيتها بل لأجل الحق بسبب من قد مات لاجلي — كفاكم تبكون وتسحقون قلبي فاني وان كنت أموت هكذا بنوع مؤلم مؤثر لا ينبغي ان تحزنوا كثيراً لان مدة الألم تكون بضع دقائق ومن ثم أسبقكم الى الراحة الابدية . (اه) فأخذ أولئك الاخوان يعزونهُ بكلامهم ودموعهم الواحد بعد الآخر

الى ان قال الشيخ علي — ماذا أقول و بم أعزيك يا عزيزي الحبيب ليت السهم الذي رشق عليك كان عليّ وليت الله يسمح ان أموت دونك آه يا مهجتي ليت الله يحول عنك هذه الكاس المرّة — قال هي مرّة ولكن عاقبتها حلاوة أبدية بل لأقول هي حلوة في سبيل حبّ من تجرّع اعظمها لأجلنا — نعم نعم يا حبيبي واحمد الله الذي هكذا عظّم ايمانك وشدد قلبك حتى كذا عن طيب خاطر تقبل الموت حباً به. (اه) ثم قال الشيخ محمود ان عقلي يضيق ذرعاً دون الكلام بتعزيتك يا صديقي وا أسفي أيقتل الشاب اللطيف وتبقى الشيوخ نظيرنا ؟ لا اعتراض يا الهي على ارادتك. وهكذا كان يعزيه الجميع بدموع متواصلة وتنهدات متتابعة فقضوا اكثر ذلك الليل بالحديث والصلاة لله

اما ما كان من الوالي فانهُ نحو الساعة الثالثة من الليل أتاه الجواب تلغرافياً من الباب العالي عن الاشارتين المتقدمتين وهذا نصه : —

لولاية سوريا الجليلة

وصلت لنا افادتكم باشارتين برقيتين تاريخ ١ و٣ صفر عن الثمانية الرجال من علماء المسلمين في حاضرة ولايتكم. مفاد الاولى انهم قد ارتدوا عن الاسلام واعتنقوا النصرانية ولم يعبأوا بالنصائح والانذارات التي أفرغتم جهدكم بها معهم وتستعلمون منا كيفية وجوب معاملتهم بالنظر الى ذلك — والثانية — عما جرى من أحدهم المسمى عمر الحارس من كلام التجديف على القرآن الشريف والنبي المصطفى مما يمجه السمع ويكرهه الذوق وانهُ قد ثبت ذلك عليهِ مجلسياً بموجب شهود من أولي الذمة والاستقامة . فان كان حقاً قد جرى ذلك منهُ بحق كتاب الله ورسوله تأمر باعدامه بالسيف في غد وصول أمرنا هذا اليكم وذلك بحضور هيئة الحكومة والعسكرية و بازاء رفاقه المتنصرين رهبةً لهم وانذاراً . واما البقية فانهُ كما لا يخفى على دولتكم انا لا نقاصّ انساناً على مجرد تغيير دينهِ وعقيدته — لذلك لا مسوغ باجراء شيء

من القصاص عليهم ما داموا سالكين بالحشمة والأدب غير انهُ اذا وجد أنهم يتعرضون للقدح والتنكيت على الدين و بذلك يسببون شغباً واضطراباً في البلدة والولاية فراعاةً للصالح العام وتوطيداً للسلام ينبغي ابعادهم الى المحل الذي تستنسبونه خارج الولاية لاقامتهم فيهِ موقتاً و ينبغي اجراء ماذكر بالحكمة والدراية كما هو شأن دولتكم هذا ما اقتضى افادتكم مع الرجاء بافادتنا عن كل ما يحدث عندكم افندم .

فعقب أن أطلع الوالي على هذا التلغراف دعا في الحال أرباب المجلس مع مشير العسكر والاميرالاي و بعض أعيان البلد و بعد أن حضروا أمر فتُليت على مسامعهم الاشارة البرقية السامية فصرخوا جميعهم ليعش الى الابد سلطاننا ومولانا المعظم . فقال الوالي : أما اعدام الشقي عمر الحارس بالسيف فيكون ان شاء الله نهار غد حسب منطوق الامر السامي ولكن في أي وقت من النهار ترونهُ أكثر مناسبةً للاجراء ؟ فاجاب بعضهم نحو الساعة الثالثة من النهار . وآخرون بل الساعة الخامسة . فقال القاضي : أرى ان حسن لدى افندينا فليتأجل الاجراء الى الساعة الثامنة ليتمكن المحكوم عليه من وقت كافٍ لمراجعة نفسهِ وليكون وقت لمن يزوره وينصحهُ من أهله وغيرهم عله يرجع الى دينهِ . ثم اختلى مع دولتهِ القاضي والمفتي نحو نصف ساعة فأقنعاه بتأجيل الاجراء الى الوقت المذكور و بتأجيل ابعاد البقية الى رابع عشر الجاري . و بعد انتظام هيئة المجلس أيضاً وقف الترجمان وقال : — ان حضرة دولة أفندينا الافخم قد حسن لديهِ تأجيل الاجراء باعدام عمر الحارس حسب الامر السامي الى نحو الساعة الثامنة من نهار غد و بعد الاجراء يرى دولتهُ في ابعاد بقية رفاقهِ الى المكان الذي يراه اكثر موافقة ومناسبةً . فأثنى الجميع على حلم دولتهِ وانصرف كلٌ الى مكانه

وفي الصباح أبلغ المذكور بالحكم عليه و بأجل اجرائهِ . واذ شاع في البلد ورود الامر السامي باعدامهِ و بلغ ذلك أهله وأقاربهُ ناحوا نوحاً شديداً ثم أخذت زوجتهُ

ولديها بيديها وكان سن الاكبر سبع سنين والاصغر خمساً وذهبت ووالدتها وأخاها وشقيقة زوجها المذكور الى المجلس وهي ممزقة الثياب محلولة الشعر تنهال الدموع من عينيها كالسواقي ولما دخلت اليه سقطت مغشية على قدميهِ فرقّ لها كل من رآها على تلك الحالة وبكى لبكائها الجميع . وبعد أن نبهها الحاضرون وسكن الحال نظرت اليه نظرة الملهوف وقالت له آه يا سيدي العزيز أنت تعرف محبتي لك كما واني أعرف فرط حبك لي فهل حقاً ترضى أن تتركني وطفليك هذين ؟ وا ويلاه ! أترضى بعذاب قلب جاريتك هذه التعيسة بنيران حسرة وكد لا يخمدها كرور الدهور ؟ لا ياسيدي لا ! لا يقسى قلبك الحنون هكذا على حياتك وعلينا ! آه . أتضرع اليك بحق من تحبهُ نفسك وبحق المحبة ارجع عن رأيك أو اكتمهُ في قلبك ريثما يفتح الله باباً للفرج . ثم سقطت على قدميهِ وبلّتهما بدموعها فصرخ صرخةً تفتتت لها الاكباد فمدّ يديهِ وأنهضها بلطف ورقة وقال لها سكّني روعك يا أعز الناس عندي . اجلسي بهدوّ واصغي لمقالي . فجلست ثم أخذ ولديهِ بيديهِ ومسح دموعها وضمها الى صدره وقبلها فخفق قلبهُ ورجفت شفتاه وهمّ بالبكاء ولكنهُ تجلد وقال : آه ياصديقتي انه لمن المحال دوام البقاء مع الاهل والاحباب في عالم الدنيا . ومن لم يمت اليوم سيموت غداً ومن لم يمت بهذا النوع سيموت بنوع آخر . فيا أليفة صباي وزهرة عمري ان حبي لك ولولديّ هذين مهجة فوادي وثمرة حياتي فوق ما أستطيع وصفهُ (ثم حوّل وجههُ ومسح دموعهُ ثم عاد فقال) : فحياتي في سبيلكم رخيصة عندي أبذلها دونكم بسرور اذا دعت الحاجة . اعلمي اني قد حصلت بنعمة الله على معرفة الحق الثمين بالمسيح ربي ومخلصي وذقت لذة الخلاص المشترى لي بدمهِ فاذا استحيت به وبانجيله وملت عن سبيله ولو ظاهراً فقط مراعاةً لحياة الجسد أو حباً وباطالة السكنى مع امرأتي وأولادي أو ارضاء لخاطر أهلي وأصحابي اكون لا ريب مكروهاً عند سيدي وغير مستحق أن اكون معه . فماذا ترين ؟ أأختار الحياة الوقتية

في مقاومة ضميري وعصيان ربي ثم أذهب الى جهنم الابدية ؟ أم حياة الابد والسعادة الفائقة الوصف على التمتع بلذة الحياة الفانية ؟ اعلمي اني لست خائفاً من الموت لانه ليس سوى معبر وجيز للعبور الى ديار الراحة والسعادة فان كنت حقاً تحبينني كُفي الحاحك ودعيني أمضي الى حضرة ربي واجتهدي لتقفي أثري في طريق الحياة هذه عسى ان نلتقي هناك . لا يسمح لي الوقت باطالة الكلام معك بهذا الشأن فقط وأنا على أزمة الرحيل من عالم الزوال هذا ماأقول لك ولأعزائي الحاضرين هنا معك : ان عيسى ابن مريم هو ابن الله الوحيد مات لاجلنا نحن البشر الخطاة ليفي ديننا ويمحو خطايانا ويصالحنا مع الله أبيهِ وهذا منطوق الانجيل وغاية كل الكتاب الذي يصرح أن كل من يؤمن بالابن تكون له حياة أبدية . وهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية . أما ولداي هذان فأستودعهما الله فهو لهما خيرأب وقد أقمت عليهما وصيين كريمين سيدي الشيخ علياً والشيخ محموداً ثم جمع قوّتهُ وتجلد ورفع يديهِ الى السماء وقال : — الله ينبوع الرحمة واله الجود والاحسان الذي اعتنى بي حتى اليوم هو يبارككما يا ولديّ الحبيبان ويرشدكما كأبيكما في سبيله القويم وان فرّق الناس بيننا اليوم فلا يقدرون أن يفرقوا بيننا حينما نكون معاً ان شاء الله في بيتهِ السماوي (اه)

وأما أختهُ فوقعت على عنقهِ تقبّله بلهفة وأي لهفة حتى غشي عليها ثم استفاقت ويداها ملتفتان على عنق أخيها وكتفهِ وصرخت صرخةً مُرّةً جداً : وا روحي وا نور عيني أخي الوحيد العزيز . — بما ان لا اخوة لك ولا عصبة تضحى فريسة لمرام أهل البغي والعدوان . اني اكره يا أخي أن أزيد على مرارة قلبك الحنون ولكن ما ذا أعمل وأين أذهب ؟ وما الحياة بعدك يا نور عيني ؟ ليتني منذ الاول بلا أخ . ليت أمي ما كانت ولدتني حتى أرى أخي الوحيد الحبيب قتيلاً وأجرع كأساً ليس أمرّ منها . ويلاه ! يا أخي . يا أخي ليتني أموت قبلك . آه ! كيف

أشاهدك يا روحي وعيني تتضرج بدمك ؟ ليت نور عيني ينطفي كي لا أرى هذا المنظر . ثم انكبت ايضاً على تقبيل يديه وعنقهِ وقدميه بعويل ونحيب لامزيدعليهما فقبّلها هو أيضاً مراراً وبكى ثم قال : كفى كفى يا أختي الحنونة قد أذبت قلبي وسحقت فؤادي ليس من فائدة بعد يا شقيقتي ليعزّكِ الرب على فراقي

و بينما هما على هذه الحال التي يلين لها قلب الجلمود واذا بالقاضي والمفتي داخلان وعقب جلوسهما أخذا بالكلام معه ليرجعاه عن معتقده فأبى ثم أخذه القاضي الى مخدع آخر وافرغ جهده بالتكلم معه على خلاء ان يرجع ولو بالظاهرفقط ريثمايستحضر له فرمان العفو وانهُ متى أطلق من سجنهِ يرحل الى الديار الاوروبية أو الى لبنان وهناك يشهر تنصره ثم وعده بلسان الوالي مواعيد عظيمة ان يرجع الى الاسلامية فلم يؤثر فيهِ كل ذلك أدنى تأثير بل اجابهُ اني أشكر فضلكم يامولاي وانما حاشا لي ان اترك انجيل ربي وقتاً ما ولو ظاهراً وتعلمون فضيلتكم ان اكره شيء عندي الرياء والتكلم باللسان خلاف مافي القلب واني مؤكد ان ما دعاكم الى ذلك الا حبكم ورقة قلبكم فليجازكم الرب عني كل خيرثم تناول يد القاضي وقبلها بدموع الشكر متوسلاً اليهِ أن لا يؤاخذه على عدم اذعانهِ اليهِ ثم افترقا وذهب القاضي والمفتي آسفين على هذا الشاب . اما هو فقام ودخل على اخوانهِ وكان كثيرون من انسبائهِ ومعارفهِ يتواردون عليه ويتوسلون اليه عبثاً حتى دنت الساعة فوقع على عنقه اخوانهُ واقاربهُ يودعونهُ الوداع الاخير ببكاء شديد ولا سيما زوجتهُ وشقيقتهُ اللتين من حين دخوله هذه المرة ما برحتا معانقتين اياه تقبلانه بوجد لا يحيط به الوصف الى ان دخل الطابور أغاسي وعلق على صدره الامر الصادر باعدامه . ثم اخرجه مع اصحابه ومن ثم حضر الاميرالاي بفرقة من العسكر الشاهاني فمشى الطابور أغاسي مع الضابطة في الامام والاميرالاي بالعسكر في الوراء مع أرباب المجلس والمأمورين كافة والمحكوم عليه ورفاقه في الوسط وسار معهم جماعة من الاعيان وغيرهم من رجال ونساء جمهوراً

غفيراً وكان الأكثرون مسرورين بهذا الانتقام . واما البعض من ذوي التعقل والانصاف فكانوا بحالة الاكتئاب والكدر من جراء ذلك وهكذا ظلوا سائرين الى ان انتهوا الى المكان المعد لقتله . ومن ثم اصطف العسكر باسلحته اللامعة من جهة والضابطة من جهة أخرى والجمهور من وراء على مكان مشرف وحينئذ تقدم المفتي وفصل بين المحكوم عليه وأخته وزوجته اللتين ما زالتا ما سكتين بيديه من هنا ومن هنا وأخذهما وأوقفهما في أحسن مكان ومن ثم التمس المحكوم عليه الرخصة ليتكلم شيئاً فرُخص له فقال : —

اني أموت الآن مسروراً لاني أقتل لا بسبب جناية أو جريمة ارتكبتها ضد الحكومة أو الوطن أو شخص ما بل لأجل تمسكي بحق الله تعالى المعلن جلياً في كتابه فها أنا على شفير الموت أقول : ورب السموات والارض يعلم ان ما قد شهد به عليَّ أولئك الشهود المبني حكم اعدامي على شهادتهم هو محض زور وافتراء ليسامحهم الله — أيا اسيادي عمدة الحكومة الكرام والعلماء الافاضل الكليُّو الاحترام ويابني وطني وبلدتي المحبوبة لم أسيء اليكم بشيء يوجب اماتتي هكذا ولكن اذ كان قد قدر علي ان أموت لاجل تمسكي بانجيل المسيح فاني أقبل بجزيل الحمد والشكر ومن كل قلبي أسامح كل من له يد باعدامي . وها اني في آخر ساعة من حياتي أرغب ان أودعكم يامعشر بني وطني الاعزاء بهذه الكلمات الوجيزة : لايخفى اننا معشر البشر جميعاً واقعون تحت سيف العدل الالهي بسبب خطايانا كما أنا واقع الساعة تحت سيف الحكومة فالرحمن سبحانهُ من لطفه ورحمته شاء ان يخلصنا من مسئولية العدل الالهي هبةً منهُ ونعمةً . وهـذه الحقيقة الراهنة معلنة من لدنه في التوراة والانجيل بجلاء ووضوح لا مزيد عليها وهي ان الله أقام عيسى ابن مريم كلمة الله العجيب في الولادة الكامل في القداسة القدير في المعجزات وسيط الصلح والسلام بينهُ وبين الانسان فكل من يؤمن به تكون له الحياة الابدية . هذا مفاد الكتاب وغايته

حرفاً ومعنى كما أنزل من الله عز وجل . فانظروا اليّ يا بني جنسي وصحبي اني حقاً مسرور الآن بايماني مع رؤيتي اعداد السيف لحتفي وأحمد الله ربي الذي أهلني لأخاطب بهذا الحق الثمين جماً غفيراً كهذا قرب دقيقة موتي استودعكم الله يا سادتي واخواني واصحابي الاحباء وان كنت اسأت الى بعضكم بشيء فارجوكم السماح وسيأتي يوم فيه نحشر امام كرسي الديان الرهيب الذي سيجازي كل واحد كعمله (اه) ثم جثا على ركبتيه وصلى لله طالباً البركة على وطنه وأهله وعلى السلطان والولاة والحكام والذين تآمروا على اهلاكه كافة وختم الصلاة بقوله « يارب يسوع المسيح في يديك أضع روحي » ولما سكت وهو جاثٍ مطرقاً بكل هدوء وسكينة انذهل الجميع من هذا المنظر ومن ذلك الوجه اللامع الرائق وتأثروا من ذلك تأثراً عميقاً . ثم نفخ في البوق اشارةً للاجراء وحينئذ ضرب عنقه فتدحرج رأسه من جثته وسقط يتمرغ بدمه فبادر اليه ذووه واصحابه مولولين نائحين وركضت أخته وأخذت رأسه بحضنها وضمتهُ الى جثته وهي تضطرب من ألم النزع ثم وقعت عليه امرأته واقارب يبكونهُ ويندبونه ندباً شديداً ثم وضع في تابوت مغطى بالمخمل الاحمر و بأمر الحكومة حمل الى مقبرة النصارى فدفن هناك بكل اكرام واعتبار

الفصل التاسع

انه لما كان كثيرون قد تأثروا جداً من خطاب عمر وصلاته واقدامه الغريب على تجرع كأس الموت رجعوا بقلوب ملتهبة وهم يقولون ما أجمل هذا الخطاب الذي فاه به بدون أدنى اضطراب أو انزعاج حال كونهِ يرى السيف مسلولاً لبتر عنقه ! ما أغرب الصلوة التي قدمها لله وهو جاثٍ للذبح ! كيف صلى هكذا لاجل أعدائه والدولة ؟ ما هذا الروح ؟ عجباً ! كيف كان وجههُ لامعاً طلقاً تلوح عليه لوائح السلام والاطمئنان كوجه ملاك ؟ ثم أخذوا يلومون الذين دبروا تلك المكيدة والذين

شهدوا عليه زوراً وكان أوفرهم تأثيراً رجل يدعى احمد افندي القوتلي فهذا رغب جداً أن يقف على كنه الديانة المسيحية وفي الحال ذهب واشترى الكتاب المقدس مع بعض الكتب الاخرى الدينية مخصصاً القسم الاكبر من وقته لدرسها ولم يزل على هذا المنوال حتى اضاء الحق قلبهُ فآمن بمسيح الله وكتابه المشهود له من نفس القرآن انه كتاب الله . فأي عذر للمسلم لدى الله على عدم اكتراثه بكتابه الجليل ؟ وما الدعوى انه محرف الا دعوى فارغة لايعتدّ بها لان القرآن لم يقل هكذا وان كان الكتاب سالماً صحيحاً حينما نُطق بالقرآن فليس بممكن لعمري فيما بعد تحريفه

ولنرجع في الحديث الى أولئك الثلثة الرجال المرتدين كما سلف الكلام عنهم فانهم لما شهدوا منظر الشهيد عمر المؤثر هاجت ضمائرهم و بكتتهم بعنف على ارتدادهم هكذا عن طريق الحياة فبكوا لذلك بمرارة وحرقة فواد وزاد في ذلك السيد مصطفى الحقاني الى ان قال : الويل ثم الويل لنا كيف ارتددنا عن سبيل إلهنا واخترنا الدنيا دون الآخرة وراحة الجسد على راحة الضمير ؟ يا ليت رأسي ماء وعيناي ينبوع دموع لأبكي ليلاً ونهاراً اثمي وشرّ ارتدادي من وراء ربي ومخلصي . وغص في البكاء حتى انعقد لسانهُ عن التكلم فكان ثمَّ سكوت بضع دقائق . ثم قال حسن افندي قباواتي : نعم ويل لشقاوتنا فما حالنا في العبادة الآن الا كحال مرائين منافقين نتراءى بدين لا محل له في قلوبنا وننكر ديناً نعتبره دين الله الحق . ان رجعنا وتمسكنا علانيةً بالانجيل يتعاظم حنق الامة والحكومة علينا فلا يلبث الحال أن يدبّر علينا مكيدة لاهلاكنا كما دبر على المرحوم عمر . فأرجو الله أن يغير الحال وتأخذ الحرية محلاً رحباً في هذه البلاد فيكون وقت أنسب للمجاهرة بالمسيحية . فصدق على ذلك السيد حسين ابو النصر أما السيد مصطفى فاجابهما : أوّاه يا اخويّ ألا نعترف بالمسيح الفادي ونتبعهُ الا في زمن الراحة والحرية ونتركه وانجيله في وقت الضيق والشدة ؟ أهذه محبة أن نمدح المحسن اليك وتشكره ما دمت

على ما ندته وتنكر جميله حينما لا يكون لك ذلك ؟ أهي محبة ان نعترف بحق ابن الله فادينا ونتبعهُ حين الرخاء والحرية وننكره زمن التعب والبلية ؟ لا لعمري لا وما نحن بذلك الا عبيد خائنون ! فلننف أخوي الخوف والجبانة من قلوبنا ولا نرهبنَ الموت لاجل اسم من قد مات عنا ولنتقدم باسم الله الى المسير في الطريق التي ملنا عنها وقتاً قليلاً والذي غفر للجاحد بطرس يغفر لنا . فان عشنا من ثم نعيش لهُ وان قضي علينا كما قضي على أخينا فيكون عجل بنا الى نيل اكليل المجد والحياة وحسبنا بذلك مماثلة سيدنا وربنا الكريم . فهلم ياسيدي ولا نتباطأ في اجراء هذا الواجب وان كنتما لا تريان ذلك الآن فها أنا اذهب الى الحكومة واعترف لديها بايماني المسيحي فان قضت عليَّ فياحبذا وان سمح ببقائي وانضمامي الى اخواني المأسورين يكون ذلك سروراً لقلبي وابتهاجاً لضميري فما فكركما ياسيدي وما تريان ؟ اجاباه حقاً انك يا سيدي مصطفى لمسيحي شجاع واما نحن فلا . صلِّ لاجلنا . ثم افترقوا بعضهم عن بعض اما هو فذهب كئيباً حزيناً على حالة صاحبيه المذكورين . وفي الغد ذهب نحو الساعة الرابعة الى الحكومة ودخل بجراءة الى امام حضرة الوالي والمجلس ولما نظروا اليه سأله المفتي مالك ياسيد مصطفى . قال ألتمس من حضرة أفندينا ان يسمعني بحلمه . قال الوالي تكلم قال أنا عبدكم أحد الرجال الثلثة الذين ارتدوا ظاهراً عن الدين المسيحي امام دولتكم في هذا المجلس منذ نحو عشرة أيام فمن ذلك الوقت للآن لم يسترح ضميري قط ولا اطمأن قلبي بل أنا كن هو في أليم العذاب من توبيخ الضمير لأن ارتدادي لم يكن عن اقتناع ببطل الدين المسيحي بل عن خوف فالموت عندي أفضل من حياة شقية كهذه . فعبدكم رجل مسيحي مؤمن بالمسيح ابن الله سيد البشر وفادي الخطاة حسبما جاء في كتابه تعالى . واني لنادم على انكاري سالفاً هذا الحق المبين امام دولتكم والمجلس ومقابلة لذلك الجحود حضرت الان لأعترف بخطائي وأقر بايماني فافعلوا بي ما يحسن في عينيكم

فلما سمع الوالي والمجلس هذا الكلام المدهش من الحقاني ورأوا شجاعتهُ واقدامه الغريبين دُهشوا ثم نظر اليهِ الوالي بغضب وزجره قائلاً يا خنزير يامنافق أتكذب اذاً على حكومة السلطان — فأي قصاص تستوجب يا خبيث . فأجابهُ برزانة وشجاعة نعم لقد نافقت وكذبت ليس على افندينا والمجلس فقط بل أيضاً على المولى سبحانهُ وتعالى . ولكنني تبت له وهو الغفور الرحيم فان كنت لذلك استحق الموت فلا استعفي من الموت بل أقبل اليهِ بسرور وراحة فازداد الحاضرون تعجباً وذهولاً . اما الحقاني فكان لدى الوالي والمجلس كصخرة ثابتة راسخة في وسط البحر اذ لم يكن لغضب الوالي وتهديداته أدنى تأثير في لون وجهه أو حدوث اضطراب في كلامهِ أو جسمهِ فاخرج خارج المجلس و بعد المداولة في أمره قرَّ الرأي على ضمه الى رفاقه المسجونين فادخل أيضاً و بعد مثولهِ لدى الوالي وتكرار النصائح لهُ عبثاً بالعدول عن هذا السبيل قال لهُ الوالي اذاً نضعك الآن مع صحبك الاشقياء وننظر في أمرك فيما بعد فأمر بانزاله وأخذه اليهم . اما أولئك المساكين فاذ كانوا قد تكدروا جداً من قتل أخيهم عمر وذلك المنظر المؤثر رجعوا الى مكانهم بحزن وانكسار قلب لا مزيد عليها وكانوا لا يفترون عن ذكره واللهج بخطابه الوداعي الاخير وصلاته الروحية الحارة وهم يثنون على صبره وثباته حتى الموت لكن لما علموا ان السيد مصطفى مثل أمام الوالي والمجلس ليعترف بايمانه المسيحي نادماً على انكاره ذلك فرحوا وتعزوا نوعاً وعند ما دخل اليهم نهضوا اليهِ بوجوه متهللة مترحبين بهِ ومسلمين عليهِ بقبلات المحبة والشوق . ثم حدثهم المذكور بكل ماجرى لهُ ولصاحبيه فتعجبوا وأثنوا عليه وحمدوا الله على ارجاعه الى طريق الحياة

أما ما كان من الوالي والمجلس فبعد ايداع الحقاني السجن أخذوا يتحدثون في أمره . فقال الوالي عجباً ان اعدام ابن الحارس انتج رجوع هذا الشقي أيضاً الى النصرانية رافضاً هكذا الدين الاسلامي في وسط هذا المجلس بجراءة غريبة

عكس أملنا وانتظارنا . قال القاضي اني منذ البداية لم استحسن اعدام بعضهم ظناً مني ان ذلك لا يأتي بالمطلوب ولكن قط ما داخل فكري ان اعدام أحدهم ينتج ما قد انتج الآن من رجوع هذا الانسان الى النصرانية واستخفافه بالموت . حقاً اني لمتعجب جداً من وقوفه هكذا لدى دولتكم بثبات وهدو مدهشين . فقال بعض المجلس ان هذا الا من ابليس الرجيم فانهُ خزاه الله يدخل قلوب ذوي الكبر والعجب فيملأ صدورهم من الاوهام والوساوس حتى يتخلوا الحق بطلاً والبطل حقاً فقال آخر نعم ولكن هؤلاء المتنصرين لم يكونوا من أهل الكبر والعجب بل من أجل أهل بلدنا وأوفرهم دعة وتواضعاً وحكمةً فكيف داخلهم اهل الوسواس واعتراهم هذا الوهم

قال المفتي لا يظن افندينا ان تأثير اعدام عمر بن الحارس قد ارجع فقط هذا الرجل الى ما كان قد رفضه سابقاً بل أؤكد لافندينا ان ذلك قد أثر في قلوب كثيرين من المسلمين تأثيراً جعلهم يحسنون الظن نوعاً في الديانة النصرانية وقدقال كثيرون على مسمع مني من شيوخ وشبان ان ابن الحارس قتل ظلماً وان الشهود قد شهدوا عليهِ زوراً وانهُ كان واجب محاولة اقناعه بالدليل والبرهان لا بالسيف الى غير ذلك من الكلام الذي لا يسعني ذكره . فقال الوالي ما تقول يا مفتي افندي أصحيح هذا الكلام ؟ أجاب نعم وحياة رأس افندينا هذا هو الواقع . فاغتاظ الوالي وتكدر جداً ولبث برهةً لا يتكلم ولوائح الغيظ والحيرة تلوح على وجهه ثم قال ماذا علينا ولم تجرِ الحكومة شيئاً خارجاً عن الشريعة والنظام فدعونا من هذا الحديث المكدر فسكتوا وداروا الى أعمالهم السياسية

. أما ما كان من الشيخ ناصر الدين وصحبه كالشيخ عبد الكريم والسيد عبد القادر ومن شا كلهم من ذوي التعصب والخشونة فانهم لما رأوا ان قتل عمر الحارس لم يروِ لهم غليلاً وان ابن الحقاني قد رجع الى ما كان قد جحده اضطرمت قلوبهم

بنيران الحقد والغيظ وعولوا على بذل الجهد في اثارة الخواطر على المومأ اليهم فأخذوا يجولون في الاسواق والشوارع مخبرين كل من صادفوه ان سبب سجن المتنصرين واعدام أحدهم هو تفوههم كثيراً بكلام ثلب وتجديف لا تحتمله الآذان على القرآن والنبي والصحابة الكرام وما شاكل ذلك من الافتراء والطعن . انهم مع كل ما أصابهم لايزالون على هذا النوع من التقبيح والتشنيع . وقد افرط في ذلك الطيش الحاج قدور المتقدم ذكره فانهُ كان يدخل المخازن والقهوات والبيوت مشنعاً كل التشنيع على كل الادباء ناسباً لهم كل ما امكنهُ نسبـهُ من القبائح والاهانة للدين الاسلامي ونبيهم . وكان بعضهم ينصح لهُ بالكف عن هذا الثلب غير المناسب فلم يكن يرعوي بل كان يستمر على هذا الامر بدون مبالاة وأحياناً كان يقف في بعض ساحات المدينة على دكة أو حائط ويجهر منادياً بصوته الجاش الخشن الحمد لله قد قطع رأس الكافر الفاجر ابن الحارس جزاء شتمه المصطفى وتجديفهِ على القرآن فهبطت روحه الى دركات جهنم

وكانت الحكومة قد نبهت مراراً على هذا الطائش بالكف عن هذه الاعمال وملازمة السكينة فكان يمتثل ساعة ثم يعود الى طيشه واذ كان قد سئم الاكثرون من فعله هـذا فبينما كان ماشياً في السوق كعادته يتمايل ذات اليمين وذات الشمال مقبحاً المشار اليهم مرّ بازاء دكان رجل مصري يدعى الحاج ابراهيم سالم وكان هذا الانسان من الظرفاء وعلى جانب عظيم من الحذق والذكاء وقد سئم جداً من هذر المذكور وحركاته الجنونيـة فلما رآه ماراً على هذه الحالة المنكرة ناداه بنغمة التودد أيوه ياحاج قدور ميل لهنا لما نشوفك يا خويا — فقال اليـه — سلامات يا حاج ازي الحال يا خويا — مبسوط الحمد لله كيف حالك يا حاج ابرهيم . بسلام الله وانعامه . ثم دار وفرك له تعميرة تنبك وناوله الشيشة فاخذ يشرب وهو يبرم شاربيهِ ويلعب برجليهِ . ثم قال له الحاج ابرهيم : ما لي اراك يا حاج بدمدمة

وأنت جاري في السوق ايه القصة يا خويا خبر ايه ففتح الحاج قدور فاه وأخذ يطعن ويثلب على جاري عادته فحاول المصري ان يردعه فلم يزد الا هياجاً وثوراناً حتى انقض على الحاج ابراهيم نفسهُ يقدح فيهِ ويثلب وكان للحاج ابراهيم جار رقيق الطبع يدعى الحاج علي زهره وكان سامعاً كل ما جرى فلما انصرف المذكور جاء اليهِ وقال مالك يا جار والحاج قدور ألا تعلم ان من شب على خلق شاب عليه ما من نصيحة للاحمق احسن من النكبة . قال الحاج ابراهيم صدقت يا صاحبي واحسنت

ثم وكان اذ ذاك ان عيال أولئك الاسرى وانسباءهم أصبحوا بحزن وخوف لا مزيد عليهما مما جرى على عمر المذكور ومما كانوا يرون ويسمعون بحقهم من الافتراآت والاراجيف المستمرة كما ذكر فكانوا لا يفترون قط عن اتخاذ الوسائل الممكنة لوقايتهم من سهم الاعدام ولاطلاق سبيلهم ان امكن متوسلين الى القاضي والمفتي وحريمها والى كل من في قلبه رحمة بشأن الموما اليهم حتى رق لهم كل ذي قلب شفوق ورثى لهم كل ذي رأفة. وبينما الحال جار على هذا المنوال والحاج قدور لا يزال يجول في المدينة آخذاً في ثرثرة الكلام المهين بحق أولئك الادباء الورعين صدف يوماً ان الشيخ حسن اخا الشيخ علي عمر كان ماراً تجاه القهوة التي كان فيها حينئذ الحاج قدور فطرق أذنيهِ كلاماً قبيحاً بحق أخيه الشيخ علي . فمال من ثم الى قرب شباك القهوة ونظر الى الداخل فرأى الطائش واقفاً في وسط جماعة اكثرهم من شاكلته يتكلم بصوتهِ الغليظ بحدة وسرعة لا مزيد عليهما مشيراً بيديه وحاجبيهِ خابطاً برجليهِ والزبد يرغي على شدقيه . وكان الشيخ حسن عمر شاباً طويلاً أشقر اللون حسن الطلعة قوي البنية من اشجع رجال بلده . وكان مع ذلك لطيفاً أديباً وكان قد سمع كثيراً من هذر المذكور حتى فرغ صبره فصعد الدم الى رأسهِ واحمرت عيناه من فرط الغضب . فمال الى الباب وقال اما كفاك يا طيش أمرامك اعدام الشيخ علي عمر كعمر الحارس — قسماً بالله الحي لا تسيل نقطة من دمه مالم تعدم

حياة خمسين كلب مثلك — ان كان الشيخ علي نصرانياً أو كافراً ماذا يعنيك انت يا ردي — فاجابهُ الطيش مثلك الكلب والردي ومثل كل من ترك دين محمد وانقاد الى شرك المشركين . فانقض عليه الشيخ حسن كالعقاب وخبط بهِ الارض و بدأ يرفسهُ . واما الحاضرون فاخذهم الاندهال والرعب فلم يبدوا سلباً أو ايجاباً وذلك يصرخ من تحت رجليه و يصيح آه يا أمة محمد قتلني يا مسلمين هذا النصراني اللعين . فركضت الناس وهاجت الاوباش فقويت الضوضاء وعلت الهيجاء واشتدت الفتنة بين القوم وكان كثيرون منهم وهم الاشد بأساً من حزب الشيخ حسن ذلك لميل اكثر العامة الى الشيخ علي لرسوخ محبته في قلوبهم منذ امد طويل ولان الشيخ حسن أيضاً كان محبوباً لعذوبة معشره . واما الحاج قدور فاذ كانت قد انهكت قواه لم يستطع الفرار فلجأ الى بعض الجوامع ريثما يستريح قليلاً ولكن لم يكن الا برهة حتى اجتمع ايضاً في هذا المكان الكهول والفتيان من باب توما الى الميدان فمادت الفتنة واشتد النزاع والخصام حتى اوشك أن يبلغ الخطب معظمهُ . ولو لم تبادر الحكومة الى اطفاء نار الفتنة بانزالها الى محل المعركة طابوراً من العسكر وفرقة من الدراغون مع الضابطة لبلغ الحال الى شر حال . فقبض على الحاج قدور والشيخ حسن وعلى عشرين رجلاً آخرين واودعوا السجن ولدى الاستنطاق وتقديم البينات وجد اكثر الحق على الطيش ولم يتبرأ الشيخ حسن فحكم عليهما بالسجن مدة سنة وان يدفع كل منهما خمسين ليرة غرامة وعلى ثمانية رجال من المشتركين بالفتنة حبس شهرين ودفع كل منهم عشر ليرات ولكن مراعاةً للاحوال واستناداً على تقارير بعض عقلاء البلد اطلقوا من السجن في اليوم العاشر من حبسهم بعد ان دفعوا الغرامة (ان الشيخ حسن كان من الاغنياء فلم يؤثر فيه شيئاً دفع خمسين ليرة بخلاف الطيش المسكين الذي كان مديوناً واستقرض هذا المبلغ أيضاً فأثر ذلك في حالته كل التأثير) و بعد اخراجهم من السجن مثلوا امام الوالي فامرهم بالمصالحة ونبه بصرامة

على الحاج قدور ان لا يفتح فه بعد بثلب الاسرى المذكورين ولا بثلب دين النصارى ويوم يسمع من فه ذلك يُقاص باشد القصاص . فاجاب امر افنديـنا مطاع أنا ما تكلمت بشيء يوجب عليّ كل هذه الاهانة من حسن عمر ومن الحكومة ما هو ذنبي وجريمتي حتى آكل كل هـذا الضرب من المذكور وزمرته وتجنحني الحكومة وتغرمني بغرامة كبيرة جداً على فقير مثلي مديون معيل . فقال له الوالي ان طياشتك وعدم انسانيتك كبدتك هذه الخسارة وجلبت لك هذه الحقارة فاذهب وتعلم الحشمة والادب تربح ودر بالك من الآن على شغلك ولا تتعرض لما لا يعنيك.. ثم انصرفوا من لدن دولته وذهب الشيخ حسن مع صحبه الاربعة الرجال فاولم لهم وليمة فاخرة و بعد الوليمة دفع لكل منهم العشر الليرات التي غرم بها هدية حسنة فذهبوا من عنده طيبي القلوب يثنون عليه كل الثناء . وأما الطيش فاذ كان الهدوّ والسكينة بعيـدتين عن فطرته ذهب منكاداً ومقهوراً جداً من هذا الامر فرض مرضاً ثقيلاً أنهى حيـاته بعد مضي شهرين — أما الوالي فانهُ خامره الخوف من حدوث فتنة أعظم فبعد ان استشار أخصاءه والمجلس استدعى اعيان الامة وعلماءها و بعد ان مثلوا لديهِ في غرفة الاستقبال وجلسوا عن يمينه و يساره نهض كاتب الوالي الخاص وشرح الاحوال وأسباب الحوادث المحزنة وقال ان اعدام عمر كان طبقاً لاوامر الحكومة السنيـة التي ستلجأ الى أشد الوسائل لقلع كل فتنة مثلها

ان حضرة دولة أفندينا الافخم متأثر ومتكدر للغاية مما جرى من تنصر أولئك الرجال وما نشأ عن تنصرهم من القلاقل والتشويش المزعج الذي كاد يقضي الى فتنة دموية كما قد رأيتم .ولذلك حسن لدى دولته ان يستدعي حضراتكم ليخبركم الواقع رسمياً ويقدم لكم النصح الواجب — لا بد جميعكم علمتم ما عامل به دولته أولئك المذكورين من الملاطفة وما قدم لهم سدى من النصائح المؤثرة بكل امارات

الحب والرأفة كالأب لأولاده . فانصاع من ثمّ ثلاثة منهم ورجعوا الى دين آبائهم وهم السيد حسين ابي النصر وحسن افندي قباواتي ومصطفى بن ابراهيم الحقاني الذي من غريب أمره انه رجع بعد اعدام ابن الحارس الى غيّه وضلاله واقرّ بذلك لدينا في المجلس بوقاحة لا مزيد عليها فلزم ارجاعه الى سجنه . واما البقيـة فقابلوا ملاطفة دولته ونصائحه بالمكابرة والعناد . ولما رأى منهم ذلك حسن لديه ان يقدم الافادة عنهـم تلغرافياً الى الباب العالي ففعل ثم امر بحجزهم في المجلس ليثما يرد الامر السامي بشأنهم ولما حدث ما حدث من عمر بن الحارس من التجديف على كتاب الله ونبيه كما تعلمون قدم ايضاً الافادة الى الباب العالي . وفي ثالث صفر ورد الامر السامي تلغرافياً جواباً لتينك الرسالتين البرقيتين المتقدمتين وهذا هو اتلوه على مسامعكم فتلاه . (وهو كما رأيت فيما تقدم) وبموجب ذلك صار اعدام المذكور وسيصير ابعاد الآخرين بناء على ما قد نشأ بسببهم من الهيجان والاضطراب المزعج وما يخشى حدوثه اذا بقوا في البلد . فيرغب دولته منكم ان تعملوا مضبطة تعلن وجوب ابعادهم مراعاةً للصالح العام وراحةً للدولة وبما اننا جميعاً رعايا السلطان أمير المؤمنين مولانا وسيدنا الخليفة المعظم وجب علينا الخضوع والطاعة القلبية لارادته الملوكيَّة العائدة لا ريب لمصلحة الدين والأمة. فيرغب دولته اليكم ان تكونوا جميعاً بقلب واحد ويد واحدة في تأييد عماد الدين حباً بالله ورسوله متكاتفين متعاونين على كل ما به صالح الدولة والأمة ساهرين على الراحة وصيانة السلام العام بنصائحكم المؤثرة وارشاداتكم الصالحة وتصرفكم الحسن في طاعة الله وأمير المؤمنين . ويجب ان تعلموا الحكومة بكل شخص يرتكب متن البغي ويأتي بأسباب الشر والفتن مهما كان مقامه ونسبه كي يجري تأديبه طبقاً للنظام العالي ومراعاة لصالح الأمة والوطن . وينصحكم دولته نصيحة الوالد المشفق ألا تلقوا هذا الكلام وراء ظهوركم بل اودعوه اذهانكم وقلوبكم لتسيروا بموجبه لخيركم وخير

وطنكم . وان لاسمح الله نبذتموه وتركتموه في هذه الغرفة وألقيتم واجباتكم في زواية الاهمال والنسيان يعود ذلك بالوبال والهوان عليكم وعلى بلدكم ووطنكم فتندمون من ثم حيث لا ينفع الندم — نصحكم دولته وأنذركم تأملوا وتبصروا ألهمكم الله وايانا سبيل الخير والصواب

فاجاب الحاضرون بلسان محمد بك العظم جواباً لطيفاً معرباً عن رضاهم عن الحكومة واستعدادهم لاطاعتها ومساعدتها بكل ما في وسعهم

فاثنى عليهم الوالي مظهراً سروره وانشراحه بما بدا منهم ثم حرروا مضبطة بوجوب ابعاد المتنصرين وأمهروها وقدموها لدولته فأمر لهم بالقهوة فشربوا وانصرفوا كل الى مكانه

أما ما كان من أولئك العلماء المأسورين فانهم لما بلغهم ما جرى في المدينة بسببهم بين الحاج قدور الطيش والشيخ حسن تكدروا جداً واختشوا من تعاظم الفتنة وسوء العاقبة لا سيما الشيخ علي فانهُ لم يظهر عليهِ منذ البداءة غيظ ووجل كهذه المرة فلبث يومين صائماً لم يذق شيئاً.ولكن لما انتهت المسألة على الوجه المتقدم ذكره استراح باله وحمد الله ولما حضر اليه أخوه بعد تلك الحادثة وبخه كثيراً على عدم صبره وعلى اضرامه نار تلك الفتنة وأنذره ونهاه عن الاتيان بمثل ذلك مرة أخرى لاية علة كانت وهكذا فعل الآخرون ايضاً فأوصوا أولادهم واخوانهم ان يلزموا الهدوء والسكينة . فاجابوا بالامتثال والطاعة — هذا ومنذ يوم دخلوا السجن للآن لم يفتر القاضي الكريم والمفتي مع كثيرين من علماء البلد واعيانها ذوي الرقة والحنو عن التردد عليهم وتقديم النصائح لهم وخصوصاً بعد اعدام عمر الحارس، وناهيك عن حريمهم وأولادهم واخوانهم واخواتهم الذين يومياً كانوا يأتونهم نائحين باكين متوسلين اليهم ان يرجعوا الى دينهم ولو ظاهراً فقط بحيث يبقون في بيوتهم وبلدهم مستأمنين على حياتهم فكان ذلك أعظم داعٍ لألم قلوبهم وضيق صدورهم وكانوا

كثيراً ما يتمنون الابعاد أو الالحاق باخيهم عمر تخلصاً من مثل هذا العذاب الذي لا يطاق

فقال السيد ابراهيم — شتان ما بين دموع المرء ودموع أهله فان دموعه تطفي نيران قلبه ودموع أهله تصليها

قال الشيخ سليمان — لعمري ان دموع الوالدة والاهل المصاحبة لتوسلاتهم هي أقوى الحبال لجذب القلوب وادنائها ولكن النعمة في القلب هي كسلسلة ذهبية رابطةٌ بالله فلا تستطيع ان تفعل بها شيئاً تلك الحبال

قال الشيخ محمود — ان دموع الوالدين والانسباء المصاحبة لتوسلاتهم لرد المرء عن سبيل الله هي اعظم الاسلحة وأمضاها فمن لم يغلب بهذه لايقدر السيف ان يغلبه . قال الشيخ علي لا أظن ان شيئاً أثر في قلب فادينا الكريم وهو معلق على الصليب كرؤيتهِ أمه تسيل الدمع المدرار ألماً عليهِ ولكن جسامة رغبتهِ في خلاص نفوسنا هوّنت عليه شرب تلك الكاس العلقمية .كذا تلاميذه وهم سائرون وراءه تلهبهم دموع الوالدين والاهل غير ان حبهم اياه مكنهم من الجلد على احتمالها

قال الشيخ عبد الحليم — قد تقرّحت أجفاني من فرط البكاء والنحيب على فقد وحيدي . فكما ان دموع الوالدين لا ترد الى الحياة من مات من أولادهم كذا دموع الاهل والاخوان لا تقدر أبداً ان ترد للعالم من قد مات بالمسيح عن العالم

وهكذا عزى بعضهم بعضاً بمثل هذا الكلام و بعد خروج المضبطة كما تقدم اجتمع القاضي والمفتي بالشيخ اسمعيل صالح رئيس البلدية وحسن افندي العطار أحد نواب المدينة وعبد الرحيم افندي رئيس الجزاء والشيخ عبد الحميد امام الجامع الكبير و بعد أن تداولوا طويلاً بأمر العلماء المذكورين أجمع رأيهم على أن يضربوا الضربة الاخيرة علها تأتي ببعض المقصود ثم أتوا اليهم و بعد دخولهم وأداء السلام ومبادلة التحيات رفع القاضي نظره وقال : —

طالما استغنمنا الفرص يا اخواننا لمشاهدتكم ومحادثتكم بما نراه خيراً لكم فنرجوكم احتمالنا بحلمكم — لا بدّ انكم قد علمتم بخروج المضبطة بابعادكم عن بلدكم وأهلكم الامر الذي ساءنا كثيراً حيث نرى أفضل اخواننا وأعز خلاننا ينفردون عنا في الدين والجسد . واننا قد جئناكم بكل اخلاص مكررين توسلاتنا اليكم أن ترجعوا الى دين آبائكم فتبقوا متمتعين برؤية أهلكم وأولادكم . فبكى حينئذ الاكثرون . وزاد في ذلك الشيخ محمود فانهُ كان غايةً في رقة القلب ولطف الخاطر . ثم أخذ بقية أولئك الزائرين يتكلمون على هذا المنهج الواحد بعد الآخر وأولئك صامتون عابسون . وبعد أن أفرغ القاضي وصحبهُ جعبة توسلاتهم وانذارهم أجاب الشيخ علي : يا سادتي الكرام لا يلزمني محاولة التعبير عما يقصر دونهُ لساني من اظهار حاسات الامتنان والشكر لافضالكم ومكارم اخلاقكم ولكنكم تستغربون ان قلنا لكم انهُ ليس في استطاعتنا اجابة طلبكم لسبب . فنتوسل اليكم أن تسمعونا بطول الاناة وبعد ذلك احكموا . تعلمون يا كرام ان محل الاقناع واليقين هو القلب كما قلنا غير مرة والواسطة لادخال ذلك اليه هي الدليل والبرهان فلا يخفى على حضراتكم انهُ لدى وقوفنا على تلك الرسالة التي بافكم امرها ورأينا أنها ذات أدلة وبراهين لا يجدر بذي العقل الاغضاء عنها آثرنا البحث فيها باخلاص وجدّ والقضايا التي اتخذناها مواضيع مباحثنا هي : أولاً هل التوراة والانجيل الموجودان الآن بيد اليهود والنصارى هما نفس اللذين كانا في عصر الحواريين وعصر محمد ؟ ثانياً : هل التوراة العبرانية الكائنة بيد اليهود هي ذات التي بيد النصارى بلغاتهم المتنوعه ؟ ثالثاً : هل تطابق التوراة الانجيل ؟ وهل مفاد الانجيل هو غاية التوراة ؟ رابعاً : هل توجد مطابقة جوهرية بين نسخ الكتاب العديدة وتراجمهِ المتنوعة التي هي بيد طوائف النصارى وفرقهم ؟ خامساً : هل في القرآن ما يسند من بعض الأوجهِ مفاد الانجيل بخصوص لاهوت المسيح وموتهِ بالجسد ؟ وبعد افراغ الجد

والجهد في البحث بهذه القضايا اتضح لنا ولله الحمد صحتها كما يقول صاحب تلك الرسالة . وتعلمون حضراتكم أن اليقين المتأصل في القلب بواسطة الدليل والبرهان محال استئصاله منه بدون أدلة وبراهين أقطع فلا شيء في العالم يستطيع نزع ما قد تأصل في قلوبنا ومحو ما قد نقش عليها الا على فرض تبيان بطلان ذلك بالطريقة المذكورة وهذا نراه محالاً . فان كان ذلك يا سادتي في امكانكم فلا تبخلوا به والا فاعذرونا — نعم ليس من الهين مبارحة الوطن والاهل والخلان واحتمال العار والموت ولكنهُ أهون علينا وأسهل من رفض الحق ومقاومة صوت الضمير . واذا أجبنا طلبكم وارتددنا الى الاسلام لا يكون منا ذلك الا رياء وكذباً والموت أحب الينا من عيشة كهذه

انا مستعدون لاحتمال كل مكروه بسبب هذه الطريق . والامر والارادة للعزيز الرحمن وهو حسبنا ونعم النصير (اهـ)

فقال المفتي انا نتأسف كل الاسف على ضياع اجتهادنا بما هو لخيركم وليس لنا قصد أن نتازلكم يا أحباء في ميدان المحاورة والمناظرة لانكم تعلمون ما نعلمهُ من الاعتراضات والتنكيتات على النصرانية بل نظن انكم محنكون في هذه الامور اكثر منا فلا مطمع لنا في أن ذلك يؤثر فيكم شيئاً . وعليه فانا نذهب راجين ممن هو على كل شيء قدير أن يردكم من سبيل الضلال الى صراط الحق والهدى (اهـ) .

ثم قاموا وانصرفوا وكان القاضي وهو آخذ في طريقهِ يناجي نفسهُ هكذا : ما أشجع هؤلاء الرجال وأشد عزيمتهم ! اني لا أرى عندنا من الادلة والبراهين على صحة الاسلامية كالتي نوّه عنها على صحة النصرانية وأنى السبيل لدحضها ؟

أما أولئك المساكين فقد نموا ابعادهم حالاً الى مكان ريثما يستريحون قليلاً من هذه الحال المكربة . ثم قال بعضهم لبعض : هل يا ترى تيقن أولئك الاصحاب عدم وجود ما يدحض البينات المسيحية فأبوا لذلك منازلتنا ونبهوا على العامة أن لا

يفاتحونا بشيء من ذلك خوف الفضيحة والاقتناع ؟ فان كان ذلك كذلك فهو من العجب العجاب ان علماء أفاضل كهؤلاء لا يسعون وراء ما يخال لهم انهُ حق !!.
قال آخرون : نرى أن تمنُّعهم من الدخول معنا في البحث والمناظرة دليل على أنهم ما رأوا أن لهم من الاسلحة المناسبة لهذه المنازلة فرأوا من الحكمة عدم اصلاء نارها كما يشف كلام مفتي افندي . فكانت هكذا ملاحظات تزيدهم تمكناً في الديانة المسيحية ونمواً في فهم حقائقها الالهية

الفصل العاشر

ثم ان القاضي وأصحابهُ المذكورين اجتمعوا في غد ذلك اليوم وتداولوا ملياً فيما كان بينهم وبين العلماء المتنصرين . وأخيراً قال حسن افندي العطار لا أرى يا اخوان طلب أولئك الرجال الا طلباً عادلاً فمن الظلم أن يلاموا بدون أن يبين لهم بطلان ما قد تقرر في عقولهم . وهل يليق بنا رفض طلب عادل كهذا ؟ ألا يعدّ ذلك دليل العجز وضعف رأس المال ؟ لا لا يا اخوان علينا أن نكون على استعداد دائم لدحض كل تعليم ومعتقد يقاوم ديننا بسلاح الدليل والبرهان والا فأي محل للمفاخرة بما لا نقدر أن نبين حقيقتهُ ؟ فعندي من الواجب منازلة هؤلاء الرجال في ميدان المناظرة بكل جدّ وثبات واخلاص ووداعة علنا نستطيع أن نبين لهم غلطهم وبذلك نكون قد أرحنا الضمير وأبرأنا الذمة . فاستصوب الجميع هذا الرأي وعوّلوا عليه وعينوا للذهاب اليهم ليلة الاربعاء ثامن صفر . فأبلغوا ذلك المتنصرين فتوكلوا على الله واستعدوا الى ذلك اليوم بالصوم والصلاة . ولما كانت تلك الليلة اجتمع العلماء المذكورون في غرفة أعدّت لهم في المجلس ودعوا اليهم المتنصرين فحضروا وبعد أن جلسوا وحيّا بعضهم بعضاً قال القاضي : لما رأينا أيها الاحباب ايجاب طلبكم واجباً حضرنا الآن بذات الاخلاص الذي تعهدونهُ فينا فأصرّح الآن بحرية هذا

الاجتماع أي انهُ لكل من الفريقين المتناظرين الحرية التامة بابداء رأيه والمحاماة عنه وله ان يعترض أو يسأل مع مراعاة حرمة الادب والحشمة . ومن الواجب أيضاً في هذا الاجتماع غض الطرف عن كل هفوة تحدث أثناء المناظرة مما ينتظر وقوعهُ من قبيل الضعف الانساني . فتفضلوا ان شئتم يا اخوان قولوا ما بدا لكم

فأجاب الشيخ علي بعد أن شكر حضرات العلماء على اجابة ملتمسهم وحضرة قاضي افندي على ما فاه به من درر الالطاف وما خوّله من الحرية لهذا الاجتماع : بما انا نحن المعتزلون الدين الاسلامي وحضراتكم الساعون وراءنا لردنا اليه فيكون لحضراتكم أن تسألوا عن علة ذلك وسببه

فقال القاضي حسناً فلتختر كلٌّ من الفئتين شخصاً ليتناظرا فيما يريدان من المسائل بشرط أن يكون البقية في سكوت ماداما في ميدان المناظرة فاختارت الفئة الاولى قاضي افندي والاخرى الشيخ علي

فقال القاضي اما علة هجركم الاسلامية وذهابكم الى النصرانية فهذا قد سمعناه منكم غير مرة فلا حاجة بعد للسؤال عنه غير أني أسألك يا شيخ ألا يستطيع الرحمن خلاص البشر الا بارساله ابنهُ هذا على فرض أن لله ابناً كما تزعمون ليتخذ جسدنا ويعيش عيشتنا ويُقتل بأيدي الاشرار الأثمة ؟ — أجاب الشيخ علي : كل شيء يستطاع لديه تعالى الا مناقضة صفاته وخرق كماله . فقال القاضي : نعم ولكن ما تعني بذلك ؟ فقال الشيخ علي : أعني من كونهِ سبحانهُ وتعالى عادلاً كما هو قدير فقدرتهُ لا تخرق عدله فاذا رحم يرحم بالحق والعدل

(القاضي) وهل يُسئل الله عما يفعل ؟ اذا أجرى أمراً فمن يقول له هذا عدل أو غير عدل أو هذا ينافي صفاتك

(علي) نعم لا يُسئل سبحانه عما يفعل . ولكن اعماله لا تنكّد على كمال صفاته فلا يمكن أن يجري مرحمةً ما الا بموجب الحق والعدل أليس الامر كذلك يامولاي ؟

(القاضي) من كل بدّ وعلى كل حال

(علي) اذ قد سلمتم حضرتكم بأن الله غير المسؤول عما يفعل لا يسبغ مراحمهُ الا بالحق والعدل فعليه أقول : لا يبرّر الله الاثيم ولا يخلص الانسان المجرم لديهِ تعالى الا بطريقة الحق والعدل وما السبيل الى معرفة هذه الطريقة وما الوسيلة اليها

(القاضي) وما حاجتنا الى معرفة هذه الطريقة ؟ فسواء عرفناها أم لا يجري الله أعماله بموجب كماله ومطلق سلطانه

(علي) ان احتياج الانسان الى معرفة طريق خلاصهِ أبين من أن يُبين . أوّلاً : ليعرف جود الله الفائق وحبهُ له ليستطيع أن يحبهُ ويشكره كما ينبغي . ثانياً : ليتقدم اليه تعالى بذات الطريقة التي أعدّها له ويدخل الباب الذي فتحهُ له والا فما الداعي لانزالهِ تعالى كتابهُ العزيز تماماً على التي هي أحسن وهدى ونوراً ؟ ألا ان نفس الكتاب هو اعلان طريقة رحمة الله وعفوه . فالقول ما حاجتنا الى معرفة طريق الخلاص هو لعمري كالقول ما حاجتنا الى كتاب منزل من لدنهُ تعالى

(قاضي) حسناً ان الله سبحانه من حيثية العدل يقاصّ الخاطئ في هذه الدنيا بالتجارب والبلايا وان لم يفِ ذلك حق العدل يقاصهُ زمناً محدوداً في جهنم وفاء لحق العدل ثم يسبغ عليه رحمتهُ فينقذه ويدخله جنات الخلد والنعيم

(عليّ) ان ما أتيتم به حضرتكم لا ينطبق على عدله تعالى ولا يوافق حالة الانسان كما سترون وهنا أسأل حضرتكم ماذا يستوجب الانسان المتعدي دائماً على شريعة الله غير المحدود ولا متناهٍ في العظمة والقداسة

(قاضي) يستوجب النيران الجهنمية حتى يوفي حق العدل ويحصل ثم على العفو والرحمة

(علي) قد قلت فيما تقدم ان ذلك لا ينطبق على عدله تعالى ووعدت بالبينات وهنا أسأل حضرتكم ألا يستوجب المجرم الى الحضرة غير المتناهية قصاصاً غير متناهٍ ؟

(قاضي) — أتعني حضرتكم خلود الخاطئ في جهنم مؤمناً كان أو كافراً

(علي) — أعني من حيثية استحقاق المجرم لا من حيثية كونه مؤمناً أو كافراً؟ ألا يستوجب قصاصاً غير متناهٍ وهو مجرم بحق الله غير المتناهي ؟

(قاضي) — لا أنكر ان المجرم الى الله سبحانهُ غير المتناهي يستوجب قصاصاً بلا نهاية بل قصاصاً شديداً مديداً مقدار جرائمه وآثامه والا فاين الرحمة ؟

(علي) — أرجو سيدي امعان البصيرة في هذه المسئلة الدقيقة — الرحمة في عرف أهل اللغة ما هي الا الصفح عن الذنب والعفو من القصاص فاذا عفت الحكومة عن مجرم تقول ذلك رحمة منها ولكن اذا قاصته بالحبس لاجلٍ ما ثم أخرجته لا تقول انه اخرج من سجنه رحمة أو عفواً كلا وعليهِ لا محل للقول برحمة الله على من قام بقصاص خطاياه وفاء لعدله تعالى . فنحن اذاً لم نزل في حاجة الى معرفة ينبوع الرحمة الالهية القائمة بالعفو لا بالقصاص . ولنرجع الى النظر لقول حضرتكم ان الخاطئ بحق الله غير المتناهي لا يستوجب قصاصاً غير متناهٍ فاقول حضرتكم قاضي تقضي على المجرمين فهل في شرعكم يا مولاي ان جزاء جرم من نوع واحد ضد أشخاص متفاوتي القدر والمقام ينبغي ان يكون متساوياً بالنسبة والمقدار ؟ — هل جزاء من يشتم الوالي كجزاء من يشتم السلطان وجزاء من يشتم السلطان كجزاء من يشتم نبي الاسلام

(قاضي) — كلا من يشتم النبي يقتل ومن يشتم السلطان يجازَ جزاء شديداً دون ذلك ومن يشتم الوالي جزاؤه أقلّ وهلمّ جراً

(علي) — لقد لزمتكم الحجة يا مولاي وسقطت دعواكم سقوطاً لا نهوض لها منهُ (قال المفتي همساً نعم وأي سقوط) وبيانهُ اذا كان قصاص الجرم الواحد بحق المخلوقات متفاوتاً بنسبة تفاوتهم في القدر والمقام فعليهِ يكون قصاص المجرم بحق الذات الالهية غير المحدودة ولا متناهية في الشرف والعظمة بلا حد ولا نهاية ثم

اذا كان القصاص واجباً عدلاً عند ولاة العالم المقامين منهُ تعالى فكم بالحري لدى ملك الملوك وحاكم الحكام . نعم هو رحيم عادل فكما انهُ أرحم الراحمين هكذا هو أعدل العادلين واذ ذاك أين الطريقة مولاي لانفجار ينبوع الرحمة مع بقاء العدل غير مثلوم

(قاضي)—لا يعلم تلك الطريقة الا ربك الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

(علي) — لا يؤاخذني سيدي ان قلت ان قولكم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء مباين جداً لقولكم السالف ان الخاطئ بعد ما يقوم بقصاص ذنوبهِ في جهنم وفاء للعدل يرحمهُ الله وينقذه الى آخر القول لان المغفرة ما هي الا المسامحة بالذنب والعفو عما يستوجبهُ المذنب من القصاص . أما تلك الطريقة أي طريقة اتفاق العدل والرحمة في الله سبحانهُ فمن المعلوم ليس في وسع العقل الانساني استكشافها ولذلك سبحانه من فرط لطفهِ أعلنها لخلقهِ المذنبين في كتاب مبين

(قاضي) — هات بيان ذلك ان استطعت

(علي) — لا يخفى على سيدي ان التوراة تنبئ جلياً وتشير الى هذه الطريقة الالهية العجيبة والانجيل يخبر بكل جلاء ووضوح عن صيرورتها ولانه ليس في وسعي الآن سرد ما جاء في التوراة بهذا الخصوص اجتزئ بان أقول انها تنبئ كثيراً عن هذه الطريقة التي هي المسيح الفادي للبر لكل من يؤمن بجلاء وصراحة مدهشتين لا سيا ما جاء في نبوءة أشعيا في الاصحاح التاسع والاصحاح الثالث والخمسين . ففي الاول تصفهُ وصفاً عجيباً ولداً وابناً ورئيساً مشيراً عجيباً الهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام وفي الآخر انهُ ضُرب لاجل ذنب شعبهِ وانهُ مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا والرب وضع عليهِ اثم جميعنا . الى ان يقول جعل نفسهُ ذبيحة اثم بمعرفتهِ يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . وتعيين زمان مجيئهِ وطريقة ولادتهِ ومكانها ونسبه واعماله والمقاومة التي سيصادفها من شعبه ونوع موته وغايته

وتنيجته كما تقدم . وتشير اليهِ بانواع الرموز والكنايات الامور التي لو نزعت من التوراة لكانت حرفاً بلا معنى كيدر قش خال من الحنطة

(قاضي) — لا جرم انك متيقن سلامة التوراة من التحريف والتغيير ولذا نترك الآن البحث بهذا الشأن وأقول ما الرموز في التوراة الى عيسى المسيح كفادي الخطاة ؟

(علي) — هي كثيرة ومتنوعة اجتزئ منها بذكر أجلها وهو رسم الذبائح الدموية ضحايا لله ككفارة عن الخطية وكون هذه العادة جارية من عهد أبينا آدم وقد تداولها كل الآباء الصالحين حتى موسى كما لا يخفى الذي أنزل عليه في التوراة رسوم تلك الضحايا المتنوعة والتعليم بكون وضعها انما هو كفارة عن الخطية وكلها ولا سيما ذبيحة يوم الكفارة عاشر تشرين اول وخروف الفصح تشير الى حمل الله رافع خطية العالم الذي كان عتيداً ان يأتي ويسفك دمه قرباناً لله فداء الانسان كما أنبأ أنبياء الله القديسون . وهل يسرّ الله بسفك دم الحيوانات واحراقها ويرتضي بها كفدية عن نفس الانسان ؟ وهل من العدل ان يقاصّ الحيوان عن الانسان والبهيم عن العاقل والزائل عن الخالد ؟ هذا ولدى اختبار عوائد الامم في كل الاقطار نرى ان أجل وأهم أنواع العبادة عندهم تقديم الضحايا الدموية لآلهتهم الباطلة حتى من فرط اعتبارهم ذلك آل الامر بهم الى تقديم الضحايا البشرية لتلك المعبودات الباطلة . وبما ان ذلك خارج كما لا يخفى عن دائرة الاستنباط البشري يستدل به عن اتصال هذه العادة اليهم بالتداول من السلف الى الخلف وكونه في الاصل وضعاً الهياً . ثم وكيف يمال عن تعميم هذه العادة عند أمم العالم مع اختلاف لغاتهم وعوائدهم وعن غاية المولى سبحانهُ في اعطاء هذه الرسوم الا انها تشير الى ما هو أهم وأسمى بما لا يقاس ولدى مقابلتها مع نبوّة الله واعلانه في التوراة والانجيل تجلى لنا غايتها وهي الاشارة الى فادي الخطاة والى دم كريم كان عتيداً ان يسفك فداء العالم

فأومأ من ثم القاضي الى الشيخ عبد الحميد ان يأخذ عنهُ قليلاً في المناظرة فقال ذلك من ينكر قدمية هذه المادة وكونها في الاصل وضعاً الهياً ولكنني أرى من الجساره البحث عن علة اعطاء الله هذا الرسم للانسان وسببه

(علي) — لما كان سبحانهُ لا يأتي أمراً ولا يشرع شرعاً بدون سبب وغاية وكان العقل الموهوب من لدنهُ تعالى للانسان حق البحث عن سبب كلما يعرض له من المحسوسات ساغ له محاولة الاستطلاع عن سبب اعطاء هذا الرسم للانسان وغايته

(عبد الحميد) — حسناً وكيف يمكننا ان نفسر تلك الرسوم على نحو ما ذكرت لانهُ ربما كان السبب والغاية فيها لديه تعالى خلاف ما يفتكر زيد ويفسر عمرو

(علي) نعم ليس في امكان العقل البشري أن يدرك بذاتهِ العلة لاعطاء المولى جل شأنهُ رسم الضحايا الدموية ولا المراد بها كما توهمت قبلاً وانما ذلك لا يقيد العقل عن التفكر بهِ والجزم بأنهُ لا بدّ له من غاية كبرى عند الله واضعهِ . واذ لا بدّ أن يدركهُ العجز عن بلوغ المنى يلتمس الارشاد من علة العلل الذي لما كان قصده بتلك الرسوم تدريب العقل واعداده الى المسيح لم يتركها بدون سند لتبيان المراد بها بل أعلن كما تقدم ذكره في كتاب مبين العلة الموجبة لاعطائها والغاية المحوية فيها . فبأي مسوّغ شرعي يحق الاغضاء عنها والاكتفاء بالقشر دون اللب

قال القاضي : دعونا الآن من هذا الحديث واسمحوا لي أن أسأل الشيخ علي هذا السؤال . ياشيخ ان الله واحدٌ أحد فرد صمد فمالكم تقولون آب وابن . أيلد الله ؟ حاشا ! وأنى يمكن التوفيق بين التعداد والوحدة ؟ ذلك لعمري من المحال !

(علي) أيعلم بذات الله سبحانهُ سواه ؟

(قاضي) كلا لا يعلم بذاتهِ سبحانهُ الا هو منزهٌ عن الكيفية والكمية والسبب . أسمى عن أن يتصوّر في الاذهان وأبعد عن أن تدركهُ الافهام

(علي) حسناً اذا كان لا يعلم بذاتهِ سبحانهُ سوى ذاتهِ ولا يعرف ما هو الا

هو. فأنى يحق لنا انكار ما قد أعلنهُ لنا عن ذاتهِ بداعي عدم صلاحية تلك النسبة لجلالهِ تعالى ؟ وما أدراك ان ما عقله الانسان عن ذاتهِ تعالى هو ناقص لا محالة ويحتاج الى تكميل باعلان خاص من لدنهِ جلّ وعلا.

(قاضي) أين أعلن الله انهُ واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد ؟ وهل الحكيم الرحمن يمان للانسان ما يضاد قوى عقله ؟

(علي) ليس يا مولاي في تعليم التوحيد والتثليث في الله عز وجل ما يضاد العقل وليس من المحال أن الله العجيب الفائق ادراكنا والبعيد عن تصوراتنا يكون جوهراً واحداً في ثلاثة أقانيم فعدم امكان العقل ادراك كيفية واحد في ثلثة وثلثة في واحد لا يجعل كيانهُ محالاً في من قد تعالى وسمى عن خلقه سمواً بلا كيف ولا حدّ ولا قياس . هذا وانّا نرى في بعض مخلوقاته ما يقرب الى عقولنا فهم هذه الحقيقة الالهية . من ذلك الشمس . فالشمس واحد في ثلثة أي جرم وشعاع وحرارة وليست هي ثلاث شموس بل شمس واحدة . والانسان ذو نفس وجسد وهو واحد لا اثنان ومع كون الامر فينا واقعاً تحت حواسنا لا نستطيع ادراك كيفيته فكيف نستطيع أن ندرك كيفية من قد تفرّد عن براياه سبحانه ما أعلى شأنهُ ؟ وقولك أين أعلن الله أنه واحد في ثلثة وثلثة في واحد . فأجيب لم يعلن ذلك حرفياً على هذا النسق غير ان اعلان التثليث والتوحيد في التوراة والانجيل على طرق وأنواع شتى أبين من أن يبين . وأظن اكثرها لا تخفى على فضيلتكم لاسيما قول المسيح لتلاميذه « وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (اه) . فلما انتهى من ذلك كان سكوت بضع دقائق والقاضي قابض على لحيته وقد علا وجههُ حمرة الانحصار

قال المفتي ألتمس من حضرة قاضي افندي الرخصة للتكلم قليلاً مع الشيخ علي لا يخفى على حضرتكم قوله تعالى في القرآن الشريف « قل هو اللهُ أحد الله الصمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن كفواً أحد » ومعشر النصارى تعتقد أن الاب والد

والابن مولود ولذلك قالوا أب وابن وهذا يقضي بالحداثة كما لا يخفى لان القول بالولادة يستلزم حدوثها في وقتٍ ما. وعليه لا يكون عيسى المسيح سوى مخلوق حادث وليس الهاً أزلياً كما يزعمون . والقول انه اله من اله وجوهر منه تعالى هو من غريب الخبط والخلط منافٍ لقوله تعالى ولذوق العقل . بناء عليه لا أصدق أن هذا التعليم جاء في كتابه تعالى بل هو لاجرَم مُدخَل عليه من ذوي الاوهام والوساوس

(علي) — أما الزعم بان تعليم التثليث في الله منافٍ للعقل فهذا قد دحضته في جوابي السالف. فلا حاجة الى مراجعته وقولكم انهُ مدخل على الكتاب فهل في مقدرة انسانٍ ما اثبات هذه الدعوى . ومطالع الكتاب بوقار واخلاص يرى ان هذا التعليم حقيقة راهنة فيه وراسخة بهذا المقدار حتى لا يمكن دحضها الا بدحضهِ ان أمكن وهو محال. ولا خفى ان هذه الحقيقة ترى من أول وهلة في الكتاب وفي أول فصل فيه بقوله تعالى « نعمل الانسان كشبهنا » وان قلتم من قبيل التعظيم دُحض قولكم بقوله تعالى « هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر » ففي ذلك كما لا يخفى دليل على وجود أقانيم في ذاته تعالى — وأسفار الانبياء تصف المسيح على أنواع شتى كربٍ وملاك العهد وملك الملوك وعلى الخصوص النبي أشعيا فانه يصفه وصفاً غريباً قاطعاً كل ريب بألوهيته ومطلق سلطانه بقوله « لانهُ يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لنمو رئاسته والسلام لا نهاية (اش ٩ : ٦ و٧) فلو كانت التوراة يا أفندي توراة النصارى ربما كان لزعمكم رواج ما ولكنها لحسن الحظ توراة أمة تنكر ليس فقط ألوهية المسيح بل ارساليتهُ من الله وأي أرب لليهود بادخال تعليم غريب كهذا على توراتهم فقد اتضح أن هذا التعليم هو اعلان الله لا ريب فيه وما الانجيل الا خبر اتمام الله اقوال أنبيائهِ القديسين بخصوص ابنهِ الوحيد الذي جاء وكمل كل شيء بسكبهِ للموت نفسهُ فداء نفوس المؤمنين . والتسمية آب وابن وان

دلت على الولادة هي على خلاف عادة المخلوقات وخلاف ما يخطر في بال الانسان غير قابلة التكييف والتنويع . والقول انهُ كان مولوداً قبل كل الدهور لا يدل على حدوث ذلك في زمن ما بل يراد به كما لا يخفى أزلية الابن كالاب ولا محل للقول كيف وكيف وهو مثل قولنا الحرارة مولودة أو متولدة من الشمس والكتاب والعلم يفيداننا انه حين وجدت الشمس وجدت حرارتها معها في آن واحد ولا يبعد ان الله سبحانهُ سمى لنا أقانيمه هكذا لنفهم على وجه قياسي الحب والالفة والوحدة الكائنة في ذاته تعالى . نعم ان هذا التعليم الالهي عسر قبوله وهضمه لمن قد ربي ونشأ على تعليم آخر ولمن لم يتدرب جيداً بكتابه تعالى غير انه لحسن الحظ ايضاً يوجد اتحاد بين الكتاب والقرآن في مسئلة التثليث والتوحيد

(المفتي) — عجباً لقولك هذا أفي القرآن مثل هذا التعليم

(علي) — نعم موجود

(المفتي) — هات أرنا ذلك ولك الفضل

(علي) — انظر ما جاء في سورة آل عمران (آية ٤٠) « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين » فلا يخفى على حضرتكم ان القول يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح يبين لامحالة شخصية الكلمة وذاتيتها وكلمة منه دليل راهن ان المولود من مريم ذات من الله عز وجل . وهذه التسمية والنسبة هي نفس ما جاء في الانجيل ان المسيح كلمة الله كما ترى في انجيل يوحنا (١ : ١ و١٤) وفي سفر الرؤيا (١٩ : ١٣) حيث يقال « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا » — وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والمراد من ذلك ان الكلمة المتجسدة من مريم هي ازلية جوهر من جوهره تعالى والقول كان عند الله وكان الكلمة الله يدل في الاول كونه

أقنوماً في الله وفي الثاني انه جوهر من جوهره وذاته تعالى . وما يستحق الاعتبار هو مع ان لفظة كلمة بصيغة التأنيث تذكر في كل من الانجيل والقرآن لدى الكلام عن التجسد بصيغة المذكر دلالة على الشخصية الجوهرية لا العرضية فما الفرق اذاً ليت شعري روحياً بين القولين (اه)

حينئذ عدل الشيخ عبد الحميد جلوسه وقال التمس من حضرة مفتي افندي ان يسمح لي ان أقول شيئاً لجناب الشيخ علي — تفضل — ألا تعلم حضرتكم انه لا يستطيع تأويل القرآن الا الله والراسخون في العلم واذا ذاك فلا يسوغ لنا اقتحام هذا الامر الخطير بل الاجدر بنا الاعتماد على تفاسير أشهر الائمة كالامام البيضاوي والرازي رضي الله عنهما . والاحرى بنا الاقتصار على ما أنزل فيه بخصوص عيسى عليه السلام : « إن مَثَلَ عيسى عند اللهِ كمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ من تراب ثم قال له كن فيكون » اي هو انسان وليس الهاً كما يزعم النصارى وايضاً كما ترى في سورة المائدة « واذ قال الله يا عيسى ابنُ مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق » الى آخر الآية ١١٧

(علي)—لا يخفى على سيدي أن الانسان ما خلق عاقلاً الا ليعقل ما لديهِ ويفرق بين الحق والباطل والجيد والردي وحاشا لله ان ينزل وحياً لا يفهم الا من افراد من انزل اليهم . اذا كان الانسان لا يرسل لانسان آخر كتاباً ما الا ويستطيع ذاك فهمه قصد العمل بموجبه . فكم بالحري الرحمن عز شأنه لا يوحي الى خلقه الا بما امكنهم فهمه والا كيف يمتثلون ويطيعون ما لا يفقهون المراد بهِ . وتفسير بعض العلماء لكتاب موحى به من الله لا يكون وحياً واذ ذاك فلا يعتمد عليهِ لأنهُ ربما أخطأوا بتفسيره في أمور كثيرة فالمرجع اذاً الى الكتاب الموحى بهِ والمعتقد بانزاله. وعليه لا تغنينا تلك التفاسير مهما كانت جيدة عن استعمال عقولنا السليمة في فهم وادراك المراد بذلك الكتاب . ولا نقدر أن نحمل المفسر مسؤوليتنا لله تعالى في كف العقل وحجزه عن

فهم كلامه اذ الغاية الكبرى في منحنا اياه هي ادراك وجود واجب الوجود ومعرفة مشيئته وقصده تعالى في ما اوحاه الينا — نعم يلزم الانسان معرفة قواعد اللغة المكتوب فيها ذلك الكتاب ليفهم كلامه من حيثية الاعراب والفصاحة التي لاينكر انها تساعد على ادراك معنى الكلام . غير ان معظم الحاجة اليها في ما هو أوفر اشكالاً واكثر ابهاماً وهو نادر ويمكن الاستغناء عنه انما اكثر سور القرآن وآياته مفهومة لدى العاقل الفطن وأي كلام اجلى وأبين من الآيات التي نحن بصددها في ما يختص بالمسيح ابن مريم وهي تحاكي مثلاً قولي لابني الصغير : اللبن من الشاة والثمر من الشجر فهل يحتاج الامر تفهم كلامي الى علماء راسخين يفسرون له كلامي حسب قواعد اللغة . لا لعمري وهكذا القول ان عيسى المسيح بدون أب بشري وانهُ كلمة من الله وروح منهُ يستطيع فهم المراد منه كل مسلم سالم العقل حرّ الفكر وهل يجدر بالعقل الاكتفاء بالهمهمة والدمدمة في تلاوة القرآن بدون مراعاة قوى عقله في فهم غايته ومعناه منزلاً نفسه منزلة الببغاء التي تتكلم ولا تفهم ما تقول؟وكيف اذاً يؤمن المسلمون في هذه البلاد الايمان الصحيح بالله واليوم الآخر وهم لا يفقهون القرآن كون اكثرهم ليس فقط غير راسخين في العلم بل أميُّون لا علم لهم — هذا واقول من قبيل الجسارة اننا أيها الفاضل ذوو علم ودراية وافية في كنه اللغة وآدابها وعندنا تفاسير الامامين اللذين ذكرتهما ولكن نغض النظر عن تفاسير ذينك العالمين ونقول لماذا لا يجوز لي ولك مثلاً استعمال عقولنا في فهم القرآن وتفسيره كأولئك الغابرين — ثم ان نسخ ألوهية عيسى المسيح في بعض آيات القرآن لا يسلبنا حقنا التمسك او بالاقل محاولة الوقوف على مفاد هذه الآيات الثمينة المنطبقة على مفاد التوراة والانجيل دون تلك (اه) حينئذ قال المفتي للشيخ عبد الحميد أترجاكم سيدي اسمحوا لي بالرجوع الى المناظرة مع الشيخ علي . أرى ياشيخ قد تجاوزت الحد في تأويل قوله تعالى حتى طبقته على مفاد انجيل النصارى من

خصوص قوله بألوهية عيسى والحال يبان ان مراده تعالى بالآية خلاف ذلك لانه وان يكن الضمير (في منهُ) راجعاً الى الله لا يفيد كون ذلك على سبيل الحصر ان الكلمة عيسى المسيح ذات من ذاته بل موجد منهُ لا جوهر من جوهره ولا ذات من ذاته . كيف ترى ؟

(علي) — لوكان المراد بالآية كما قلتم ما اقتضى لكيانها على هذا النسق بل كانت على نسق ما بشر الله ابرهيم بابنه اسحق وما بشر بهِ الملاك زكريا « اذ قال ضيف ابرهيم لا توجل انَّا نبشرك بغلام عليم » سورة الحجر (آية ٥١) ولزكريا « فنادتهُ الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » سورة آل عمران (آية ٣٧) وانما اذ كان المبشر به لمريم ذات من ذات الله سبحانه وجوهر من جوهره قيل في القرآن يامريم ان الله يبشرك بكلمة منهُ لا بغلام عليم ولا نبي من الصالحين كما بشر زكريا وابرهيم فما أسمى الفرق بين هذه البشرى وتلك وما يؤيد ذلك أيضاً ماجاء في سورة النساء « انما المسيح عيسى ابن مريم رسولُ الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروحٌ منهُ » أي رسول ياترى نسب هذا النسب ولم تكتف الآية بنعته بالرسالة بل أبانت لنا انهُ كلمة الله ولكي لا نوهم خلاف المقصود بلفظة كلمة الله أتبعتها بما يزيل كل اشكال وهو « روح منهُ » لكي نفهم ان عيسى المسيح ليس هو كرسول اعتيادي بل كابن مرسل من لدن ابيه الى عالم الدنيا . هذا هو مفهوم هذه الآيات القرآنية طبقاً لمفاد الانجيل قصد بها ذلك أولم يقصد . فما الفرق ليت شعري بين القول جوهر من جوهر الله او روح منه او روح الله كما ورد في الحديث في كتاب الامام الغزالي (جزء ٣ وجه ١٦٦) الا ان ذلك شيء واحد وما يزيد ذلك تأييداً ولادتهُ على خلاف مجرى الطبيعة دون كل البشر فمن كان هكذا بلا أب بشري ولهُ هذه النسبة السامية الى الله دون كل الانبياء والمرسلين ؟ ألا يحق ان يقال له

ابن الله كما جاء في الانجيل — واسمحوا لي ان أبدي لديكم ماقاله لي مرةً احد علماء المسيحيين منذ نحو اربع سنوات في اثناء محاورة جرت بيننا . بينما أنا اتكلم في فضل محمد على سائر الانبياء والمرسلين وانه سيد ولد آدم كما جاء في كتاب الامام الغزالي جزء أول وجه ٣٥٥ وجزء ثالث وجه١٦٢ضحك فقلت ما اضحكك ؟ قال لا شيء . قلت لا بالله تخبرني السبب قال أضحكني الغرض الاعمى الذي لا يدع صاحبه يبصر الا ما كان لجهته .قلت أتنسب لي الغرض باذمي . فما تغرضي ؟ قال تفضيلك محمد على سائر أنبياء الله وجعله سيد البشر خلافاً لمفاد قرآنكم وحديثكم اللذين يرفعان عيسى المسيح درجات فوق سائر الانبياء والمرسلين . قلت هات بيان ذلك ان كنت من الصادقين . قال ان لذلك ست بينات . اربع من القرآن وثنتان في الحديث — جيد أورد لنا ذلك قال . أما القرآنية فهي :

(الاولى) انه يدعو عيسى المسيح كلمة الله وروح منهُ ومحمداً رسولاً من الله وعلى كلٍّ روح الشخص افضل من رسوله بما لا يقاس

(الثانية) ولادته على خلاف ناموس الطبيعة الامر الذي يجذب فكر الحاذق البصير الى القول بانه لو لم يكن هذا الشخص عجيب النسبة لله وفائق الشرف ما جبل به على هذا النوع العجيب

(الثالثة) عمله معجزات لم يسبقه ولا خلفه فيها نبي او مرسل

(الرابعة) عدم التصريح والتلميح بأن عيسى المسيح أثم في شيء ما ومع ان القرآن يذكر استغفار اعاظم الآباء والانبياء كنوح وابرهيم وموسى وداود وسليمان وغفران الله لهم وغفرانهُ لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووضعه عنه وزره الذي أنقض ظهره سورة الفتح (آية ٢) وسورة ألم نشرح (آية ٢و٣) ولم يذكر قط ان عيسى المسيح استغفر ربه استغفاراً ما او ان ربه غفر له فيتضح من ذلك ان عيسى المسيح شخص منفرد لامحالة عن الانبياء كافة بالذات والكمال وأفضلهم جميعاً

وأما الحديثية (الاولى) ما جاء في كتاب الحديث للامام مسلم في الجزء الخامس وجه ١٢٦ عن محمد انهُ قال يوماً لعائشة « مامن مولود يولد لابن آدم الا نخسهُ الشيطان عند ولادته فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه » فعليهِ يكون الشيطان نخس جميع الانبياء عند ولادتهم ومن الجملة محمد الا المسيح وأمه . فعلى كل يكون عدم تجاسر ابليس الرجيم على مسه دليل سموّه الفائق على الملأ كافةً اخياراً وأشراراً

(الثانية) ما روي في كتاب الامام الغزالي جزء ثالث وجه ٣٧ انهُ لما ولد عيسى ابن مريم عليهِ السلام أتت الشياطين ابليس فقالت قد أصبحت الاصنام منكسة الرؤوس فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى عليهِ السلام قد ولد واذا الملائكة حافين بهِ فرجع اليهم فقال ان نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا أنا حاضرها الا هذا . فآيسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة . فهذه القضايا الست في صحفكم الدينية جدير بها ان ترفع منزلة المسيح في قلوبكم درجات فوق محمد . بل أيضاً ان توجه أفكار كل مسلم عاقل نظير حضرتكم الى التأمل بهذه الامتيازات الغريبة العجيبة التي امتاز بها المسيح عيسى عن كل بني آدم وتجذبه من ثمّ للسؤال العادل لماذا يا ترى خصّ ابن مريم بهذه الامتيازات الغريبة وما السرّ في تسميتهِ كلمة الله وروحه وما هذه النسبة الالهية وما علة ولادته من دون أبٍ بشري واحفافه بجيش من ملائكة الله كي لا يدنو منهُ الرجيم وما سبب عصمتهِ من الخطا والاثم دون جميع البشر ؟ هل يسلم العقل ان هذه الأمور بلا طائل ؟ لا لعمري. نعم يا سيدي لا تجدون في القرآن بياناً لعلة هذه الامتيازات العجيبة غير انهُ يدلكم على الكتاب التوراة والانجيل اللذين أنزلهما الله نوراً وهدى على طائفتي اليهود والنصارى . الكتاب هو ولا سواه يتكفل باعطاء الجواب الشافي

لهذا السؤال . فنحن ممتنون لمحمد على هذه الشهادة الثمينة والحق أقول لك ياسيدي الشيخ لو كنت مسلماً نظيرك ما كنت أقدر ان أجد بداً عن هـذا السؤال لدى اطلاعي على هذه القضايا المهمة ولا كنت أجد راحة لفكري الا بعد حصولي على جواب له يروي الغليل . والعجب كيف ان كثيرين من علمائكم يتغاضون عن مثل هذه القضايا الكلية الاهميـة ملقينها وراء ظهورهم كأن الاغضاء عنها هو الجواب الفاصل لها . قلت يكفي . يا ذمي وأعدك اني سأنظر في ذلك ان شاء الله ثم افترقنا وقلبي ملتهب من جراء متانة تلك الحجج التي حقاً قد أثرت فيّ تأثيراً كلياً وشغلت عقلي زماناً وكأني بصوت مستمر يناديني ما ترى يا علي ؟ ما فكرك في هذه القضايا ؟ ما سرّها وعلتها ؟

قال حسن افندي العطار : أسترخص من حضرة مفتي افندي ان شاء اتكلم شيئاً . أجابهُ تفضل — قد استوعبنا مقالتك ياسيدي الشيخ فأقول نعم ان القضايا المشار اليها لا تخلو من علة وسر مجهولين لا يعلمها الا الله بما انهُ لم يبان ذلك في القرآن فالاسلم ترك الامر لله . واما ان نعتمد في ذلك على الكتاب بناء على شهادة الرسول له فهذا لا يسوغ بعد ما لعبت بهِ ايادي المحرفين والمفسدين . قال الشيخ احمد عبد الهادي لا ريب ان الشيخ علي قد تعب فليسمح لي ان أجاوب عنهُ جناب حسن افندي . قال ذلك اليك . قال قد برهن الشيخ علي في مناظرته مع حضرة مفتي افـندي بوجيز العبارة عدم تحريف التوراة وعدم تحريفها يقضي بعدم تحريف الانجيل لاتفاقهما معاً في القصد والغاية كما لا يخفى على المدقق النبيـه ومع ذلك لا بأس من الجولان أيضاً قليلاً في هذا الباب لان بالاعادة افادة و بتكرار جرّ الحبل زيادة التأثير فقل ان شئت ما دليل تحريف الكتاب ؟ قال ان لتحريفه عدة أدلة منها (أوّلاً) قوله بألوهية عيسى عليهِ السلام حال كونهِ انساناً تحت الآلام نظيرنا جاع وعطش وتعب وحزن وتألم واستغاث ومات حسب زعمه

(ثانياً) انكار اليهود ذلك (أيّ ألوهية عيسى) كونهم أهل الكتاب فلو أخبرهم اياه كتابهم ما وسعهم انكارهم اياه

(ثالثاً) وجود مناقضات عديدة فيهِ فانك كثيراً ما ترى قصة تناقض قصة وآية تناقض أخرى

(عبد الهادي) أرجوكم ان تذكروا ما شئتم من هذه المناقضات وفيما بعد أقدم ان شاء الله لجنابكم الجواب عن هذه الادلة الثلثة

(حسن) أقتصر على ذكر بعض مناقضات في الأنجيل . منها — ان متى يذكر أعميين عند أريحا سألا يسوع البصر . ومرقص ولوقا يذكران أعمى فقط . ومتى يقول ان المسيح لما قرب من بيت فاجي أرسل تلميذين من تلاميذه ليأتياه باتان وجحش معهـا وانهما فعلا ذلك وركب عليهما يسوع — وفي مرقس ولوقا يذكر جحشاً فقط وفي سفر الاعمال في فصل ٩ : ٧ يقال عن بولس رسول المسيح في تجلي الرؤيا عليهِ على طريق دمشق « وأما الرجال المسافرون معهُ فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً » وفي فصل ٢٢ : ٩ يقول عن فم بولس (والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني) . ويقال في رسائل بولس ان التبرير بالايمان فقط لا بالاعمال وانهُ بأعمال الناموس كل ذي جسدٍ لا يتبرر امامهُ وان ابراهيم وراحاب تبرّرا بالايمان . وفي رسالة يعقوب يقال « ترون اذاً انهُ بالاعمال يتبرّر الانسان لا بالايمان وحده وان ابراهيم أبانا تبرّر بالاعمال وكذا راحاب » وهـذا يكفي للبصير ليرى ما قد اعترى الكتاب المقدس من التحريف والتغيير حتى أضحى هكذا يناقض بعضهُ بعضاً فكيف سأل المسيح أعميان أو أعمى واحد؟ وكيف ركب حيوانين بل حيواناً واحداً ؟ وكيف سمع أولئك الرجال الصوت ولم يسمعوه ونظروا ولم ينظروا ؟ وان البرّ بالايمـان فقط لا بالاعمال و بالاعمال والايمان ؟ — لعمري ان هذا الخلط الغريب من أعظم الادلة على

تحريف الكتاب

(عبد الهادي) أما قول الانجيل بألوهية عيسى فهذا قد استوفى الكلام بشأنهِ فيما قد جرى من الحديث بين حضرة المفتي والشيخ علي واستبان ان التوراة والقرآن يشهدان له بهذه النسبة الالهية شهادتين مستوفيتين الواحدة سابقة والأخرى لاحقة من كتابي أمَّتين لا تعتقدان بشيء من ألوهيتهِ فلا حاجة لمراجعة ما قد بدا ووضح . فقط عليَّ ان أجيب جنابكم على مسئلة كونهِ كانسان كان تحت الآلام نظيرنا جاع وعطش وتعب الى آخر القول — فلا يخفى على سيدي ضرورة ظهور هذه الاعراض فيهِ برهاناً لتمام انسانيتهِ كما ان معجزاتهِ الخارقة وكماله وسموّ طهارتهِ وصلاحهِ وعلمهُ الماضي والحاضر والمستقبل هو برهان لاهوتهِ . وهذا كما لا يخفى ممكن لدى مَن كلّ شيء ممكن لديهِ وهل من اعتراض على الله عزّ وجل اذا شاء ان يتخذ بابنهِ الوحيد صورة عبد لاجراء أمر خطير لم ترَ حكمته الالهية اجراءه بدون ذلك ؟ — أما نكران اليهود ألوهية المسيح الذي اعتبرتموه حضرتكم دليلاً على تحريف الكتاب فهو كما لا يخفى من الادلة الراهنة على عدم تحريفهِ كما قد ألمع الى ذلك الشيخ علي فيما سلف لانهُ لو سمح للبشر بتحريف الكتاب حسب أهوائهم لكان اليهود لا ريب حرّفوا وغيّروا الآيات النبوية التي تنبي عن المسيح كإلهٍ وانسان واصفةً اياه وناسبةً ذات الصفات والنسبة الملمة في الانجيل لا سيما ما كان بخصوص رفضهم اياه وبيعه بثلاثين من الفضة واماته . وبالاقل كانوا اعتمدوا ذلك بعد ان تمموا كل شيء من جهة رفضه وصلبه . ولكن لحسن الحظ لم يعدوا يدهم قط لمحو وتحريف أصغر نبوّة بخصوصه بل لم تزل في توراتهم كما أُنزلت شاهدة على شر كفرهم بهِ وبرهاناً للأمم انها محفوظة بقدرة من أنزلها رغماً عن اهواء الانسان وفساده فمن بعد كل هذا من يقول بتحريف التوراة ولا يأثم الى منزّلها تعالى

أما القضايا التي اعتبرتموها حضرتكم مناقضات ومن ثم اتخذتموها دليلاً لتحريف الانجيل فأقول :

أولاً — ان هذه المذكورات ليست في الأمور الأولية التي عليها مدار الايمان المسيحي

ثانياً — لدى التدقيق فيها لا ترى البتة مناقضات كما سترى. فالاعميان في متى لا ينفيهما أعمى مرقص ولوقا ولا أحدهما . وانما ذكر البشير الاول اثنين والبشيرين الآخرين واحداً . فكما يتحصل من العقل ان أحدهما كان اكثر شهرة أو ربما هو المتكلم فقط فاكتفى كلٌّ من مرقص ولوقا بذكر الاشهر وهذا لا ينفي انهُ كان معهُ آخر . ومثل ذلك الآتان والجحش فان المقصود الجحش انما يرجع لكونهِ كان رخصاً غير مروّض لزم احضار أمهِ معهُ وان المسيح تارة كان يركب الآتان وطوراً ابنها . ولما اشرف على أورشليم كان راكباً الجحش فاكتفى البشيران مرقص ولوقا بذكر ما هو اكثر أهميـة وقصداً وهو الجحش بخلاف متى فانهُ رأى التدقيق في هذه القضية ولا مناقضة بينهم — ومسئلة رؤيا بولس فهي خلاف ما يتوهمها الانسان لاوّل وهلة لان في القضية الاولى يقول يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً وفي الأخرى نظروا النور ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني . فيظهر لدى التمعن في هاتين القضيتين انهـم في الأولى سمعوا صوتاً مبهماً كالصوت الذي جاء من السماء جواباً للمسيح في أورشليم فسمعهُ الحاضرون ولم يفهموه و بعضهم لم يميزوه عن الرعد (لاحظ يوحنا ١٢ : ٢٨ و٢٩) ولم يسمعوا صوت الذي كلمني في الثانية أي لم يسمعوا الكلام ولم يفهموا كلمة ما من هذا الصوت . فكأنهُ بالنظر الى ذلك هو عدم سماع « ولم ينظروا أحداً » ونظروا النور فلا يرى في ذلك شبه التناقض كون النور مادة لا شخصاً « والاحد » هنا يدلّ على الشخصية لا على المادية — هـذا وهب ان بياني هذا غير مروٍ أسأل حضرتكم هل ترون في شبه المناقضات هذا ما

يدل على تحريفهِ من اصله او على قصد لهم في جمل الآيات المتنوعة على هذه الكيفية :

(حسن) كلا لانهُ لو قصد ذلك منهم لكانوا بالاولى أزالوا مثل هذا الاشكال .

(عبد الهادي) دمت سالماً سيدي واذا كان اهل الكتاب ما قصدوا تحريفه هكذا على نوع يجلب لهم هذا تعب فيكون ما يوجد فيهِ من شبه التناقض دليل بقائهِ على ما أوحي بهِ وما كتبهُ الرسل الملهمون . وعن مسئلة الخلاف الظاهر بين بولس ويعقوب أقول : لا يخفى ان هذا الخلاف هو ظاهري فقط لا معنوي وهو ناشئ عن اختلاف أفكار المكتوب اليهم منهما فكما يُرَى من فحوى رسائل بولس الى رومية وغلاطية ان أفكار المؤمنين في هاتين البلدتين ان الانسان تبرّر لدى الله بأعماله لا سيما الاعمال الناموسية حسب التوراة أو بالايمان والاعمال معاً . فكتب لهم الرسول ما كتب ليريهم ان الانسان فاسد بالطبع ومجرم الى الله واذ ذاك كان محكوماً عليهِ من الناموس وكيف يبرّره الناموس من ذنوبهِ وجرائمه المكتوبة في دفتر علمه تعالى وان الخلاص من الخطية ونتائجها هو فقط بعفو الله ورحمته لا باستحقاق الانسان الأثيم . وان التبرير من دَين العدل انما هو بالوفاء وهذا الوفاء قد حصل بالفداء الشرعي بدم حمل الله الذي قُدّم لله بلا عيب لاجلنا لكي يبرّر كل من يؤمن به . فقال لهم ان الانسان يتبرّر بالايمان لا بالاعمال بخلاف الذين كتب اليهم يعقوب اذ كان قد شاع بينهم ان الانسان يخلص ويتبرّر من جرائمه بمجرد الايمان بدون لزوم الى التقوى والطهارة وانهُ لا حرج على المؤمن مهما فعل وارتكب من أعمال الفظاعة والقساوة ناسين ان ايماناً كهذا ميت في ذاته وليس هو بالحقيقة ايماناً . فكتب اليهم الرسول مبيناً شرّ غلطهم هذا وموضحاً لهم ان التقوى بحفظ وصايا الله هي دليل الايمان بالله بقوله « أرني ايمانك بدون اعمالك (أي ان ذلك غير ممكن) وأنا أريك باعمالي ايماني » (يع ٢ : ١٨) أي ان الاعمال شاهد الايمان ودليله فالايمان بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب ما هو الا التصديق

القلبي والتأكيد اليقيني بهذه الحقائق . والاعمال الصالحة ما قاد اليه هذا الايمان فالايمان بالله ينشئ حب الله ومخافته وهذه تجمل من كانت فيه تقياً لا محالة . وعليه كُتب ما ترون : ان الانسان يتبرّر بالاعمال لا بالايمان وحده أي بالايمان الحيّ العامل بالمحبة كما يقول بولس فيكون الايمان هوالاصل والاعمال هي الاثمار وما من ثمر بدون أصل. فالله يبرّر من كان مؤمناً ايماناً حياً منشئاً في قلب ذلك المؤمن حب الله . فمؤمن كهذا ان مات دقيقة ايمانه بدون عمل صالح في سالف حياته يخلص بايمانه وان عاش في الدنيا يسير مع الله بايمانه . فترون ان لا خلاف حقيقي بين القولين بل الخلاف الظاهري ناشئ كما من خلاف رأي كلّ من المكتوب اليهم وهذه الحقيقة تزداد وضوحاً وبهاء لعيني قارئ كتاب الله بالاحترام والوقار الواجبين له (اه)

قال القاضي — ان ما قد أتيت به جنابك يا شيخ احمد لا يُرى انهُ حلّ مستوفٍ لهذه الاعتراضات ما خلا انكار اليهود ألوهية المسيح وارساليتهُ من الله وأرى اننا لم نصب في اتخاذ ذلك دليلاً على تحريف الكتاب فان كان عندك بعد أوفى مما ذكرت فأتِ بهِ والا لزمك الاذعان بتحريف بعضهِ على الاقل

فتبسم الشيخ احمد وقال لقد سلم مناظري الكريم توّاً فيما تقدم ان اهل الكتاب لو قصدوا تحريف كتابهم لكانوا بالاولى ازالوا مثل هذا الاشكال وكل عاقل يرى ان بقاء هكذا شبه تناقض في بعض آياتهِ دليل بقائهِ كما كُتب من الملهمين بكتابتهِ . ولا ارتاب بكون حضرتكم رأيتم سداد هذه الحجة غير انهُ يلوح لي انكم ترغبون في افراغ قوّة الدفاع عن ثلم سلامة كتابهِ العزيز فلا بأس . وعليهِ اطرح لديكم هذا السوءال — اذا كان الكتاب على زعم المسلمين تحرّف فهل تحرّف قبل محمدٍ أو بعده؟

فتوقف القاضي برهة عن الجواب ثم قال : ألا تعدل الآن يا شيخ عن هذا السوءال ؟ أجاب كلا يا سيدي لا يمكنني العدول عنهُ لكن اذا شئتم قفل باب المناظرة

الآن فالامر لكم

فاحمر وجهُ القاضي خجلاً حتى سال العرق من جبينهِ والتفت الى اصحابهِ كأنهُ يريد امداده برأيهم فهمس اليهِ عبد الرحيم افندي ان يقول بعد محمد . فاجابهُ لا اقدر الآن على مجاوبة هذا السؤال بوجهٍ ما . هو سؤال لا كالأسئلة . فان شئت جنابك ان تجاوب عليهِ فالامر اليك . فقال المذكور لا غرو انهُ قد تحرف بعد موت الرسول صلى الله عليهِ وسلم

(عبد الهادي) من المعلوم ان محمداً نبي المسلمين نبغ في القرن السادس للتاريخ المسيحي حيث كان معظم السلطة السياسية في العالم بيد المسيحيين وكان اذ ذاك المسيحيون مؤلفين من قبائل شتى مختلفي اللغات والالسنة. والكتاب موجود بأيدي كل قبيلة منهم بلغتها الخاصة وقبل ذلك العصر بكثير بعد القرن الاول اخذت الامة المسيحية تتشعب الى فرق وطوائف مختلفة بعضها عن بعض مذهباً وطقساً كالاريوسيين والنساطرة والبولسيين سكان ارمينيا وما شا كلهم وثارت بينهم شرور العدوان والشحناء حتى بلغت اعظم مبلغ وكان الكتاب طبيعياً بيد كل فريق منهم وكانوا يناظرون بعضهم بعضاً بقضاياه وآياته ولم يشبه تغيير ولا تحريف ما مدة تلك الاجيال كما اقررتم وكما يتضح من شهادة القرآن له فاذا كانوا لم يحرّفوه قبل محمد حال كونهم كما ذكرت متضادين متباعدين رأياً ومذهباً وطقسا فهل ممكن والحالة هذه اجماعهم فيما بعد على تحريفهِ ؟

(عبد الرحيم) قد يمكن ذلك

(عبد الهادي) ما كنت انتظر من ذكائكم هذا الجواب : ما دليل اتفاقهم على تحريف الكتاب وهم منذ انشقاقهم لم يزالوا في التضادّ والخلاف الديني بل ان الخرق كان على توالي السنين والاجيال في حال الاتساع والتعاظم . فاجماعهم بالفرض على تحريفه يقضي لا محالة بعدولهم عن الخلاف ورجوعهم الى طائفة واحدة ذات رأي

واحد وطقس واحد بموجب ذلك الكتاب المحرّف منهم . ولكن بقاؤهم على ما هم عليه من الخلاف والمباينة مع وجود الكتاب عند جميعهم بلغاتهم المختلفة منذ افتراقهم بدون ادنى فرق دليل راهن على عدم تحريفه وعلى عدم القصد بذلك فلا جرم ان الاقرار بعدم تحريف الكتاب قبل محمد يستلزم كما لا يخفى الاقرار بعدم تحريفه فيما بعد — واسأل حضرتكم :هل يشرع الانسان في عمل ما بدون غاية ما ؟

(عبد الرحيم) كلا ما من عاقل يباشر أمراً بدون غاية

(عبد الهادي) فهل اذاً يقدم محرفو الكتاب على تحريفه بدون غاية خيرية لهم ؟

(عبد الرحيم) كلا لا بد لهم من غاية عظيمة

(عبد الهادي) حسناً . ما هي تلك الغاية ؟

(عبد الرحيم) لا اعلمها.هل من الضرورة ان تعرف غاية كل امر يباشره الناس؟

(عبد الهادي) كلا وانما لا يخفى عليكم اذا أدعي على جماعة ما بكونهم محرفين كتاباً منزلاً اليهم بالنظر الى قضايا كذا وكذا ثم لدى النظر الى تلك القضايا وجد عدم موافقتها اياهم بل بالعكس مضادة آرائهم واعمالهم لزم المدعي من ثم بيان غاية لهم فيما ادعى والا سقطت دعواه — أليس كذا يا قاضي افندي ؟ — قال بلى انما بالنيابة عن عبد الرحيم افندي اقول : هل عندك بيان عدم وجود غاية في الكتاب لاهله بتحريفه المزعوم ؟

(عبد الهادي) اذا أتيت بذلك هل تسلمون حضرتكم بسلامة الكتاب من التحريف ؟

(قاضي) لا نقدر على هذا الوعد ولكن نرى حينئذ فيما يجب

(عبد الهادي) وأيّ غاية ترى في الكتاب لتحريفه ممن كثير من تعاليمهم وطقوسهم وضروب عباداتهم منافٍ للكتاب على خط مستقيم ؟ وألا يرى البصير انه لو خطر على بال أهل الكتاب تحريف كتابهم بعد تشعبهم وافتراقهم كما يزعم

سيدي عبد الرحيم لكان لا غرو أن كل فريق منهم حرفهُ على نوع يسند مدعاه ورأيهُ وشكل عبادته . و بالاقل كانوا نزعوا منهُ الوصايا والنواهي الشديدة على اتخاذ الصور والتماثيل وعبادة المخلوقات الفائض فيها أكثر واعظم الفرق النصرانية ، ولكن الحمد لله لم يمدوا أيديهم اليهِ قصد افساد كهذا بل هو باق في ايديهم ومعابدهم شاهداً على انحرافهم عنهُ كما تشهد التوراة بيد اليهود على انكارهم مسيح الله المبارك . ومن يرى وقوف كل من الفرق النصرانية في المرصاد لزملائهم منذ افتراقهم ينجلي له سبب عظيم من الاسباب المانعة لتحريف الكتاب — فقد اتضح اذاً عدم تحريف الكتاب وعدم السبيل الى تحريفه وعدم الغاية بذلك — فهذه الامور الثلثة : نكران اليهود اتيان المسيح عيسى من الله حال كون توراتهم تشهد له كما تقدم ، وعدم تحريف الكتاب قبل محمد ، ووجود ما يدل فيه على عدم مداخلة الحكمة البشرية في أمره هي من اقطع الادلة على سلامته من شائبة التغيير والتحريف ولا يبقى للانسان سبيل ان يطعن فيهِ بوجهٍ من الوجوه . فما اشبه الكتاب بابرة الملاحين (الحك) كيفما قلبتها ترى طرفيها متجهين نحو القطبين هكذا كيفما قلبت الكتاب وأدرته لا تراه الا كعمود للحق طرفه الواحد في الارض والآخر في السماء لا يستطاع تحويلها الى جهة أخرى (اه)

حينئذ قال القاضي كفى الآن يا اخوان قد أطلنا الوقت جداً قدصارت الساعة سبعاً ونصف تقريباً فلننصرف اذ بان ان لا فائدة من الحديث مع هؤلاء الاحباب فما أجل ما جاء في كتابه تعالى « انك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء» ثم قاموا وانصرفوا — وفيما هم ذاهبون في طريقهم قال الشيخ عبد الحميد افكر يا اخوان انهُ كان غلط منا القول ان تحريف الكتاب كان بعد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لانهُ مسلم اذا كان حتى ظهور النبي ما تحرف فلا يمكن ان يحرف فيما بعد لعلل شتى . كان الأوفق ان نقول انهُ تحرف قبل زمان الرسول

اجابهُ حسن افندي : — هنا البلاء الادهم . وبأي غطاء تغطي يا مولاي الآيات القرآنية المبينة صحة الكتاب الموجود يومئذ بيد اليهود والنصارى ؟ واين تخفيها عن عيون علماء مسلمين متنصرين ؟ فكيف عنّ لك هذا الفكر يا سيدي ؟

(عبد الحميد) — عنّ لي مما جاء في قوله تعالى في سورة المائدة (آية ٤٥) « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعهِ . الى آخر الآية » فهؤلاء المحرفون هم اهل الكتاب

(المفتي) — اليك يا سيدي عن هذه الآية فانها بعيدة عن المطلوب وان الامام الفخر الرازي بتفسير هذه الآية يبين كون هـذا التحريف المشار اليه من النبي صلى الله عليه وسلم هو انكارهم بعض ما في كتابهم لا تغييرهم اياه منه بقوله : « يحرفون الكلم من بعد مواضعهِ » أي من بعد أن وضعهُ الله واضعهُ اي فرض فروضهُ وأحلّ حلاله وحرم حرامهُ . قال المفسرون : ان رجلاً وامرأةً من اشراف خيبر زنيا وكان حدّ الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود رجمها لشرفهما فأرسلوا قوماً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن حكمه في الزانيين اذا أُحصنا وقالوا ان امركم بالجلد فاقبلوا وان امركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا . فلما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك نزل جبرائيل بالرجم فأبوا ان يأخذوا به فقال له جبرائيل عليه السلام اجعل بينك و بينهم ابن صوريا . فقال الرسول : هل تعرفون شاباً أمرد أبيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا ؟ قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجهِ الارض . فرضوا به حكماً . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابهُ وحلاله وحرامهُ هل تجدون فيه الرجم على من احصن ؟ » قال ابن صوريا نعم (اهـ) فمذهب الرازي بمراد الآية اذاً هو تحريف

اليهود بعض الكلم من الكتاب بافواههم لا بذات التوراة كما ترى ايضاً في تأويل (آية ٤٨) من سورة النساء وهي «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» لى آخر الآية اذ يقول في كيفية هذا التحريف وجوه: (احدها) انهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم اسم «ربعة» بوضعهم «طويل» مكانهُ ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الجلد بدله ونظيره قوله تعالى «فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله» فان قيل كيف يمكن هذا في الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور ؟ قلنا : لعله يقال ان القوم كانوا قليلين والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة فقدروا على هذا التحريف . (والثاني) ان المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معنى الحق الى معنى الباطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا هو الاصح . (والثالث) انهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونهُ عن امرٍ فيخبرهم ليأخذوا به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامهُ (كتاب الامام الفخر الرازي وجه ٣٣٨ و ٥٩٨)

فيتضح من ذلك ان هذا التحريف في الآيتين المذكورتين هو لفظي شفاهي لا كتابي فلا يسوغ لمسلمٍ بعدُ القول بتحريف الكتاب قبل محمد والآيات البينة على صحة سلامة الكتاب في عصر القرآن عديدة لم يتّهم القرآن اهل الكتاب بتحريفه بل يكتم ما كان لجهة النبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى في سورة البقرة (آية ١٤١) «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونهُ كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم يكتمون الحقَّ وهم يعلمون» وما جاء ايضاً في سورة آل عمران (آية ٦٤) «يا اهل الكتاب لمَ تلبسون الحقَّ بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون» فانظروا الى هاتين الآيتين لبراءة الكتاب من تهمة التغيير والتحريف . هذا ولم يتهم القرآن جميعهم بكتمان ما كان لجهته صلى الله عليه وسلم بل فريقاً منهم . فأي محل

اذاً لانقول ان الكتاب تحرّف قبل محمد ؟ وما المهرب من ذلك القول الى هذا الا كمن يهرب من العقرب الى الافعى . فخجل الشيخ المذكور واقرّ بخطإ فكره هذا ثم افترقوا كل الى حال سبيله

الفصل الحادي عشر

اما القاضي فاذ كان قد كلّ وتعب من دفاع وحجج الشيخ علي وصحبه دخل وجلس في مخدع منفرد واخذ يراجع تلك المناظرة فكان يذهل ويعجب من قوّة الادلة والبراهين التي حامى بها المذكورون عن الكتاب المقدس . فقال : يتراءى لي ان هؤلاء الرجال مصيبون وأرى من البعيد أن علماء الاسلام يستطيعون الثبات في ميدان نزال لاهل الكتاب . كيف تحارب الجنود بدون اسلحة اعداء مدججين بها ؟ وهل يغلب محارب بدون سلاح من هو شاكي السلاح بمجرد التنكيت على سيفه انهُ غير ماض او ان رمحهُ قصير وضعيف السنان ؟ فلا ارى للاسلام من الاسلحة لمقارعة اهل الكتاب سوى التنكيت والاعتراض على الكتاب بدعوى انه محرف حال كونه له من الادلة والبينات على عدم تحريفه ما يردّ بالخيبة كل تنكيت واعتراض عليه حتى كما رأينا ان بعض القضايا التي يحسبها علماؤنا دليل تحريفه فيه هي حقاً بالعكس من الدلائل على عدم تحريفه فما العمل وما الرأي (اه) . وكان قد طار نومه من جراء استغراقه في الافكار والتأمل . فبقي على هذه الحال الى ان لاح الفجر فاضطجع على فراشه ورقد حتى الساعة الثالثة من النهار ولما استيقظ من نومه رجع الى التأمل في ذلك الموضوع ثم قال في باله لا بد لي ان شاء الله من الاجتماع مرة اخرى بالشيخ علي والاخذ معه بالبحث بشأن هذا الامر الخطير . عسى ان يضحى ذلك وسيلة اقناعه وارتداده . ثم ارسل واخبر المذكور بذلك وعين الوقت الساعة الثانية ليلاً في غرفة استقبال مجلس البلدية

« ولما جاءهم رسولٌ من عندِ الله مصدّقٌ لما معهم نبذَ فريق من الذين أُوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » وفي سورة آل عمران آية ٢ « نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديهِ وأنزل التوراة والانجيل من قبلُ هدًى للناس » الى آخر الآية و « ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمننَّ بهِ وتنصرنَّهُ . . . » فترى حضرتك أن الرسول صلى الله عليهِ وسلم جاء مصدقاً لما بين يديهِ من التوراة والانجيل الذين مع اليهود والنصارى فمن أين جاز لك أن تقول بحقهِ ما قلت

وعلى الثاني أقول أنسيت حضرتك ان الرسول أتى بآيات ومعجزات عديدة من ذلك شقه القمر نصفين نصف على أبي قبيس جبل في مكة والنصف الآخر على قينقاع كما اقترح عليهِ المشركون . واحياؤهُ ابويه بعد موتهما بزمان طويل فآمنا به ثم لرجعا الى الموت وآية اخراجهِ الماء في محل يدعى المجاز واحياؤه ابن امرأة من الانصار واشباعه عدداً عديداً من طعام قليل جداً راجع السيرة النبوية صفحة ٣٧ و ٥٥ و ١٤٠ جزء أول وغير ذلك مما لا يسعني ذكره . فعجباً كيف يسعك انكار مثل هذه المعجزات التي قد شهد بها جمٌّ غفير من الثقاة الصادقين

(علي) حاشا لي يا سيدي من الافتراء على نبي المسلمين او خلافه ولكني أنطق بكلمات أستطيع بيان صدقها — نعم ورد عدة آيات في القرآن مفادها أن محمداً جاء مصدقاً لما مع اليهود والنصارى من التوراة والانجيل . وانما لدى النظر في ذلك بتدقيق وامعان يرى أن ذلك دعوى تحتاج الى الاثبات — امر لا يستطاع انكاره ان جلّ تعليم الكتاب المقدس التوراة والانجيل هو تجسد ابن الله الازلي وصلبه وموته فداء الخطاة . وقد اتضح لديكم مما كان في الجلسة السالفة عدم تحريف الكتاب وفوق ذلك أقول انهُ لمن المعلوم المحقق انهُ قبل ظهور محمد بنحو ثلاثة قرون عقد مجمع في مدينة نيقية بأمر أول سلطان مسيحي مؤلف

من جمّ غفير من أساقفة العالم المسيحي لاجل فحص عقيدة آريوس منكر أزلية الابن ومساواته للآب في الجوهر والكرامة وبعد مجادلات ومفاوضات مستطيلة حكم المجمع حسب الكتاب على ضلالة وهرطقة آريوس هذه . وحيثما وجدت نسخة في العالم من نسخ الكتاب المقدس قديمة وحديثة وفي أي لغة كانت يرى من أول وهلة أن غايتها ومفادها هي المسيح الاله والانسان معاً مماتاً في الجسد فداء البشر . وانكار الشمس في رابعة نهارها ليس بأصعب من انكار هذه الحقيقة التي هي غاية في الشهرة والبيان . وقد استوفينا الكلام على هذا الموضوع فيما سلف من البحث فلا حاجة لمراجعة الاسباب فيه . فما وجه تصديق محمد لما مع اليهود والنصارى وهو ينكر ألوهية المسيح وصلبه بالجسد غاية التوراة ومفاد الانجيل وخلاصته — ماذا تظنون حضرتكم لو سلبنا من الانجيل كل آية فيه عن المسيح كاله وكمصلوب عن البشر ماذا يبقى فيه

فحتماً يا مولاي لو صدّق محمد ما بيد اليهود والنصارى في كتابهم الالهي لكان لا محالة مسيحياً اذاً دعواه هذه دعوى بلا برهان لا تعار جانب الالتفات ممن له المام لمعرفة كلام الله في التوراة والانجيل وما لهما من البينات الجلية على سلامتهما من كل شائبة منذ بداءتهما حتى اليوم . أما تذكيركم اياي بما نسب لمحمد من الآيات والمعجزات كما في كتب الحديث والسيرة لست بناسيها غير اني أقول الحق لسيادتكم اني وأنا في حال الاسلامية وبأوج فخري وشغفي بمحمد كنت أتحاشى ذكر شيء منها امام أئمة النصارى وكنت أخجل كل الخجل عند ما أسأل عنها أو عن بعضها لتيقني عدم صحتها بناء على ما قد جاء في القرآن . والعجب كيف حضرتكم تتخذونها على محمل الصدق والقرآن في يدكم

(القاضي) — وأين ذكر في القرآن عدم اتيان الرسول بالمعجزات والآيات

(علي) — لا يؤاخذني مولاي ان قلت أتجهل حضرتكم ذلك أم تتجاهل .

فانقبض حينئذ القاضي من هذا التنكيت واحمر خجلاً فقال ليس في بالي مثل ذلك يا شيخ علي فاذكر لي ما تعني من القرآن ولك الاجر والثواب

(علي) حباً وكرامة — لا يخفى على مولاي ان الآيات القرآنية التي يتبين منها جلياً عدم اتيان نبي المسلمين بآية ما كثيرة اجتزيء بذكر ثلث منها

الاولى ما جاء في سورة الرعد آيتي ٢٧ و ٢٨ « ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليهِ آية من ربهِ قل ان الله يضل من يشآء ويهدي اليهِ من أناب — وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله » الى آخر الآية

(الثانية) في سورة العنكبوت آية ٤٩ « قالوا لولا أُنزل عليهِ آيات من ربهِ قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين »

(الثالثة) سورة بني اسرائيل آية ٦١ « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون »

ألا ان هذا الكلام يقطع بعدم اتيان محمد بآيات كموسى ويسوع المسيح وغيرهما من أنبياء الله — وأنى يسوغ المسلمين أن يصدقوا الرواة بأن نبيهم أتى بآيات ومعجزات حال كون القرآن المعتبر لديهم ككتاب الله يصرّح أن محمداً لم يرسل بالآيات ويقدم جواب اعتذار لدى المنكتين عليه بعدم اتيانه بآية ما: « قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين » فتوقف القاضي برهة عن الكلام مطرقاً عابساً — ثم قال بصوت منخفض يلزمنا الوقوف على تأويل هذه الآيات لا سيما الاخيرة في تفسير البيضاوي

(حسناً) ولكن لآية غنية عن تفسير المفسرين معناها واضح كوضوح أحرفها وليس لنا الآن الوصول حالاً الى البيضاوي غير اني ان شئت أسرد لك حرفياً كلامه بشأن هذه وفيما بعد تنظر ذلك على مهل في محله

(القاضي) — قال

(علي)—قال وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون اي ما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا تكذيب الاولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما قضت به سنتنا . وقد قضينا أن لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن (اه) (بيضاوي مجلد أول صفحة ٧٠٢) فهل من بيان أجلى من هذا على كون محمد لم يأت بالآيات كانبياء الله السالفين الا أن العلة المذكورة هنا تبين قطعاً عدم اتيانه بآية ما

فلما رأى القاضي ذلك قال نعم ذلك حجة الله لعدم ارسال الرسول بالآيات. فعليه أن يكون النبي ما أتى بالمعجزات والآيات وما روي عن آيات أتى بها هو محض كذب لا ينبغي الالتفات اليه وأشكر همتك يا شيخ علي على تنبيهك اياي. على حقيقة لا أعذر على عدم انتباهي اليها — وانما اسألك ألا ان القرآن معجزة عظيمة دائمة لسمو بلاغته وغريب فصاحته وما حوى من عجائب الآيات السماوية على نوع مدهش لم يسبق له نظير ولا يمكن الاتيان بمثله

(علي) — لا يخفى على مولاي ما المعجزة الا حادث يحدث خلاف مجرى الطبيعة وناموسها فاماتة حيّ بطريقة ما لا يعد معجزة لحدوثه وفق ناموس الطبيعة. ولكن احياء الميت بواسطة دعاء وأمر يحسب معجزة لحدوثه خلاف ناموس الطبيعة . وعليه فتأليف كتاب ما في نهاية البلاغة والفصاحة لا يعد معجزة بل من نوادر أعمال الانسان . وان حسبنا القرآن بناء على سموّ بلاغته وفصاحته معجزة يلزمنا أن نحسب كثيراً من أشعار العرب وخطبهم معجزات لما عليه من البلاغة والفصاحة كقصيدة امرىء القيس المشهورة التي مطلعها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

التي كانت ولا تزال يضرب بها المثل لشهرتها حتى يقال أشهر من قفا نبك وكقصائد المتنبي والفارض والحريري وخطب قس الفصاحة ولقمان وغيرهم . فمن هذا القبيل

يكون القرآن خارجاً عن كونهِ معجزة — بقي علينا النظر فيهِ من حيثية الحقائق الموجودة فيهِ فأقول . ان اكثر القضايا الشرعية وأجلها فيهِ مقتبسة من كتاب التوراة وجميع القصص فيـهِ ما عدا قصتي صالح وهود هي مأخوذة عن التوراة ومسبوكة بقالب الفصاحة العربية بتصرف قليل ومكرّرة فيهِ مراراً عديدة حتى ملأت صفحاتهِ كما ترى — فقصة خلق الله آدم وامره تعالى الملائكة بالسجود له حسب القرآن الى آخر الحديث مكرّرة في خمس سور وحديث نوح والطوفان مكرر عشر مرات في عشر سور وحديث ابرهيم بانذاره عبثاً قومه وتبشيره باسحق مكرر في ثماني سور وحديث لوط بانذاره عبثاً قومهُ وهلاك سدوم مكرر في تسع سور وقصة يوسف سورة برمتها وحديث موسى بارساله من لدنهِ تعالى الى فرعون لاخراج بني اسرائيل من مصر مكرر في اثنتي عشرة سورة — فاذا نسخنا من القرآن كلما هو مقتبس من التوراة ومأخوذ عنها من الشرائع والسيرة لا يبقى فيهِ كما لا يخفى على نباهتكم الا ما لا يستحق الذكر فبأي نوع اذاً هو معجزة وما دليل ذلك

(قاضي) اذاً ربما كان زعمك هذا ياشيخ أن القرآن من غرائب الاعمال ونوادر التآليف لكنهُ ليس بمعجزة قرين الصواب غير ان اتيان رجل أمي بهِ يرى من باب المعجزة كما لا يخفى على فطانتكم

(علي) — على فرض أن محمداً أتى بأجمعهِ لا يدخل ذلك ضمن دائرة المعجزة كما لا يخفى بل لا يزال في دائرة امكانية القوى العقلية طالما يرى انهُ مجموع ومؤلف من شرائع وأحاديث قديمة مدوّن اكثرها في كتابهِ تعالى — هذا وان الوحي بالتوراة والانجيل مع كونهِ فعلاً الهياً لا يقال عنهُ معجزة بل وحياً اقتضى وقوع المعجزات لاثبات كونهُ وحي الله — ولكن حضرتكم وأنا وكل من له المام في مسئلة القرآن يعرف كيف ومن أين جمعت سوّره وآياته والطرق التي اتخذت لاثبات تلك الآيات بوجه شرعي كون محمد نطق بها — وهذا لا غرو بوقع الريب

بأن محمداً أتى بكل القرآن

(قاضي) — نعم صحيح ما أشرتم اليه بخصوص الكيفية التي بها جمع القرآن غير انهُ يدل على سمو التقوى وفضل قائله — ألا ترى ذلك

(علي) — لا ريب أن محمداً كان من أول طبقة في العقل والذكاء وهنا أرجو مولاي ان حسن لديكم فلنرجع قليلاً الى مسئلة تصديق محمد لما بين يديه من التوراة والانجيل فما هو يا سيدي وجه تصديقه لكتاب الله هذا

(قاضي) — ان وجه تصديقه للتوراة والانجيل هو تصديقه ما جاء فيهما من قصة خلق الله آدم وحواء وعصيانهما وطردهما من الجنة وقتل قايين أخاه وجميع القصص التي ذكرتها جنابك وحديث مريم وزكريا واعتبار الختان والوضوء وغير ذلك من الاوامر والنواهي كما لا يخفى

(علي) — نعم ان محمداً صدق الكتاب في جل هذه الاحاديث وأهمل أو بالحري انكر ما هو أهم وأولى بالتصديق

(قاضي) — وما هو

(علي) — قد تقدم بيان بعض ذلك لجنابكم ولاستيفاء الفائدة أقول ان محمداً صدق التوراة في مسئلة اغواء أبوينا الاولين وطردهما من الجنة متكلماً عنهما بغاية الايجاز وبترك بعض اجزائها الجوهرية (انظر سورة البقرة والاعراف) وأهمل مسئلة طريقة العفو عنهما وعن الخطاة من نسلهما وارجاعهم الى حال البرارة والقداسة وادخالهم بعد ارتحالهم من الدنيا فردوساً أسمى وأمجد خالدين فيه المسئلة المشحون كتاب الله بالتكلم عنها والايماء اليها بطارق وأنواع شتى لا سيما في الانجيل كما قد سلف بيانهُ — وذكر محمد قصة ابراهيم وتبشير الملائكة اياه بغلام حليم وتقديمه ابنهُ لله وافتداء الله اياه بذبح عظيم (أي كبش عظيم) وأهمل منها ما هو اكثر أهمية وهو وعد الرحمن لابراهيم أن بنسله تتبارك جميع قبائل الارض ومن المؤكد انهُ

سبحانهُ أراد بذلك اسحق

(قاضي) — وما دليل ذلك

(علي) — ان لذلك ثلاثة أدلة الدليل الاول ان اعطاء الله هذا الوعد الثمين لابراهيم كان غب تقديمه ابنه اسحق اطاعة لامره تعالى (انظر تك ص ٢٢) ويؤيد ذلك الدليل الثاني وهو قوله تعالى لابراهيم عند ما همت سارة امرأتهُ بطرد هاجر وابنها اسماعيل « في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لانهُ باسحق يدعى لك نسل » (تك ٢١ : ٢٢) الدليل الثالث هو تكرار هذا الوعد لاسحق ويعقوب ابنه (انظر تك ٢٦ : ٤ و ٢٨ : ١٤) اذ يقول الله تعالى لاسحق بعد موت أبيه « واكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الارض » وليعقوب لما كان هارباً من وجه أخيهِ عيسو « ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض » ألا ترون سيادتكم اذاً أن وعد الله لابراهيم أن بنسله تتبارك جميع أمم الارض يريد بهِ نسل اسحاق ويعقوب

(قاضي) — بلى بناء على تكرار ذلك لاسحق ويعقوب وعلى الآية المذكورة في الدليل الثاني

(علي) — بناء عليه اذا تباركت قبائل العرب انما تتبارك بنسل اسحق ويعقوب أي بالمسيح ابن الله وابن مريم الذي جاء من ذرية يعقوب حسب وعده تعالى لا بنسل اسماعيل الذي ما له شيء من هذا الوعد المقدس

(قاضي) — قد غاليت في الكلام وتطرفت جداً يا شيخ علي حتى جردت أبينا اسمعيل من كل بركة واذا كان اسمعيل عليهِ السلام قد طُرد وأمهُ من بيت أبيهِ كما تقول التوراة ورُبي معتزلاً غريباً كيف نمى كل هذا النمو وخرج من صلبهِ أعظم قبائل العرب وامراؤها بدون بركة الله عليهِ

(علي) — لم أقل ان الله سبحانهُ ما بارك اسمعيل قط نعم وعد الله ابراهيم وهاجر بأنهُ تكثيراً يكثر نسل اسمعيل ويجعله أمة عظيمة لكن البركة العظمى والوعد المقدس كان لاسحق ويعقوب كما ترون . ولندع الآن التوراة جانباً ولنلتفت الى ما جاء في القرآن بهذا الصدد فترى في سورة العنكبوت (آية ٢٦) قولاً جميلاً بهذا الخصوص وهو (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته الكتاب » الى آخر الآية فأرجوكم سيدي أجل النظر في هذه الآية الجوهرية . لماذا لم يذكر بها اسمعيل مع كونهِ بكر ابراهيم بل أهمل منها كأنهُ لم يكن محسوباً الابن والحفيد . ذُكر فقط هبةً له من الله ما السر في ذلك ، على كلٍّ ان هذه الآية ترفع قدر اسحق ويعقوب على اسمعيل وتبين لنا جلياً أن ذريتهما لا ذرية اسمعيل هي ذرية ابراهيم التي جعل الله فيها النبوة والكتاب

(قاضي) — لا صحة لدعوى بدون دليل وقوله تعالى في الآية (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) لا يحصر ذلك في نسل اسحق ويعقوب بل ممكن أن يعم نسل غيرهما من بني ابراهيم فحصر ذلك في ذرية بعضهم دون بعض يحتاج الى دليل فما دليل ذلك

(علي) — ألا تكتفون يا مولاي بالدليل الذي أقمتهُ من التوراة كما قد رأيت

(قاضي) — ان دليل التوراة لما في التوراة وجنابك وضعت التوراة وعمدت الى القرآن لتبين منهُ ما يوافق نص التوراة بشأن ما نحن بصدده وعليه أرى يحق لي أن أطلب منكم الدليل على ما قد ادعيتموه من القرآن

(علي) — عليَّ بذلك فانظر سيدي ما جاء في سورة الجاثية آية ١٥ « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » ألا ان ذلك دليل راهن على أن القول بلسانهِ تعالى عن ابراهيم « وجعلنا في ذريتهِ النبوّة والكتاب » يراد بتلك الذرية بني اسرائيل نسل اسحق ويعقوب

والا ينطبق ذلك الانطباق على قوله تعالى في التوراة لكل من ابراهيم واسحق ويعقوب « وبنسلك تتبارك جميع أمم الارض » . عند ذلك توقف القاضي عن الكلام ربع ساعة ثم رفع رأسه وقال ونعم الدليل يا شيخ والآن قد أطلنا الوقت فيكفي الليلة ما جرى بيننا دعنا ننصرف ثم ان عشنا نجتمع الليلة التالية لتتمة البحث والمناظرة — أجاب الامر اليكم سيدي غير اني أرجوكم أن حسن لديكم اسمحوا لي أن أقول شيئاً كآخر كلام لي مع حضرتكم ثم ننصرف لانهُ ربما ما سمحت الظروف أن نجتمع أيضاً كهذا الاجتماع الحلو الذي بهِ قد أوليتموني فضلاً جزيلاً — احتملتموني بطول الاناة واخلاص المحبة

(قاضي) — قل ما بدالك يا صديقي العزيز

(علي) — أرى حضرتكم اعتبرتم حق الاعتبار الادلة التي أقمتها لديكم من التوراة والقرآن على أن الله عزّ شأنه جعل البركة لكل الامم بنسل اسحق ويعقوب — النسل الذي جعل فيهِ النبوة والكتاب وعليهِ لا يسوغ لنا أن ننتظر البركة الا بالمسيح النسل المبارك الشخص العجيب الكامل الذي يفوق الانبياء والمرسلين كافة بما لا يقاس من كل وجه كما تبرهن ذلك لحضرتكم في جلسة أمس . وما دام الله يقول « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والنبوة » ولدى التدقيق يرى أن الانبياء والمرسلين كافة الذين قالوا وكتبوا التوراة والانجيل هم من بني اسرائيل وفقاً لقوله تعالى . فمن أين اذاً يحق لنا أن نطالب الارشاد والهدى الى معرفة حق الله وقصده الصالح من جهتنا معشر البشر الا من هذا الكتاب الالهي الذي يقال عنهُ في القرآن « انهُ نورٌ وهدًى وموعظةٌ للمتقين » سورة المائدة آية ٤٧ و ٤٨ . انه « تماماً على التي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة » سورة الانعام آية ١٥٣ . وأي حاجة لخلافهِ ما دام كافياً وافياً كيف لا وهو كتاب الله كتابٌ يعلن سر المسيح العجيب ويحل لنا المشكل العظيم الذي يراه كل مسلم لبيب لدى اطلاعهِ

جيداً على وصفه ونسبهِ في القرآن — فأتوسل الى سيدي أن لا تنسوا هذه الحقائق العظمى ولا تلقوها الى الوراء فان بها الخير والحياة و بدونها فلا

(قاضي) — اني ممتن لك يا صديقي وأعدك اني سأتروى هذه القضايا وأرجو أن لا مانع يمنعنا من الاجتماع الليلة التالية ان شاء الله ثم قاما وانصرفا — أما القاضي فعقب وصوله الى منزله انفرد في مخدعه وأخذ بيده القرآن وفتح الآيتين المتقدم ذكرهما وقرأ الاولى « ووهبنا له اسحق ويعقوب الخ » ووضع أصبعه على الآية و بدأ يكررها بحيرة وغيظ . . . ووهبنا له اسحق ويعقوب . . . اسحق ويعقوب . . . اسحق ويعقوب . . . حسناً أين اسمعيل اذاً — أخرج عن كونه ابناً لابراهيم . التوراة والقرآن يعلنان انهُ ابنه بكره لماذا اذاً أخرجهُ الله من نوع الهبة لابراهيم مخصصاً بذلك اسحق وابنه يعقوب . هل ذلك بدون معنى ولا قصد . لا لعمري الامر الطبيعي أن يقال ووهبنا له اسمعيل واسحق ومديان وشوحا الى آخر أولاد ابراهيم أو بالاقل اسمعيل واسحق . فما علة العدول عما هو طبيعي من هذا القبيل الى ما ليس بطبيعي اذ يعدل من ذكر الاقرب الى الابعد اي من الابن الى ابن الابن . أليست هذه هي الموافقة والمصادقة لنص التوراة انهُ باسحق يدعى لك نسل لا باسمعيل . فأنى لنا المهرب من هذه الحجة الدامغة المعلنة لنا في كتابنا الداكة الى الحضيض افتخارنا وعجبنا في اسمعيل ونسله

ثم نقل أصبعهُ الى السطر الثاني من الآية « وجعلنا في ذريتهِ النبوّة والكتاب » . . . النبوة والكتاب . . . حسناً في أيّ ذرية من نسل بنيه ؟ أفي الكل أم في البعض ؟ ما ذا تقول أيها المصحف الشريف ؟ أقول عن فمهِ تعالى « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة » — هذا فصل الخطاب . ان الكتاب والنبوة آتاهما الله ذرية ابني الموعد اسحق ويعقوب لا اسمعيل ولا غيره من اولاد ابرهيم — وهل بهذا الكتاب الكفاية للهدى والرشاد أيها المصحف الشريف ؟ نعم

هو نور وهدى وموعظة للمتقين تماماً وتفصيلاً لكل شيء (اه) . اذاً ما حاجتنا اليك الا لتؤدي لنا هذه الشهادة ؟ حسناً . ثم أخذ يناجي نفسه : ما ذا يا احمد ؟ انتبه الى نفسك ان كان هكذا اسحق ويعقوب ابني الموعد دون اخوتهما وان كان الكتاب الكافي الوافي التام أوتي ذريتهما لا ذرية غيرهما وان بنسلها حسب التوراة تتبارك جميع أمم الارض لا بنسل اسمعيل ولا بنسل مديان ولا بنسل أحد على الارض دونهما فكيف يحق لنا أن ندّعي بكتاب اجنبي ونؤمن بنبي ليس من بني اسرائيل ؟ ما أقوى حجج المسيحيين وما أوهى حجتنا ! أأستعفي من مناظرة الشيخ علي ؟ ولكنني قد وعدتهُ بالاجتماع الليلة التالية فلا يليق بي النكث بوعدي . ثم سكت برهةً طويلةً ثم قال : ألم تقل التوراة عن لسان الكليم موسى « ان نبياً مثلي سيقيم لك الرب الهك من اخوتك له تسمعون » فيظهر من هذه الآية ان هذا النبي ليس هو من بني اسرائيل لان الخطاب لعموم الشعب بصيغة الفرد فلا بد اذاً ان هذا النبي المراد بالآية من قبيلة أخرى وبما انهُ لم يظهر نبي من اقارب بني اسرائيل الا من ذرية اسمعيل أخي جدهم اسحق فيكون الارجح بهذه الآية هو محمد . حسناً ولكن كيف يدحض هذا النبي حقائق كلية من كتاب الله ويصد قومهُ عن درس ذلك الكتاب والتدين بحسبه وهو يشهد بكفايتهِ للهدى والرشاد كما لا يخفى . فالمسألة متناقضة : غير اني سأمسك الشيخ علي بهذه الآية وأرى ان كان يمكنه التخلص منها . ثم قام واضطجع

ولما كانت الليلة التالية حضر الى محل المناظرة ودعا الشيخ علي فحضر وبعد أن جلسا قال القاضي : قد أتممت وعدي لك بأني تروّيت جيداً في القضايا التي كان عليها مدار حديثنا ليلة أمس غير اني في اثناء ذلك خطر على بالي ما قاله الكليم موسى في التوراة لشعب اسرائيل وهو « يقيم لك الرب الهك نبياً من اخوتك مثلي له تسمعون » الى ان يقول عن فمهِ تعالى « أقيم لهم نبياً من اخوتهم مثلك وأجعل

كلامي في فمهِ فيكلمهم بكل ما أوصيهِ به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي فأنا أطالبهُ » (تث ١٨ : ١٥ و١٨ و١٩) فلا غرو ان هذا الانباء هو عن نبينا صلى الله عليه وسلم

(علي) — ان الدعوى تفتقر الى الدليل . فما الدليل على ان انباء موسى هذا هو عن محمد العربي

(قاضي) — الدليل قائم من نفس الانباء وذلك أولاً : انهُ قال نبياً من اخوتك وهذا لا يصح قط أن يكون عن نبي من بني اسرائيل لكون المخاطب هو الشعب اسرائيل بصيغة المفرد فيدخل تحت هذه الصيغة عموم بني اسرائيل وعليه يكون النبي المنبأ عنه في هذه الجملة من اخوة اسرائيل لا منهم ، وثانياً انه يكون كموسى متولياً أمر أمتهِ مشترعاً ذا بطش ونقمة من الكفار اذ قال « نبياً مثلي » وهذا محال انطباقهُ على المسيح الذي كان نبياً وديعاً مهاناً كما يصف الانجيل . وبما انه لم يقم نبي من اخوة بني اسرائيل سوى محمد القرشي الاسمعيلي المتشح بالصفات المذكورة فيكون طبعاً هو المراد بذلك الانباء

(علي) — ان دليل حضرتكم هذا هو كنفس الذي ذكره صاحب السيرة النبوية (جزء أول صفحة ٨٧) ونعم الدليل لو ثبت . — ان الانباء عن هذا النبي موجود في الاصل العبراني عند الاسرائيليين كما في الترجمة العربية عنه الكائنة هنا معي فان حسن ننظر ذلك في محله ونرى هل مفاد الآية هو كما يزعم أئمة الاسلام؟ حسناً . افتح التوراة . ففتحها وقرأ الآية : « يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون » فانظر مولاي الفرق العظيم فان الآية تبين كون ذلك النبي من بني اسرائيل لا من غيرهم بكلمة « من وسطك من اخوتك » أليس الامر هكذا يا مولاي ؟

(قاضي) — اذا كانت كلمة « من وسطك » موجودة في الاصل العبراني

كما قلت فيكون هذا النبي المنبأ عنه بدون ريب من بني اسرائيل

(علي) — لا شك بكونها موجودة تماماً كما في هذه النسخة وعليك بالسؤال وما يزيد الحقيقة وضوحاً هو ما جاء في الاصحاح الذي قبل هذا (تث ١٧ : ١٤ الخ) « متى أتيت الى الارض . . . فان قلت اجعل عليّ ملكاً . . . فانك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب الهك . من وسط اخوتك تجعل عليك ملكاً . لا يحل لك ان تجعل عليك رجلاً اجنبياً ليس هو أخاك . . . . وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة . . . لكي يطيل الايام على مملكته هو وبنوه في وسط اسرائيل » . فماذا ترون سيدي ؟ هل كلمة اخوتك وأخاك في هذه الجملة تفيد ما هو خارج عن بني اسرائيل ؟

(قاضي) — كلا فان الامر واضح من قرائن الكلام ان المراد بها من وسطهم منهم وان ملكهم يكون لا بد منهم اسرائيلياً لا اجنبياً ونعلم ان الله سبحانه لما ابتغى بنو اسرائيل ملكاً اختار لهم ملكاً شاؤل ثم داود وسليمان

(علي) — ألا ترون مولاي ان جملة من وسط اخوتك تجعل عليك ملكاً بمعزل عن قرائنها وعن واقعة الحال هي من حيثية الفكر الاسلامي بالنبي المراد بانباء موسى اقرب من جملة من وسطك من اخوتك للزعم أن المراد بذلك الملك هو من اخوة يعقوب لا من ذريته لان جملة « من وسطك » لا تدع محلاً للفكر بأن ذلك النبي ليس هو منهم بخلاف جملة من وسط اخوتك التي بالنظر اليها مجردة يظهر أن الملك المراد به اجنبي عن اسرائيل كما تقدم . فيتضح لكم مولاي ان هذا النبي هو اسرائيلي لا اسمعيلي ولا مدياني وبالتالي ليس هو محمد العربي الاسمعيلي . ومعشر المسيحيين يعتقدون ان النبي المراد بذلك الانباء هو المسيح ابن مريم لا ريب ولا يسعني ان اذكر أوجه الشبه بينهُ وبين موسى الكليم الا على غاية الايجاز

(اولاً) ان موسى كان كليم الله والمسيح كلمة الله وهو بذلك ارفع واسمى بما

لا يقاس وقد اعلن بالانجيل سر الله الازلي الذي لم يبلغ اليه موسى

(ثانياً) ان موسى كان وسيط العهد القديم عهد الطاعة بين الله و بني اسرائيل والمسيح وسيط العهد الجديد عهد النعمة والرحمة والغفران بين الله والناس

(ثالثاً) ان موسى كان قائد بني اسرائيل في برية سينا . والمسيح قائد أمته المؤمنين به في تيه هذا العالم

(رابعاً) ان موسى اخرج بني اسرائيل من مصر وحررهم من عبودية فرعون ، والمسيح حرر المؤمنين بهِ من عبودية ابليس الرجيم واخرجهم من مصر شقاء الخطية الى طريق الحياة والراحة والسلام الداخلي

(خامساً) ان موسى حارب اعداء الله وشعبه . والمسيح سوف يأتي حسب النبوات ويخضع كل شيء تحت قدميه ويهلك الى الابد أعداءه وأعداء مختاريه .

(قاضي) — ان وجه الشبه الذي اتيت به جنابك ما خلا القضيتين الاوليتين هو محض روحي حال كون امر موسى وصفاته المسطرة في التوراة هي حسية ظاهرة

(علي) — لا يخفى أن مشابهة ذلك النبي لموسى لا تقتضي مماثلةً له في كل شيء محسوس بل من حيثية اقامته كنبي ووسيط ومعلم وقائد وأمين . ولا يخفى عليكم البون العظيم بين موسى ومحمد من حيثية أجل الامور وأهمها

(قاضي) — وما ذلك

(علي) — ان موسى اشتهر جداً بالايات والمعجزات التي اجراها الله بيده في مصر والبرية ومحمد لم يفعل آية واحدة كما قد رأيتم — موسى حرر الاسرائيليين من عبودية فرعون لا بسيف ولا برمح بل بمجرد قوة الله — موسى أقات الاسرائيليين بخبز من السماء أربعين سنة — فما يشبه محمد موسى من هذا القبيل — ثم ما دام الله سبحانه حصر الكتاب والنبوة في بني اسرائيل كما يرى جلياً من التوراة والانجيل وكما يصرح القرآن فأنى يحق لنا أن ننتظر نبياً خارجاً عنهم . واذا

كان الله حصر البركة لامم الارض فيهم كما قد رأيت فانيَّ يحق لنا أن نرجوها من دونهم ألا يكون ذلك والعياذ بالله مغالطة لكلمة الباري تعالى — هذا عدا ما هو واضح كل الوضوح من نفس انباء موسى عن ذلك النبي بأنهُ من ذات بني اسرائيل كما قد رأيتم وبما ان لا نبي أتى من بعد موسى من بني اسرائيل يماثله (بل يفوقه) في عمل الآيات والمعجزات واعلان أسرار العلي مع باقي الصفات المتقدم ذكرها كالمسيح ابن مريم الذي أنبأت عنهُ بعد موسى جميع انبياء الله بوضوح وبيان لا مزيد عليهما كما قد رأيتم وترون فيكون لا جرم هو ولا سواه النبي المراد بذاك الانباء . وعليهِ فلا مندوحة لك عن احد امرين — اما أن تسلم بأن محمداً غير مقصود البتة في أنباء موسى هذا واما أن تغالط موسى والقرآن

(قاضي) حسناً ما قد أتيت بهِ — غير اني اسألك أما تنبئ التوراة عن مجيء محمد العربي بعد عيسى المسيح رسولاً من الله الى الناس كافة ؟

(علي) ما كنت افكر يا مولاي أن حضرتكم تعتقدون أن التوراة تشهد لمحمد أو تنبئ عن مجيئه كنبيّ ومرسل من الله لهداية خلقه

(قاضي) — كيف لا وقد روي في كتاب السيرة النبوية عن بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك انهُ قد جاء ان اسمهُ في التوراة احمد يحمده أهل السماء والارض وأن الله تعالى قال في التوراة انهُ باعثهُ من ولد اسمعيل نبياً اسمه أحمد من آمن بهِ فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن بهِ فهو ملعون . . . واسمه في التوراة أيضاً « حياطا » أي يحمي الحرم و« قدومياً » أي الاول السابق. . .و« طاب طاب » أي طيّب وفيها ايضاً ومحمد حبيب الرحمن ومحمد ابن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابه وملكه بالشام وفي الانجيل اسمهُ « المنحمنا » ومعناه بالسريانية محمد وفي الزبور « حاط حاط والفلاح » الذي يمحق الله بهِ الباطل « والفارق » أي يفرق بين الحق والباطل وانهُ صلى الله عليهِ وسلم قال لعمر بن الخطاب أتدري من أنا - .

أنا اسمي في التوراة « أحيد » وفي الانجيل « البارقليط » وفي الزبور « حماط » وفي صحف ابراهيم « طاب طاب » ولا فخر . وجاء في الزبور اني أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولي — وفي الزبور أيضاً يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمهُ أحمد ومحمد لا أغضب عليهِ أبداً ولا يعصيني أبداً وقد غفرت له ما تقدم من ذنبهِ وما تأخر . (كتاب السيرة النبوية للامام أحمد زيني المكاوي جزء أول صفحة ٨٦ و ٨٨)

(علي) — كيف ترى مولاي أصادقة هذه الروايات عن محمد والصحابة ؟

(قاضي) — ان كانت هذه غير صادقة فأي حديث صادق ؟

(علي) — أسأل حضرتكم أن تعفيني ان شئتم من الجواب

(قاضي) — كلا أرجوكم أن تتكلم بكل حرية أرأيتم مني ما يزعج خاطركم

(علي) — اذاً لا تؤاخذوني حضرتكم فيما أقول أن لا صحة لدعوى وجود هذه الاقوال في التوراة والزبور واني لمتعجب كل العجب كيف ادعى محمد هذه الدعوى ان كان ادعاها أو كيف روى عن كتاب الله روايات لا أصل لها فيه — ان اسم محمد ومكة وطاب لا يعرف قط في كتاب الله فما التوراة عبرانية ويونانية وسريانية ولاتينية وعربية لا تجد فيها شيئاً مما روي بخصوص محمد — أين يقال في الزبور عن فم تعالى محمد رسولي ولداود سيأتي من بعدك نبي اسمهُ أحمد ومحمد الى آخر القول ؟ — أين جاء في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبياً اسمهُ أحمد ؟ . .

والانجيل أيضاً لا شيء فيهِ مما قيل سوى كلمة « بارقليط » وقط لم يعنِ المسيح بها شخصاً بشرياً بل الروح القدس الذي وعد بهِ رسله أن يرسله لهم بعد صعوده عنهم ليحلّ في قلوبهم ويعلّمهم قوة وليذكّرهم بكل سمعوه من سيدهم ويؤيدهم بالآيات والمعجزات برهاناً لصحة الانجيل الذي يكرزون بهِ وختماً لصحة دعواهم انهم مرسلون من الله لارشاد الناس وهداهم — فالادعاء يا مولاي سهل ولكن الاثبات عسر — والقول أن التوراة والانجيل تحرّفا لا يجدي قائله نفعاً . ثم أرى

أن حضرتك قد نسيت أو تناسيت ما روي من أن محمداً قال لعمر قبل الجملة التي ذكرناها وهي — أتدري من أنا يا عمر — أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود — فهذه يا مولانا دعوى — أليس القرآن يقول عن فمهِ تعالى انهُ آتى موسى الكتاب وعيسى الانجيل وانهُ أيد عيسى بالروح القدس فعليهِ يكون الروح القدس لقن المسيح الانجيل لا محمد واذا كانت هذه الدعوى لا تقبل عند أهل التعقل والدراية فأظن انها ليست من محمد بل مختلقة من رواة أرادوا بها رفع شأن محمد

(قاضي) — ألهذا الحد يا شيخ علي ؟ أتكذّب الرسول والصحابة ؟ (قال هذا بصوت رائق واطئ اختشاء أن يسمع ذلك أحد من الخارج)

(علي) — كنت طلبت الاستعفاء من المجاوبة محاشاة مس حاساتكم فلم تعفني وليس غرضي فيما قلت الا بيان الحق فهل ذلك يغيظكم — سامحوني

(قاضي) — كلا لست مغتاظاً البتة من جنابكم انكم ما فهتم بشيء الا في محله وهذا حق المناظرة ولو أرى منكم ما يدل على مراعاة الخاطر من الاطراء والتمليق لما كنت أسرّ بالدخول معكم في هذا الباب . وانما رمت الجولان معكم قليلاً في هذا الميدان لعلي أفوز باقناعكم ولكن ذهب أملي أدراج الرياح

(علي) — أنت تعلم يا مولاي اني كنت من أشد الناس غيرة على الاسلام ومن أوفرهم تعبداً واجهدهم على الدرس والمطالعة لكنني كما اؤكد لحضرتكم ورب السرائر يعلم اني ما كنت استطيع ان اقتنع بصحة مثل هذه الروايات ما لم اتأكدها في التوراة والانجيل . وكنت أحزن واغتم كثيراً لما لم أجد فيهما أثراً لها وحينما كنت ارى بعض علمائنا وعامتنا يتحدثون بها وبروايات المعجزات بفخر وعجب كنت اضحك آسفاً . وكثيراً ما كنت اذهب بسببها الى الريب بنبوة محمد وارساليته فكنت من جراء ذلك في جهاد شديد اضطرني الى معاشرة علماء عديدين يهود

ومسيحيين وبقيت على هذا الحال الى ان كشف الله عن بصيرتي واراني الصراط القويم في كتابهِ الثمين

اما القاضي فبهت ولم يفه ببنت شفة وبعد نحو ثلث ساعة وقف وقال سبحان الله قد اطلنا الحديث يا صاح . اكتفينا . اجزل الله ثوابكم واحسن معادكم . فدعنا الآن ننصرف وان سمح الله وفسح في الاجل فسنعود الى مثل هذه المعاشرات الطيبة ثم نهض الشيخ علي وصافح بعضهما بعضاً وانصرف كل الى مكانه

وكان القاضي في اثناء الطريق يحدث نفسه هكذا — كل كلام الشيخ علي في محله نعم القرآن ينفي ان الرسول اتى بالآيات كما اوّل آياتهُ في هذا الباب اشهر أئمة الاسلام.فكيف روي عن ألسنة ثقات انه أتى بآيات ومعجزات كشق القمر واحياء الموتى الى غير ذلك . لعمري ان ذلك عديم الصحة فكيف تجرأ الرواة أن يرووا ما لا شبه صحة له — هل راموا تقليده بعيسى — ان ذا لضلال مبين وأين الشهادات للرسول والنبي الاسمعيلي المكي في التوراة والانجيل كما يزعم المحدثون . لا حول ولا قوة الا بالله

أما الشيخ علي فانصرف طيّب القلب مسروراً وهو يحمد الله ويشكره ولما دخل على رفاقه وأخبرهم ما كان بينه وبين القاضي فرحوا فرحاً عظيماً وحمدوا الله وسألوه البركة والهدى للموما اليه

الفصل الثاني عشر

وفي غد ذلك اليوم زار القاضي المفتي وقال له : بلغني ان حضرتك اجتمعت بالشيخ علي عمر ليلة امس وما قبلها فعسى أن تكون النتيجة حسنةً . فقص عليه ملخص ما جرى بينه وبين المذكور فبهت المفتي برهة ثم قال : اني طالعت التوراة مراراً بكل تدقيق لعلي أجد فيها شيئاً مما ذكر فلم أجد . فقلت ربما النصارى قد

حذفوا عمداً مثل هذه الشهادات من ترجمتهم فقصدت الحاخام رأو بين المشهور بالصدق والامانة وسألته عن ذلك فأكد لي بقسم عظيم أن لا شيء من ذلك في توراتهم ولا يخفى عليكم ما كان عليه المرحوم الشيخ عباس اسمعيل احمد من فرط الغرام بالحديث والروايات عن اقوال الرسول واعماله ولفرط غيرتهِ على اشهار الدين وامتداده درس العبرانية جيداً على الحاخام بنيامين شمعون آملاً ان يرى بنفسهِ في الاصل العبراني ما روي وذكر ولما اطلع على التوراة في اللغة التي أنزلت فيها ولم يجد شيئاً من ذلك زهد كل الزهد في الاسلامية حتى لم يبق معه منها الا الرسم الخارجي . ولما سألتهُ مرةً كيف رأيت يا شيخي الشهادات في التوراة عن النبي ضحك ثم تأوه وقال : تلك الاقاويل اسم بلا مسمى لا وجود لها البتة ولا رسم في توراة الله . فاذا كان محمد قد ادّعى هذه الدعوى حقيقة فيرجح ان ذلك دخل عليهِ بالغش من بعض منافقي يهود المدينة الذين اسلموا حباً بالارباح والغنائم فصدقهم النبي . واذا كان محمد لم يقل هكذا بل رواه عنـهُ بعض الصحابة بغية تشييد الدين وازدياد الغرام بالنبي فذلك مما يوقع الريب في كل حديث عنهُ حتى في نفس القرآن الذي جمع على شهادات الناس وذممهم وهنا الطامة الكبرى

(قاضي) — عجباً يا مفتي افندي ! أيُغشّ النبي هكذا من يهود المدينة ؟ أين النبوة اذاً ؟ واذا كان ممكناً أن يُغش في مثل هذه الامور فقد يمكن وقوع الغش عليه في أمور أخرى وعليه يكون من الخطر الاعتماد على القرآن الذي يُرى منافياً كل المنافاة للتوراة والانجيل بخصوص شخصية المسيح وموته

(المفتي) — الله اعلم بحقيقة المصدر . ألا تعلم يا سيدي ان الريب بصحة الدين الاسلامي قد خامر قلوب كثيرين من علمائنا ؟

(القاضي) — ما الطريقة اذاً ؟ أنشأ كلهم بالرياء والنفاق ؟ أم نطمع بايجاد سبيل لتوطيد الايقان بصحة النبوة والرسالة ؟

(المفتي) — دعنا الآن نطوي الحديث الى أن نحصل على وقت موافق لنشره — ثم استأذن وانصرف تاركاً القاضي يتقلب على بساط الحيرة واليأس .

ثم في غد ذلك اليوم دعا الوالي القاضي والمفتي مع بعض أرباب المجلس وتشاوروا معاً بخصوص المكان الذي ينبغي تعيينه دار منفى لاولئك المتنصرين فقال بعضهم ينبغي نفيهم الى رودس وآخرون الى ارمينيا وغيرهم الى كريت—وأما القاضي الذي كان من عادته ان لا يتكلم الا بعد ان يفرغ الحاضرون من الكلام قال له الوالي مالك لم تعطِ رأياً يا قاضي افندي ؟ — أجاب اري ان حسن لدى دولتكم ان يبعدوا الى احدى قرى لبنان وهو حكومة خارجة عن الولاية . قال الوالي ولكنهُ مكان قريب من البلدة ولا يعتبر ذلك كمنفى لابناء برّ الشام . ثم التفت الى رئيس الجزاء وقال ماذا تفتكر يا حسن افندي ؟ اجاب : ان محلاً كهذا قلما يفرق عن بقائهم في بيوتهم — ثم سأل المفتي عن رأيهِ في ذلك فقال نعم هو محل قريب ولكنهُ يعتبر على كل حال منفى وتعلمون دولتكم ان منطوق الامر السامي لا يجيز قصاصهم بل ابعادهم عن المدينة والولاية حسماً للقلاقل والفتن التي يخشى حدوثها اذا بقوا في البلدة . وقرب مكان ابعادهم فيه توفير على الحكومة وعلى كل فنظر دولتكم أوسع فقاوم هذا الرأي مدعي العموم قائلاً لا أرى الا ان حضرة قاضي افندي ومفتي افندي مغرضان جداً مع المتنصرين -- نظر افندينا في محله ان لبنان لا يعتبر منفى للمجرمين . اجاب رئيس مجلس التمييز لا جرم ان حضرة مدعي العموم اهان حضرة قاضي افندي ومفتي افندي بنسبته الغرض لهما نعم انهما على جانب عظيم من رقة القلب وحب السلام ولكن في العجلة الزلل . ألا يعلم حضرته ان بعض هؤلاء الرجال في سن الشيخوخة والهرم فيخشى ان يؤثر في أجسامهم النحيفة طول المسافة ومشقة السفر على غير عادة لا سيما في هذا الفصل الحار فيموت بعضهم راء ذلك فتتهم الحكومة باماتتهم ؟ — فحينئذ سكت الجميع واخيراً استصوب

الوالي رأي القاضي وعوّل عليه . ثم التفت وقال حسناً ما ارتأيت يا قاضي افندي (فأبدى حينئذ القاضي علامة الشكر والامتنان) ولكن أي مكان في لبنان ترى يكون اكثر مناسبة ؟ — فقال : ان دير القمر يكون أنسب لذلك لكونه أبعد مكان عن حاضرة الولاية . وبعد التأمل في هذا الامر قرّ الرأي على ابعادهم الى المكان المذكور ليلة رابع عشر الشهر بعد نصف الليل وحرّض الوالي الحاضرين على كتمان الامر الى ان يشاء دولته

فلما كان اليوم الثالث عشر من الشهر فهم أولئك الرجال ما جرى من القرار بابعادهم قريباً ولكنهم لم يعرفوا في أي يوم والى أي مكان فظهر على بعضهم ضعف العزم وانكسار القلب غير ان اكثرهم كانت تلوح على وجوههم لوائح الشجاعة وعدم المبالاة فعزّى بعضهم بعضاً وتقووا لا سيما بعد أن حماهم القاضي على الطمأنينة بقرب محل ابعادهم وبحسن المعاملة في سفرهم . ولما كانت الليلة الرابعة عشرة من صفر بعد نصف الليل بنحو ساعتين أخرجوا على حين غفلة من سجنهم واركبوا للحال على دواب معدة لهم وسار معهم خمسون عسكرياً من العسكر النظامي وخمسون فارساً من الجاندرمه فتأوّه حينئذ هؤلاء المساكين وبكوا بمرارة اذ لم يكن لهم فرصة لتوديع أولادهم واخوانهم ولانهم كانوا قد أطالوا السهر تلك الليلة ولم يرقدوا اكثر من نحو ساعتين . فسار بهم العسكر ليلاً ونهاراً دون توقف ولم يكن لهم من معزّ في مسيرهم تلك الليلة سوى التأمل بانعام الله وألطافه واذ كان ثمة القمر بدراً والجوّ نقياً قال الشيخ علي — ان هذا البدر المنير والفلك النقي المرصع بالكواكب الدرية اللامعة يمثلان لي الطريق المنيرة التي اقتادنا الرب اليها وسيرنا فيها — ما أعظم الفرق بين النور والظلام وبين الحق والباطل . ما أجمل هذا البدر المضيء لنا في طريق ارتحالنا هذه وما أحلى الهدو والسكينة المخيمين على البلاد . وكانوا يتعزون بمثل هذا الحديث الى ان لاح الفجر . وكان هؤلاء المساكين قد أعيوا وكلّوا

من طول المسير لانهم لم يكونوا معتادين ذلك فتوسلوا كثيراً الى القائد ان يهب لهم وقتاً يسيراً للراحة فأبى و بعد ان كرروا اليه توسلاتهم ودفعوا له مبلغاً من النقود سمح لهم أن يترجلوا مرتين للراحة على الطريق قبيل الظهر والعصر ومرة عند المغرب ثم سار بهم الى ان بلغوا البلد المقصود نحو الساعة السادسة من الليل فباتوا خارجاً وفي الصباح دخلوا البلدة ودفع القائد رسالة الوالي الى حاكم البلد فقبلهم بكل ترحاب وأنزلهم في محل يليق بشأنهم وقابلهم بمزيد الاكرام والاعتبار وفي الغد انقلب العسكر راجعاً

أما ما كان من اهل العلماء واقاربهم المذكورين فانهم لما قاموا في الصباح وعلموا بابعادهم ليلاً صاحوا بالبكاء والعويل وأسرع كثيرون منهم الى المجلس ضاجين بالصراخ يصيحون يا للظلم ! يا للجور ! . . . فخرج القاضي وتكلم معهم بما هدأ روعهم وأسكن جاشهم . ثم صرفهم فمضوا و باطلاً اجتهدوا في استكشاف محل ابعادهم من رجال الحكومة والمأمورين اذ كان أمر الوالي بالكتمان مشدداً جداً . ولكن بعد مضيّ نحو شهرين من الزمان عرفوا أين هم . فسار اليهم الشيخ حسن أخو الشيخ علي وابن اخيه محمد و بعض أولاد الآخرين واخوتهم ولما وصلوا ودخلوا عليهم انطرحوا عليهم وهم يبكون وينتحبون فوقع أولئك المنفيون على اعناق بنيهم واخوتهم يقبلونهم بكل لهفة . و بعد أن سكن روعهم ومسحوا دموعهم وسأل كل منهم عن سلامة اهله واولاده قدموا لهم ما احضروه من الامتعة والنقود ولبثوا عندهم أسبوعين . وكان هؤلاء الرجال يفرغون جهدهم بتبشيرهم وتعليمهم ويصلّون معهم كثيراً فتأثر اكثرهم وعلى الخصوص الشيخ حسن ومحمد افندي عمر فانهما كانا يصغيان الى تعليم الانجيل بكل شوق ولذة . ففرح العلماء المذكورون جداً ورأوا بذلك جودة المنفى وربحهُ فحمدوا الله على ذلك . واذ كان المذكورون قد قبلوا المعمودية منذ مدة في هذه البلدة عمّدوا ايضاً اولادهم واخوانهم المؤمنين

بمزيد الفرح والسرور ثم صرفوهم قائلين : ارجعوا الآن يا اولادنا بسلام الله الى بلدكم وأهلكم واحملوهم على الطمأنينة من جهة صحتنا ولا تخافوا الناس ولا ترهبوهم بل اتقوا الله الذي خلقكم ومارسوا أموركم بالهدوّ والسكينة . فرجعوا وكانوا في طريقهم يتحدثون بكل سرور بما علموه وآمنوا بهِ . ولما وصلوا اخبروا أهلهم واقاربهم عن محل المبعدين وسلامتهم فاطمأنوا وتعزوا وهكذا كانوا يترددون عليهم من وقت الى آخر

أما أولئك الرجال فكان قد وقع حبهم في قلوب اهل البلد وما جاورها من رفيع ووضيع فكانوا يتقاطرون لزيارتهم افواجاً افواجاً وكثيراً ما كانوا يدعونهم الى بيوتهم بكل اكرام واجلال . لان حسن صفاتهم وغزارة علمهم ووفرة تقواهم أخذت بمجامع قلوب الجميع فكانوا يتلقونهم في الاسواق والمخازن والمنازل بأحسن ملتقى والرؤساء الروحيون من كل المذاهب في لبنان وما جاوره كانوا يزورونهم و يبارحونهم بملء السرور . أما هم فكان غالب حديثهم مع زائريهم وعشائرهم فيما يختص بمحبة الله وجوده الفائق بابنهِ الوحيد فكان سامعوهم يبهتون متحيرين من براعتهم وقوة ادراكهم سموّ الحقائق المسيحية بوقت وجيز وسرعة استحضارهم آيات الكتاب حتى انهم اصبحوا علة صلاح الحال الروحي والادبي في تلك البلدة الامر الذي سبب لهم سروراً لا يقدر وملأ قلوبهم من روح الشكر والحمد حتى قال بعضهم لبعض : لولا الحب الطبيعي للوطن والاقارب لكنا نفضل البقاء في هذا المكان على الرجوع الى الشام

واذ كان قد شاع امرهم وذاع صيتهم لهجت بهم الجرائد الاوربية فسأل بعض الدول وكلاءهم في سوريا عن امرهم فأفادوهم الواقع . فأرسلت بعض الدول المسيحية رقيماً للحضرة السلطانية مآلهُ ان أملها بجلالتهِ صدور الامر بارجاع الموما اليهم من منفاهم طبقاً لمبادي الحرية . فأجاب حضرة السلطان بما ملخصه : —

اني لم آمر بابعاد أولئك المتنصرين من قبيل عدم مراعاة الحرية التي ارغب

دائماً أن أمتع بها كلاً من رعاياي الامناء — حاشا — غير انهُ اذ كان هجرهم الاسلام وذهابهم الى النصرانية أمراً حديثاً في بلد كدمشق سكانها قليلو التمدن كثيرو التعصب فمراعاةً للصالح وحسماً لدواعي الفتن قد رأيت وجوب ابعادهم موقتاً الى مكان ما خارج الولاية . واجابةً لالتماس حكومة الولاية صار ابعادهم الى دير القمر في لبنان بلد لا تبعد كثيراً عن بلدهم وكل سكانها على الدين المسيحي . وهذا ما يبرهن لديكم رغبتنا في راحة كل رعايانا وشعوبنا وسلامتهم . وسنستعلم من الوالي هناك حتى اذا وجد انهُ لا يترجح بعدُ وقوع تشويش وقلاقل بسببهم اذا أرجعوا نأمر بارجاعهم . . . ولم يمض شهران من السنة الثانية لابعادهم حتى صدر الامر السامي بارجاعهم الى بلدهم وأهلهم وتخويلهم مطلق الحرية في ممارسة شعائر الدين كما يرغبون . فأرسل الوالي سراً ملازماً بنفر من الخيالة لارجاعهم ولما بلغ دير القمر ودفع الرسالة الى حاكم البلد بارجاع الموما اليهم سُرَّ الاهالي كافةً بذلك وان كان عزَّ عليهم فراقهم وحضر تلك الليلة لوداعهم هيئة الحكومة واعيان البلد كافةً مظهرين لهم سرورهم لاطلاق سبيلهم وتخويلهم الحرية الواجبة

فأجابهم الشيخ علي : ان ألسنتنا تقصر عن ايفاء حق الشكران على الافضال التي نلناها من لدن سعادة القائمقام الكريم وأعيان البلد بل من اهلها كافةً دون استثناء . اننا نرجع الى بلدتنا وقلوبنا أسيرة قيود حبكم وألطافكم . فليكن موكداً لديكم ان صدورنا تختلج دائماً بالشكر والامتنان لحضرتكم

فأجاب نائب البلد : اننا نقول والحق أولى أن يقال اننا مقصرون كثيراً عما وجب علينا ذمةً لحضرتكم . وبلدنا وضواحيها تعترف بما أوليتمونا من خير الفوائد مدة اقامتكم فيها . فالله الذي عرفنا بكم ومتعنا بشهيّ ألطافكم السامية يريكم ذويكم وأحباءكم كافةً بالخير والسلام ويمتعكم وايانا بروض الحرية والراحة

فأبدى حينئذ العلماء المذكورون علامة الشكر والامتنان ثم ودعهم الحاضرون

وانصرفوا . وفي الصباح قاموا من الدير وسار برفقتهم ايضاً ملازم آخر مع بعض الخيالة من قبل الحكومة المحلية فكان مسيرهم على مهل وبحرية حيثما شاؤا حلوا ومتى شاؤا ساروا . وفي اليوم التالي نحو الساعة الثالثة ليلاً بلغوا الشام فأدخلوا على الوالي فقابلهم بشيء من الاكرام وتلا عليهم الامر السامي بارجاعهم . ثم صرفهم الى بيوتهم محرضاً اياهم على ملازمة الهدوء والسكينة وعدم التكلم مع المسلمين بأمر الدين . وبينما كان أولاد المذكورين واخوتهم باهتمام عظيم في مسألة ترجيعهم من منفاهم وصاروا في حالة الارتباك والحيرة لا يدرون ما يعملون وكان اذ ذاك الشيخ حسن عمر مع بعض من أولاد واخوة المشايخ الآخرين مجتمعين في بيت الشيخ علي يتحدثون في هذا الموضوع واذا بالباب يقرع فأجفل الشيخ حسن وخفق فؤاده ثم وقف على قدميه وقال : ان هذه القرعة أشبهُ بقرعة أخي و بادر حالاً الى الباب ونادى : من يقرع الباب ؟ فأجابه : افتح يا حسن . فصرخ : البشارة البشارة يا اخوان . وفتح الباب واذا بأخيه الشيخ علي داخل فوقع على عنقه وقبله . وذاك يقبل يديه مبللها بدموع الفرح

ولما علم في الغد أمر رجوعهم ابتدأ الناس يتواردون عليهم للسلام ما خلا ناصر الدين وصحبه المعلومين ثم أخذوا برد الزيارات للجميع وكانوا يسيرون باتضاع واحتشام منعكفين على أعمال البر والاحسان فأثر منظرهم هذا وحسن سلوكهم في الجميع وزاد اعتبارهم وارتفع شأنهم عند الاكثرين غير انهُ على كل حال كان لهم مناظرون وحساد كثيرون لا يفترون عن القدح بهم والتهييج ضدهم ولكن قلما كان يُلتفت الى مقالهم أو يعبأ بافترائهم .وفي اثناء تلك أشهر احمد افندي القوتلي السالف ذكره ايمانه بالمسيح حسب الانجيل وكان مواظباً على الشيخ علي والشيخ محمود وسماع حديثهما عما جرى لهما ولاصحابهما منذ اطلاعهم على تلك الرسالة التي أضحت وسيلة انارتهم واهتدائهم . وقال لهم مرة كم من الثواب والاجر لذلك المسيحي

الفاضل الذي أتحفكم بهذه الهدية الكريمة — أما ارسلتم له مكتوب الشكر والمحبة؟ قال الشيخ احمد عبد الهادي : كنا عزمنا على ذلك ونحن في دير القمر ولكن غب الاستعلام عنه وعن محل اقامته بلغنا من مصدر يركن اليهِ انهُ قد نقل من هذا العالم من نحو ثمانية اشهر فتأسفنا حيث لم نكتب لهُ من قبل ذلك فصفق القوتلي بيديه وقال آه لو عاش ورأى ثمرة عمله . قال نعم ولكنه سيراها على نوع أجل في حضرة ربه — يموت الصديقون ولا تموت أغراسهم سيحصدون غلات ما زرعوا في يوم لا يضيع فيه أجر مثقال ذرة من الفضل

الفصل الثالث عشر

ثم بعد مضي نحو خمس سنين من رجوعهم الى بلدهم مرض الشيخ علي مرض الموت فكان جسمه يزداد نحولاً وقواه انحطاطاً يوماً فيوماً والشيخ محمود والشيخ احمد عبد الهادي واحمد افندي القوتلي مع باقي الاصحاب قلما كانوا يبرحون سريره وكان لا يود ان يُقرأ له الا في الكتاب المقدس ولا يريد ذكراً الا ذكر يسوع المسيح وكثيراً ما كان يردد في فمه هذه الكلمات لا سيما عند ما لا يكون احد بقربه : مات لاجلي — وفي ديني — وفي الكل — مات عني لاحيا بهِ — ما أقوى حبه ما أسمى لطفه . ولم يكن يدع أحداً من زائريه يخرج من عنده بدون أن يكلمه شيئاً عن محبة المسيح

ولما كان يوم وفاتهِ اجتمع حول سريره جماعة من علماء المسلمين وأئمتهم القضاة وكان اذ ذاك على غاية ما يكون من الانتباه فبعد أن جلسوا قليلاً قال الشيخ عبد الحميد إمام الجامع الاموي : يا شيخ علي يا صديقي القديم وعشيري الكريم أرغب أن اقول لك شيئاً على رجاء أن تحتمل ما سأبديهِ بوجيز العبارة لحضرتك . قال : تكلم يا سيدي الكريم . قال : أيها الصديق اني أتذكر تلك الاوقات الثمينة

التي كنا نصرفها معاً في المساجد والمكاتب بالمطالعة والمفاوضات الروحية والادبية . فها قد مضى سبع سنين وأنت موحشنا ومبتعد عنا في الدين والعبادة والألفة الامر الذي قد ساءنا ونغّص عيشنا كل هذه الايام . والآن يظهر لي يا صديق انك على أهبة الارتحال من عالم الزوال فاذكر القرآن الشريف وما أنزل به الينا من ربنا وارجع الآن يا صاحبي عن سبيل الغي والضلال التي همت فيها كل هذه السنين الى دين الله القويم وأدّ الشهادة لله ولرسوله يتجاوز عن سيئاتك ويغفر ذنبك انهُ هو الغفور الرحيم . أتوسل اليك بحق أولياء الله ورسله ان لا ترفض نصح من يحبك كنفسه (اه)

وكان الشيخ علي يتبسم تارة في اثناء هذا الكلام ويعبس اخرى . اما رفاقه فانزعجوا للغاية وكان بعضهم يود ان يجاوب الامام المذكور نيابة عن المريض غير انهم لم يروا ذلك لائقاً مناسباً فجاس الشيخ علي وأجابه :

نعم يا سيدي الكريم أرى نفسي قد بلغت اليوم الذي فيه أرتحل من ديار الدنيا فاحمد الله الذي ارسلك اليّ هذه الساعة لاودعك الوداع الاخير بكلمات طالما كنت أتوقع فرصة مناسبة لاخاطب بها احبائي نظير حضرتكم فرجاي احتمالي بطول الاناة كما هي شيمكم الكريمة — فيا سيدي الشيخ لا يخفى أن أسفي عليكم ليس دون أسفكم عليّ ان لم أقل اكثر ولا يسعني الآن ان أراجع على مسامعكم تلك الامور الخطيرة التي قد صيرتني بنعمة الله مسيحياً ان في القرآن شهادات عظيمة بأن التوراة والانجيل المنزلين على طائفتي اليهود والنصارى هما كتاب الله قد أنزل نوراً وهدى وموعظة للمتقين . فتأملوا ما أعظم هذه الشهادات . لعمري ما القرآن بذلك الا كالدليل الامين يدلكم على اليهود والنصارى لتطلبوا منهم كتاب الله . والدعوى انهم حرفوه هي يا مولاي دعوى صبيانية باطلة . فاذا طالعتم هذا الكتاب العزيز بروح الاعتبار والوقار ترون ولا بدّ أن غايتهُ الوحيدة هي المسيح للبر

والخلاص لكل من يؤمن — ما أوضح النبوات فيه عن مجيء الفادي الكريم من عذراء من سبط يهوذا من اسرائيل وعن وصف حياته وأعماله وآلامه وموته فداء عن البشر وعروجه الى عرش الله أبيه وعن مجيئه الثاني . وما الانجيل يا مولاي الا بشارة الله يبشرنا بمجيء هذا المخلص السماوي . فنور المسيح يا صديقي ساطع ببهاء كلي في الكتاب لا يحتاج لرؤيته سوى رفع عصابة التعصب وازاحة برقع الغرض . وأتمنى لو تفتشون جيداً كتاب الله بروح الاخلاص والوقار لعلكم ترون فيه كما رأيت مسيح الله الفادي كلمة الله الوحيد — هذا كلام صديقكم ومحبكم المخلص في آخر يوم من حياته الدنيا اذكروا اني ما كنت دونكم في الغيرة على الدين الاسلامي وجهدي بالقيام بفروض العبادة والنوافل تعرفونهُ فكنت بذلك افتكر كما أنتم اليوم تفتكرون أن هذه الامور تجعلني سعيداً وتخولني رضا الرحمن وبركاتهُ وتكفر عن سيئاتي وآثامي . ولكن لما قيل لي ان الكتاب ما تحرف قط ولا تغير شرعت أفحص وأمتحن ذلك مع بعض الاصحاب فوجدنا ولله الحمد صحة الدعوى وصدقها — . وجدنا طريق السماء طريقاً ليس فيه عوج ولا التواء وها اني على وشك الانتقال الى ربي فلست أخشى الموت ولا أرهبه لان مخلصي قد أبطل قوته وداس شوكتهُ وهو سيقيم جسمي هذا الترابي عند مجيئه للبعث والنشور — اني مسرور يا أصحاب لانني وأنا على فراش المرض والالم أرى بعين ايماني بهاء مجد ذلك الفردوس المنير الذي لا يخيم الظلام على أرضنا قبل ان احل فيه — نعم زمان التعب والجهاد قد مضى وعبر وأشرق على فؤادي نور فجر صباح جديد أتوقع أن أتمتع عما قليل ببهاء شمسه العجيبة . استودعكم يا اخوان استودعك الله ياسيدي الشيخ اني ممتن لغيرة حبكم . فانتهز الفرصة يا صديقي واقرأ كتاباً انزله الله دستوراً وقانوناً للايمان والعمل — القرآن دلك عليه فاستدل — امتثل وأطع تفز برضى الله له المجد (اه)

وكان في اثناء كلامه هذا قد ابتلت لحيتهُ البيضاء بدموعه المتساقطة فوق خديهِ المصفرّين فتأثر جداً اولئك الرجال من هذا المنظر المؤثر وودُّوا لو انهم يبقون حول سريره حتى نهاية حياتهِ ولكن لما رأوا توارد بعض أعيان النصارى عليهِ وقسوسهم قاموا وانصرفوا

فاتنا أن نذكر ان العلماء المذكورين حاولوا كثيراً بعد رجوعهم من محل منفاهم ان يضموا اليهم ابنيّ المرحوم الشهيد عمر و بالاخص الشيخ علي والشيخ محمود الوصيين من قبل أبيهما فلم يتمكنوا من ذلك بل وضعا في المكتب الرشيدي بحت عناية أخوالهم ولما مرض الشيخ علي عادتهُ والدتهما وجلست بجانب سريره وهي على غاية من الحزن والذل فعزاها كثيراً وذكَّرها بما أوصاه المرحوم زوجها من جهة ولديه. فبكت وقالت كرامة لعينيه لا أحب أن أخالفه ولكن ليس في طاقتي اتمام وصيته — قال : نعم ولكنني أرجو أن الله لا يتركها ثم أخذ يتكلم معها بكل حكمة وملاطفة عن المسيح المخلص والحياة الابدية والدينونة ففهمت مقالتهُ واذ كانت امرأة عاقلة ذات حذق وفطانة وذاكرة حسنة لم تنسَ ما أنذرها رجلها وحرّضها عليهِ في آخر حياتهِ . ثم سألت الشيخ علي بعض السؤالات اللطيفة عن حق الانجيل وذات المسيح وغاية ولادتهِ من عذراء وموتهِ صلباً فجاوبها على ذلك بأحسن اجوبة فلاحت على محياها الجميل لوائح الفرح والابتهاج . ثم أخذت يديهِ وقبلتهما شاكرة فضله على الفوائد الجيدة التي أفادها اياها وعاهدتهُ انها تكون من الآن ان شاء الله مسيحية مقتفية آثار رجلها وستبذل كل الجهد في ارشاد ولديها الى هذه الطريق الصالحة . ولما همت بالانصراف وضع في يدها صرّة صغيرة من الدنانير فحاولت عدم قبولها فألزمها بذلك قائلاً هذه مني لاجل ولديك العزيزين فقبلتها بالشكر وانصرفت . أما هو فوثق بوعدها كل الثقة لكونها بعد قتل زوجها طلبها كثيرون من شبان البلد ليتزوجوا بها فأبت حال كون بعضهم كانوا من الاعيان الاغنياء

وهي في شرخ صباها ومن أجمل نساء البلد وأتقاهنّ . فبعد انصرافها دعا اليهِ اخاه حسناً وأوصاه أن يجتهد ليتخذها له زوجة اذا ارتضت وتأكد مسيحيتها ومن ثم يتخذ الوسائل الممكنة لضم ولديها اليهِ لتربيتهما حسناً كولديهِ بكل محبة ورأفة فقبل وصيتهُ ورضخ لمقاله

ولنرجع الى الكلام فيما جرى بعد انصراف اولئك العلماء من عند الشيخ علي فانهُ اذ كان قد تعب كثيراً من التكلم تمدد في فراشهِ واستراح نحو ساعة وكانت انباضهُ قد أخذت تضعف شيئاً فشيئاً فترجح عند الطبيب انهُ يفارق نحو غروب الشمس . ثم انتبه ودعا اليهِ بنيهِ و بناتهُ وأخاه ولما مثلوا أمامهُ قال بصوت مرتجف : يا أخي وأولادي الاعزاء اذكروا اني مدة حياتي معكم لم أفترّ عن ارشادكم وتعليمكم بكل حنو وصبر في الامور التي كنت أرى أنها لخيركم دنيا وآخرة ولما ماتت والدتكم لم أرد ان اتخذ لي اخرى بسببكم فلا تنسوا محبة أبيكم واتعابهُ واحمد الله أبا ربنا يسوع الذي دعاني بانجيله الى ملكوت ابن محبته واعطاني ان ارى قبل وفاتي مهجة فؤادي اخي واولادي الاعزاء معتنقين الايمان المسيحي . فالآن أموت مسروراً على رجاء الاجتماع بكم في عالم الراحة والمجد . ها لكم من نعم الله و بركاته ثروة وافرة ولكن ليس ذلك شيئاً بالنسبة الى ذلك الكنز الثمين (وأشار بيده الى الكتاب المقدس الموضوع على المائدة) ادنوه مني فأتوا بهِ اليه — هذا الكتاب الذهبي الكلام الدرّي المعاني الحاوي تعليم النعمة والحياة بيسوع المسيح ربنا هو أفضل ميراث لكم وأجل بركة من الله لان كل ما في العالم يزول وأما كلمة الله فتبقى الى الابد — ها اني اذهب ولا شيء يصحبني من الدنيا وكذا انتم ستذهبون فارغين من أباطيل العالم فضعوا كتاب الله هذا في قلوبكم واتخذوه دستوراً لحياتكم تذهبوا من عالم البطل الى عالم الحق ومن غرور الدنيا الى حقائق المجد الابدي — عيشوا بعضكم مع بعض بالسلام والمحبة متجنبين كل دواعي الخصام والشر . واله

السلام والمحبة الذي دعاني ورعاني ونجاني من كل شر حتى هذا اليوم يباركم ويثبتكم في كل صلاح وتقوى حسب مشيئته ويجمعني بكم أخيراً في سماء مجده آمين.

فبكوا حينئذ بحرقة شديدة وسقطوا على يديه يقبلونهما فقبّلهم هو أيضاً وبكى فوعدوه وعاهدوه على أن يعيشوا حسب الانجيل ولا ينسوا وصيته الثمينة. فسرّ بذلك كثيراً وضمهم ثانيةً الى صدره وقبّلهم ثم التفت الى اخوانه وأصحابه العلماء وقال يا اخوتي وأصحابي وشركائي في جهاد الايمان المسيحي انني أتذكر ثباتكم في الحق ونضالكم الحسن عنه في وسط هرج المقاومين ضد الاهواء العالم والجسد حتى صرتم ملح اصلاح للكثيرين سيما لعيالكم وخلانكم الامر الذي ينهض فيّ دائماً كما ينهض فيكم روح الحمد والشكر لله الذي دعانا هكذا وقدّسنا وأبقانا حتى تاجرنا بأمواله وربحنا . فله المجد والفضل والعز الى الابد . فقد حان يا اخوتي وصحبي المحبوبين وقت افتراقي عنكم لاذهب الى مخلصي وأرى بالعيان ما أتوقعهُ بالايمان . ها أنا كما ترونني مسرور بهذا الرجاء الذي سأناله ببرّ واستحقاق فاديّ الكريم . فأرجو أن تعيشوا بعدي زماناً طويلاً بالتوفيق والنجاح لمجد الله ونلتقي اخيراً معاً في تلك الربوع المجيدة والمواطن البهية الابدية . ولي الرجاء بحبكم أن تلاحظوا بعين المحبة اولاد أخيكم هؤلاء في كل ما يلزم من الارشاد والهداية والتنشيط في الرب . والآن ادنوا مني يا اخوتي لأودعكم . فدنوا منه وقبلوه وقبّلهم قائلاً : أستودعكم الله يا أحبائي الأعزاء وأسأله أن يحفظكم و ينهي سفركم بسلام وسرور . ثم انفصلوا عنه بكل حاسات الكمد والاسف . ثم قال الشيخ محمود : يا سيدي العزيز وقدوتنا الصالحة لقد تعبت وأعييت كثيراً من وفرة التكلم . فها اننا بملء حاسات الحزن والكمد نسأل المولى الكريم ان شاءت مشيئتهُ أن يعيدك الى الصحة لتحيا بعدُ لمجد اسمهِ وان لم تشأ ارادتهُ ذلك وسبقتنا الى الراحة السماوية فطوباك ورجاؤنا بنعمة فادينا الحبيب اننا سنلتقي معاً في ذلك الوطن المجيد الذي

لا يشوبهُ فراق ولا حزن ولا ألم . وأما اخوك وأولادك الاعزاء فهم محروسون بالله . كن مسروراً طيّب القلب من هذا القبيل

فشكرهم على ذلك وقال : الرب يدعوني اليه وأنا مشتاق أن اراه فلا تسألوا لي الصحة والعودة الى حياة الدنيا انما سبحوا الرب واحمدوه . ثم ضم رجليهِ في سريره وانعقد لسانهُ عن التكلم . وبعد قليل تبسم وفتح عينيه وقال : ها أنا يارب حاضر . ثم توقف عن الكلام برهةً ولفظ بصوت عميق هادئ هذه الكلمات :
« يا رب يسوع اقبل روحي ، الحمد لله »

ثم رقد مسلماً روحهُ بيد الرب . فانكبّ عليه الجميع وبكوا وناحوا عليه . ولما طار نعيهُ غصت الدار بالمسلمين والنصارى بدون استثناء وكان يلوح عليهم لوائح الحزن لان المتوفي كان محبوباً من الجميع . واذ بلغ خبر وفاتهِ مسامع الحكومة رأت من اللازم حراسة جنازتهِ وخفرها الى المقبرة حذراً من حدوث أمر مكدر . فأرسلت من ثمّ ملازم الضابطة ومعه خمسون عسكرياً ليمشوا أمام تابوتهِ مع المسيحيين التابعي الجنازة . أما اهله وذووه فبعد أن بكوه كثيراً كفنوه ووضعوه في تابوت

وفي الغد نحو الساعة السادسة من النهار حمل الى الكنيسة فمشى أمام تابوتهِ الضابطة ووراءهم القسوس والرؤساء الروحيون من جميع الطوائف المسيحية ، ووراء التابوت اهل الميت وذووه واصحابهُ مع جم غفير من كل الملل الموجودة . ولما وضع في الكنيسة صعد الى المنبر أحد القسوس وبعد قراءة شيء من الانجيل قدم خطاباً مؤثراً جداً موضوعهُ : « طوبى للاموات الذين يموتون في الرب منذ الآن ، نعم يقول الروح : لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم — رؤ ١٤ : ١٣ »

فكنت ترى اذ ذاك اصغاء وهدواً غريبين من الحاضرين نادري المثال في جمهور كهذا من مذاهب مختلفة وأجناس متباينة . ثم تلا ذلك ترتيل وتسبيح لله

وحمل الى المقبرة ودفن بكل احتفال واكرام ، وبنى له أخوه وبنوه حجرةً جميلةً على قبره نقشوا عليها تاريخ حياته وتاريخ اعتناقه الايمان المسيحي مع بعض الآيات الانجيلية التي كان كثيراً ما يترنم بها ، ونقشوا بحرف غليظ مذهب تلك الجملة الاخيرة التي فاه بها في آخر نسمة من حياته وهي : —

﴿ يا رب يسوع اقبل روحي ﴾

وأما رفاقهُ المذكورون فعاش اكثرهم بعده زماناً طويلاً بكل حرية وراحة مجتذبين بانذارهم وحسن سيرتهم كثيرين الى الايمان المسيحي من كل الملل والمذاهب . وهكذا رقدوا أخيراً في الرب مخلفين آثاراً حسنة وذكراً طيباً لأهلهم واصحابهم

وقد تم ايضاً ما كان يتمناه ويرغب فيه الشيخ علي من زواج أخيه حسن بمريم أرملة المرحوم عمر وضم ولديه الى بيته وعاش اخوه وأولاده براحة وهناء أياماً طويلة نامين في المعرفة والتقوى كل أيام حياتهم

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى